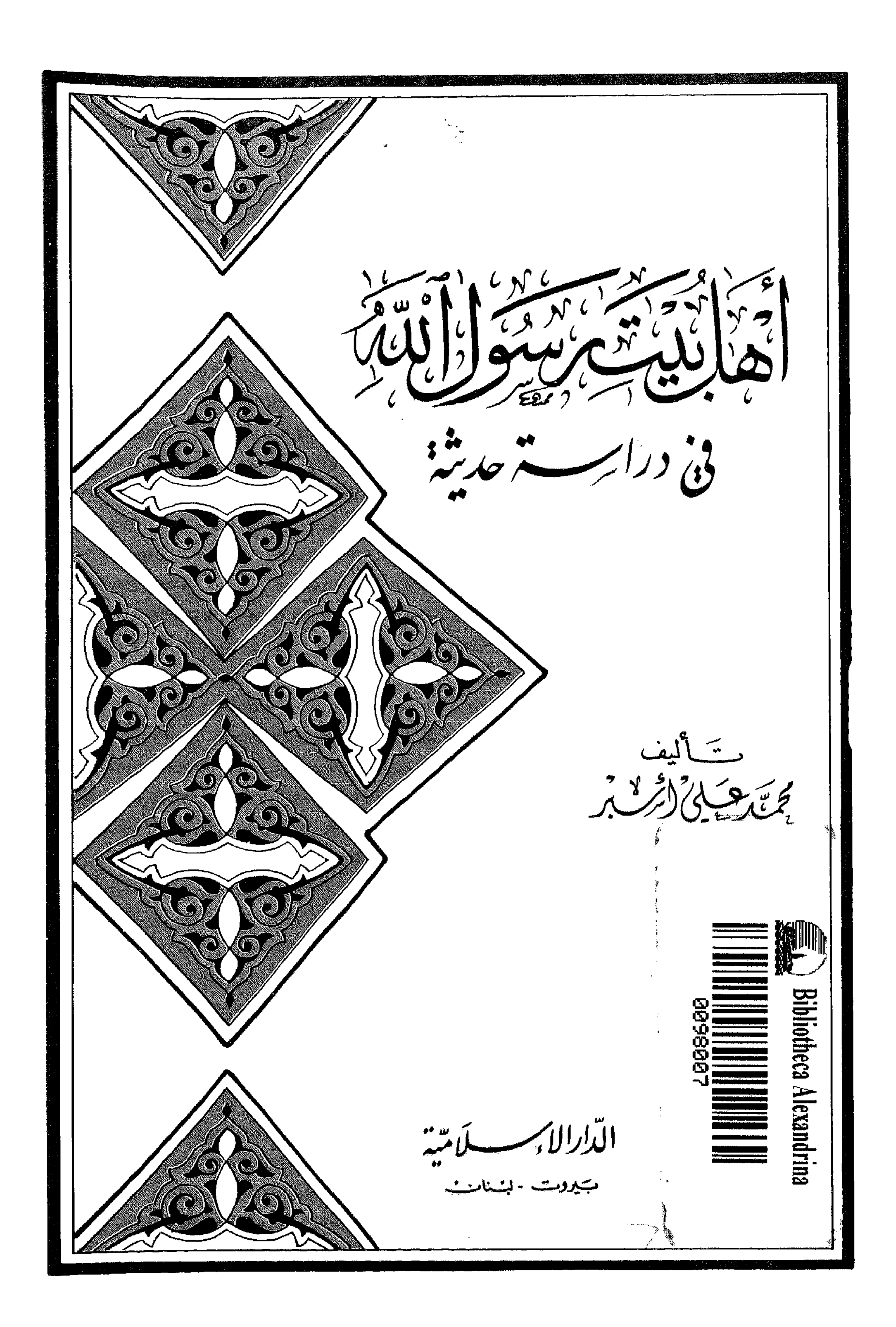

أهل بيت رسول الله
في دراسة حديثة
تأليف
محمد علي أسبر
الدار الإسلامية
بيروت - لبنان

أهل بيت رسول الله

في دراسة حديثة

أهل بيت رسول الله

في دراسة حديثة

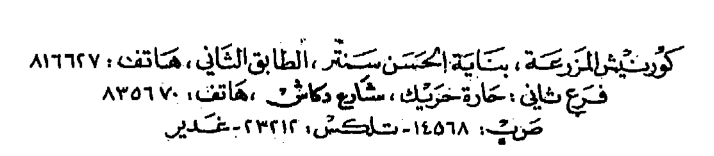
تأليف
محمد علي أسبر

الدار الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م




كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

كلمة الناشر



أعزاؤنا القـرّاء

لقد أخذت الدار الإسلامية على نفسها ـ كما عاهدتكم ـ أن تقوم بحمل أعباء مسؤولية كبيرة ، ورسالة خطيرة ، ألا وهي نشر الفكر والوعي الإسلاميين بين مختلف طبقات الناس ، وهي في سبيل ذلك تقوم تارة بتقديم الدراسات العلمية المعمقة ، ليستفيد منها كبار العلماء والمفكرين ، وتارة أخرىٰ تقدم الكتب الصغيرة المبسّطة التي ينتفع بها المتعلمين المبتدئين ، وبين هذين المستويين تتدرج كافة المستويات الأخرىٰ ، وهي في سعيها هذا لا تألو جهداً في انتقاء الجيد والنفيس المفيد لكافة القراء وعلى مختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية والثقافية ، تحقيقاً لأهدافها السامية في خدمة البشرية من خلال نشر هذا الفكر الذي جاء رحمة للعالمين .

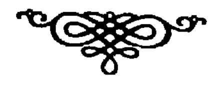
وهذا الكتاب ـ قارئي العزيز ـ يتحدث عن أهل بيت رسول الله (ص) الذي اعتبرهم سلام الله عليه ثقلاً وأمانة تكمل لهم الرسالة « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ، وربما قُلْتَ : كثيرة هي الكتب والمؤلفات التي تناولت أهل البيت (ع) والإجابة أن هذا صحيح ، وكل ما كتب جيد ومفيد ، بَيْد أن هذا الكتاب الذي هو دراسة عصريَة حديثة في هذا المجال يمتاز عما سبقه من الكتب بمميزات

عديدة ، لسنا هنا في معرض سردها وشرحها ، فالكتاب يحدث عن نفسه بنفسه .

لذا ندعوك أيها القارىء العزيز لإطلالة جديدة على أهل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، من خلال صفحات هذا الكتاب لتكتشف بنفسك كنه هذه الدراسة ونكهته العذبة المميّزة ، بهذا القلم الساحر الذي يغوص بك في أعماق بحارهم الزاخرة لتستخرج منها أغلى الجواهر والدرر فلعلك سرت على خطاهم فتنال بذلك سعادة الدنيا ونعيم الآخرة وهو غاية ما نتمناه والله الموفق .

أما المؤلف فهو الأستاذ محمد علي إسبر الكاتب المؤلف المفكر الفذّ الذي قدم ولم يزل عمره وجهده عطاءاً زاخراً من أجل التعريف بالإسلام المحمدي الأصيل ومن أجل ربط الأمّة بأهل بيت الرسالة الذين هم الصنو للقرآن ولا يفترقان حتى يردا على رسول الله الحوض بوركت مساعيه مسدداً ووفقه الله .

الدار الإسلامية



المقدمــــة

هـل سمعت بكلمـة « العبقـريـة » ومـا تعنيـه من بهـاءٍ في الـذكـاءِ والنبوغ ؟ .

إنّ العبقريَّةَ هِذِهِ لو تَجَسَّـدَتْ بِأَلْـطَفِ وَأنور محـاسنها بَشَـراً سويّـاً ، وأراد أن يتحـدثَ عن مكانـةِ أَهْـلِ بيت رسـول الله (ص) لَـوَقَفَ مُسْتَكينـاً مَذْهُولاً أمامَ عَظَمَةِ مَقامهم الباذخ .

وَكَيْفَ لا يَسْتكينُ وهو يرى الحَضْرَةَ الإِلَهيَّة تقولُ لَهُمْ : ﴿ **إنما يُـريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أَهْلَ البيتِ وَيُطهِّركُم تطهيراً** ﴾ . . .

دَعْ عَقْلَكَ يَغُصْ فِي بَحْرِ هذه الكلماتَ الإلَهيَّة باحثاً . . مُحَلِّلاً . . .

تَأَمَّلْ كيف بدأ الكلامَ عنهم بأداة الحصْر ـ إنّما ـ تأكيـداً لنفاذ إرادتـه فيهم بالطهارة . . .

وَتَـأَمَّـلْ كيفَ خَتَمَـهُ بـالمفعـول المـطلق تَـوْثيقـاً لِبَقـاءِ طهـارتهم المُطْلَقَة . . .

تَـأَمَّلْ ذلـك بأنـاةٍ يَتَجَلَّ لـكَ أَهْلُ بَيْتِ رسـول الله نجومـاً زُهْراً . . . وضياءً غَمْراً . . .

لقد صَفَّاهم الله من شُبَه أَبْناءِ هذا العالم الأرضي . . .

وَرَفَعَهُمْ إلى سَمـاءِ جَنَّةٍ خَضْـراء لاَ يَعْمُـرُ رِحَـابَهَـا إلاَّ رُسُـلُ الله المنتجَبون . . .

نعم رَفَعَهُمْ تعالى مكاناً عَليّاً لنوارنيَّةِ طينتهم . . .

وذلك ما جَعَلَ الرسول الكريم يقول : « نحن، أَهْلَ البيت، لا يُقاسُ بنا أَحَدٌ »[1] .

وذلك عَيْنُهُ يَجْعَلُ أَنْفَسَ العبقريَّـات قاصِـرَةً عن إيفائهم مـا يليقُ بهم من تقديرٍ وإكبار . . . .

* * *

وَأَنْتَ كائناً مَنْ كُنْتَ تُحِبُّ مُحَمَّداً . . .

أَتَعْلَمُ لماذا ؟؟ .

لأَنَّكَ إنسَانٌ سَوِيٌّ . . .

والرسالة التي اصطفَى الله مُحمداً لحملها إنسانيَّةٌ في مضامينها . .

عالَميَّةٌ في جَوْهَرها . . .

مَنْسُوجَةٌ كلماتُها من حرير الإخاء ، والرَّحْمَة ، والمحبَّة . . .

فكيف لا تُحبُّ محمداً وتلك رسالَته الرحمانيَّةُ . . . ؟؟ .

هذه الرسالة الفُضْلى . . .

وجهادُ الرسول لجعْلِها نَبْضاً تخفق به قلوبُ الناس جميعاً . .

وما جَلَبَتْهُ لِلْبَشريَّة من أَفْراحٍ حَضَاريَّةٍ شاملة . . .

جَعَلَتْ جهابِذَةَ الفكر العالميِّ يُحبّونَ مُحمداً ، ويضعـونَهُ في القِمَـةِ من الإجلال . . .

هـذا ـ كمثال ـ الـدكتـور « مـايكـل هـارت »[2] الأميـركي الجِنْسيَّـةِ

---

(١) راجـع شيـخ الشـافعيّـة ومحـدث الحجـاز الحـافظ محب الـدين الـطبـري : ذخـائـر العقبى ـ صفحـة ـ١٧ـ (ذكـر أنّهم لا يقـاس بهم أحـد) النـاشـر مكتبـة القـدسي ـ مصـر ، سنـة (١٣٥٦ هـ) .

(٢) مايكل هارت يحمل الشهادات التالية : ليسانس في الرياضيات ليسانس في القـانون مـاجستير في =

والمولد ـ المسيحي العقيدة يُقَلِّبُ تاريخ العالم منذ فجر التاريخ حتى اليوم . . . ثم يَطْلُعُ على الناس بكتاب أَثْبَتَ فيه أَسْماءَ مِئَةِ شخصيَّة أَثَّرَتْ في العالَمَ تأثيراً فاعِلاً بَنَّاءً ، فكان مُحمد هو الشخصيَّة الأولى في العالم قديمه وحديثه . . .

وإذا كان (مايكل) يرى أنَّ محمداً أهم شخصيَّةٍ عرفتْها الأرضُ . .

فإنَّ فَيْلَسُوفَ علم الاجتماع الفرنسي (غوستاف لوبون) يرى محمداً أعظم شَخْصِيَّةٍ عرفها التاريخُ . . .

ولا رَيْبَ أَنَّ كُلاًّ من هَذَين العملاقين نظر إلى نبيِّ الهدى والرحمة من زاوية الأُفُقِ الإنساني . . الاجتماعي . . . الحضاري . . .

وما دام مُحَمَّدٌ (ص) هو تلْكَ الشَّخْصيَّةُ الفريدةُ الْغَنِيَّةُ بقُدْسِ الإنسانيَّةِ وَشَرَفِها . . فَإِنَّكَ تُحبُّهُ . . وَحُبُّكَ لَهُ يَقْضي أن تُحِبَّ أَهْلَ بَيْتِهِ .

هوذا صلوات الله عليه وآله يَهْمِسُ في قَلْبِكَ : « مَنْ أَحَبَّ أن يَحْيا حياتي ، ويموتَ ميتتي ، وَيَدْخُلَ الجنَّةَ التي وَعَدَني ربّي ، فَلْيَتَولَّ عَليَّ بْنَ أبي طالب وَذُرِّيَّتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرين ، أَئِمَّةَ الهُدى ، وَمَصابيحَ الدُّجى مِنْ بعدي ، فإنّهم لن يُخْرجوكُمْ من باب الهُدى إلى باب الضَّلالَة »اهـ[1] .

ويقول (ص) : « أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُمْ به من نِعْمَةٍ ، وأَحبُّوني لحبِّ الله ، وأَحِبُّوا أَهْلَ بيتي لحبِّي »اهـ[2]

= العلوم . ذكتوراه في الفلك ؛ عمل في مركز أبحاث الفضاء ، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقيَّة ؛ وهو عضو الجمعيَّة الفلكيَّة وفروعها في علوم الكواكب » (راجع كتابه ـ المئة الأوائل ـ ص ٨ ـ طبعة ٣ ـ سنة ١٤٠٤ هـ ترجمة الأستاذ خالد عيسى ، والمحامي : أحمد سبانو .

(١) الحافظ أبو المؤيَّد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكِّي الحنفي المذهب المعروف « بأخطب خوارزم » : المناقب ـ صفحة ٣٤ (الفصل السادس) طبع سنة ١٩٦٥ م .

(٢) راجع : الفقيه أبا الحسن علي بن محمد الشافعي المذهب الشهير : بابن المغازلي : مناقب الإمام علي بن أبي طالب ، صفحة ١٣٦ و١٣٧ ـ « الحديث : ١٧٩ » طبع سنة ١٩٨٣م=١٤٠٣ هـ (دار الأضواء ـ بيروت) . وأخرج الحديث بعين ألفاظه : الذهبي =

وإنه ليؤكد أَنَّهُ لا يُحبُّ أَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا البَرَرَةُ السُّعَداء ، وَلا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا الأشقياءُ الْفَجَرَة ـ هـذا الصَّحابِيُّ الكبيـر الصِّدِّيقُ أبـو بكر يُؤَدِّي للتَّاريخ وللأَجْيال شَهادةً سَمِعَهَا مِن فَمِ رسول الله ، وَهَلْ ثَمَّةَ مَنْ هُوَ أَصْدَعُ بشهادة الحقِّ من الصِّديق ؟؟؟ . .

هذه الشهادة أَخْرَجَها المحدِّثون في حَـديثٍ نَبويٍّ متـواتر ، مَعْـروفٍ باسم (حديث الخيمة) .

قـال الصِّـدِّيق (رض) : رَأَيْتُ رسُـولَ الله خَيَّمَ خَيْمَـةً ، وهـو مُتكيءٌ عـلى قَـوْسٍ عَرَبيَّـة ،وفي الخيمةِ عَليٌّ ، وفـاطمةُ ، والحسنُ والحسينُ ، فقـال رسُولُ الله (ص) : « يـا معاشـر المسلمين ، أنا سِلْمٌ لمن سـالم أهل هـذه الخيمـة ، وَحَـرْبٌ لمن حـارَبَهُمْ ، وَوَليٌّ لمنْ والاهم ، وَعَـدُوٌّ لمنْ عـاداهم ، لا يُحبُّهم إِلَّا سَعيدُ الجَـدِّ طَيِّبُ المَوْلِـد ، ولا يُبْغضُهُمْ إِلَّا شَقيُّ الجَدِّ ، رديء الوِلادَة »[1] .

فقال رَجُلٌ لزيد : يا زيدُ ، أنت سمعت أبا بكر يقولُ هذا ؟؟ .

قال : إي وَرَبِّ الكعبة »اهـ .

يبقى عَلَيْكَ أَنْ تَخْتَبِرَ نَفْسَكَ . . .

هل آرْتَفَعَتْ بك إنسَـانِّيتُكَ . . . وحـرارَةُ إيمانـكَ إلى مُسْتَوىً جعـل قَلْبَكَ يَشْتَعِلُ حُبّاً بمحمدٍ وآل محمد ؟؟ .

إِقْـرَأْ كتـابي هـذا ، وَبَعْـدَ الفـراغ من قـراءتـه أَجِبْ بـذاتِـكَ على ذاتِكَ . . . والسَّلامُ عَلَى مَنِ آتَّبَعَ آلْهُدَى . . .

= (محمد بن أحمد شمس الدين) في كتابه : ميزان الاعتـدال في نقد الـرجال ـ الجـزء الثاني ـ ص ٤٣ ـ طبعة أولى . وأخرجه الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) الشـافعي ـ الأشعري في كتابه : تاريخ بغداد الجزء الرابع ـ صفحة ١٥٩ ـ . وأخرجه الحاكم النيسابوري الشـافعي في الجزء الثالث من مستدركه ، ص ١٤٩ .

(١) راجع العلامة الحافظ مُحب الـدين أحمد بن عبـد الله الطَّبـري أبو العبـاس شيخ الحـرم المكي ـ الشافعي المذهب : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٩٩ ـ طبعة أولى بمطبعة الاتحاد المصري . وراجع : أخطب خوارزم : المناقب المذكـور ، صفحة ٢١١ ـ (الفصـل التاسع عشر) ، عباس محمود العقـاد : عبقرية الإمام علي ـ ص ١١٩ ـ طبع دار الهلال ـ مصر .

قرابة الرسول : علي وفاطمة وولداهما

قال الحافظ جلال عبد الرحمن السيوطي الشافعي المذهب : « أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه في تفاسيرهم ، والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أَجْراً إلّا المودة في القربى ﴾ الشورى : ٢٣ .

قالوا : يا رسول الله ، مَنْ قرابتُك هؤلاء الذين وَجَبَتْ علينا مودتهم ؟؟ .

قال : عليٌّ ، وفاطمة ، وولداهما » اهـ .

« متفق عليه »

راجع : أ ـ السيوطي : إحياء الميت بفضائل أهل البيت ـ ص ١٢ ـ (الحديث الثاني) ـ نشر توحيد طبعة أولى ، سنة ١٤٠٨ هـ .

ب ـ الفقيه الشافعي : ابن المغازلي ، مناقب الإمام علي ـ صفحة ٣٠٧ و٣٠٨ ـ رقم الحديث ٣٥٢ .

ج ـ الحاكم الحسكاني الحنفي المذهب : شواهد التنزيل ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٣٠ و١٣١ الحديث (٨٢٢) منشورات الأعلمي ـ بيروت .

د ـ فخر الدين الرازي (محمد بن عمر التيمي البكري) الشافعي المذهب مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ الجزء ٢٧ ـ صفحة ١٦٦ .

هـ ـ شيخ الشافعية المحب الطبري : ذخائر العُقْبى ـ صفحة ٢٥ (ذكر أنّهم المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ﴾ قال الطبري : أخرجه أحمد (الإمام أحمد بن حنبل) في المناقب وغيرهم . . .

هؤلاء أهل البيت

قال الإمام مسلم :

« حَدَّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ لأبي بكر) ، قالا : حدثنا محمد بْنُ بِشْر ، عن زكريّاء ، عن مُصْعب بن شَيْبَة ، عن صفيَّة بنت شيبة ، قالت : قالت عائشة : « خرج النَّبيُّ (ص) غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شَعْر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فَدَخَلَ معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليٌّ فأدخله ، ثم قال : ﴿ **إنّما يُريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويُطهركم تطهيراً** ﴾ »اهـ .

« متفق عليه »

راجع : أ ـ صحيح مسلم ـ الجزء السابع ـ صفحة ١٣٠ ـ (باب فضائل أهل البيت) مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر الشريف ـ مصر .

ب ـ الحافظ أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي المذهب المعروف (بأخطب خوارزم) : المناقب للخوارزمي ، (الفصل الخامس) صفحة ٢٣ ـ طبع سنة ١٣٨٥ هـ ـ .

ج ـ شيخ الشافعية المحب الطبري : ذخائر العقبى ـ صفحة ٢١ ـ ، قال الطبري : أخرجه الترمذي (محمد بن عيسى من أصحاب السنن الستة عند إخواننا أهل السنة والجماعة) وقال : حَسَن ، وفي الصفحة ٢٢ ـ قال : أخرجه أحمد (الإمام أحمد بن حنبل) وخَرَّجَ الدولابي معناه مختصراً ، وفي الصفحة ٢٣ ـ أورد الحديث ، مع زيادة « أنا حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم ، عدو لمن عَاداهم ، قال الطبري : « أخرجه ابن القباني في معجمه ، وأبو الخير القزويني الحاكمي ، وقال : صحيح إسنادُهُ ، ثقاتٌ رواته . . . الخ . . فراجع .

الفصـــل الأول

أهل البيت يتحدثـون . . .

إنّ الحديث عن أهل البيت المحمدي هو الحـديث الذي تجـد فيه نفوس الصالحين رائحـة الجنة . . ذلـك لأنّ سيرة حيـاة كلٍّ منهم روضـة معطار من رياض الجنة . . .

ولقـد أحسن بعض العلماء حين قـال : الجنَّةُ معـرفـة الله . . . أي إنّها تؤدي إلى الجنة . . . ومن أهـل البيت وعنهم أخذ النـاس معرفـة الله عزَّ وجل . . .

هـوذا عليٌّ أميـر المؤمنين (ع) يتحـدَّث عنهم في إحـدى خـطبـه فيقـول : « هم عيش العلم ، ومـوتُ الجهـل ، يُخبـركم حِلْمُهُمْ عن علمهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يُخالفون الحقَّ ، ولا يَختلفون فيـه ، وَهُمْ دَعَـائم الإسْـلام ، ووَلائـجُ الاعتصـام ، بهم عـاد الحقُّ في نصابه ، وانزاحَ الباطلُ عنِ مُقامه ، وانقطع لسانُه عن مَنْبته .

عَقلوا الدين عَقْلَ وِعاية ورعاية ، لا عقل سماعٍ ورواية ، فإنّ رواةَ العلم كثير ، ورُعاته قليل »[1] .

أولئك هم أهل البيت المحمدي . . . هم مصدر العلم لكـل عالم

---

(١) نهج البلاغة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٣٢ ـ طبع دمشق ـ كرم .

ومتعلم ، كما أنّ الشمس مصدر الحياة لكل المخلوقات . . . ولا ريب أنَّ الجهل هو الذي يَسْحَق كرامة الإنسان . .. ويحرمه من نعيم التطور الفاعل روحياً . . واجتماعياً . . . واقتصادياً . . . وثقافياً . . ووجود الأئمة من أهل البيت يقتل ذلك الوحش الضاري الذي يهيمُن بقسوته على المجتمعاتِ الإنسانيَّة فيقتل فيها روح النضال من أجل تقدمها نحو الأفضل في جميع مرافق الحياة . . . وأهل البيت بما عندهم من علوم متنوعة . . . ينيرون العقول ، وحين تستنير العقول تنقشع ظلمات الجهل ، وتزول دولته . . وتأخذ الأمّة بالترّقي في سُلّم الحضارة . . . والمدنيّة . . .

وسيرة حياة أهل البيت (ع) تعطينا النبأ اليقين عنهم . .

فهم لا يُخالفون الحق ، ولا يفارقونه لمح بصر . . . هم مع الحقِ والحقُّ معهم . . . وهم يعرفون الحقَّ معرفةً كاملة ، ويعملون به . . وتلك المعرفة السَّامية جعلتهم الركائز الثابتة الراسخَة التي يقوم عليها صرح الإسلام بعد رسول الله (ص) ، ومعارفهم الفذَّة ، وأخلاقُهم المحمديَّةُ ـ القرآنيَّةُ ، جعلتهم قبلة المسلمين . . . يرجع إليهم علماؤهم وفقهاؤهم في كل شأنٍ من شؤون التشريع الإسلامي . . فَيُفيضونَ عليهم من : الشرح ، والتحليل . . والتعليل ، ما تطيب به نفوسهم ، وتهش له قلوبُهم . . .

أولئك هم أهل البيت في رؤية الإمام القدوسيَّة . . .

أمّا الباقر (ع) فإنّه يرسم لنا صورة مشرقةً بالنضارة والطهارة عن أهل البيت . . .

هم شجرة النبوة الرفيعة القداسة . . وعندهم من العلم جواهره . . . وعليهم تَتَنَزَّل الملائكة . . وهم الذين استودعهم جَدُّهُمْ رسول الله مخزون أسرار الملك . . والملكوت . . . وهم الذين فرض الله ولايتهم على كل مسلمٍ ومسلمة . . . فمن أطاع الله ورسوله فيهم ،

ظفر بالروح والريحان . . . ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه . . .

لِنَسْتَمِعْ إلى كلماته بأعيانها : « نحن شجرة النبوَّة ، وَبَيْتُ الرحمة ، ومفاتيحُ الحكمة ، وَمَعْدِنُ العلم ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وموضع سِرِّ الله ، ونحن وديعة الله في عباده ، ونحن حَرَمُ الله الأكبر ، ونحن عَهْدُ الله ، فَمَنْ وفى بذمتنا فقد وَفَى بذمَّة الله ، وَمَنْ وَفَى بعهدنا فقد وَفَى بعهد الله ، ومن خَفَرَنا فقد خَفَرَ ذمَّةَ الله » أهـ[٢] .

ويأتي أبو عبد الله الصادق (ع) فَيُبَيِّنُ لنا أنّ الإسلام بُني على دعائم خمسٍ منها ، ولاية علي وأهل البيت ، لِنُصْغِ إليه يقول : « بُني الإسلام على خمسٍ دعائم ، على : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وولاية عليٍّ أمير المؤمنين ، والأئمة من ولده » أهـ[٣] ـ أي إنّه يجب التمسُّكُ بولايتهم كما يجبُ التمسُّكُ بأركان الإسلام سواءً بسواء . .

ويتحدث إلينا الصادقُ مَرَّةً ثانيةً عن أهل البيت ، فيوضح لنا : إن ذكرهم عند عارفيهم معرفةً حقيقيَّةً يَشْفيهم من أمراض : الروح . . . والجسد . . وإنّ النَهْجَ الذي يَسيرون عليه هو النهج النورانيُّ المؤدِّي إلى الله . . وإنّ المتدبِّر لأقوالهم ، العاملَ بها يَحْشُرُهُ الله معهم في دار كرامته .

ألا فَلْنَمْلأْ قُلوبَنا من وحي كلماته المباركات . . .

قال : « ذكرنا أهل البيت شفاءٌ من العِلَلِ والأسقام وَوَسْواسِ الصُّدور ، وجهتُنا رضى الرب ، والآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس ، ونحن باب حِطَّة وباب السلام ، من دخله نجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ

---

(٢) راجع : محمد بن الحسن بن فروخ « الصفار » : بصائر الدرجات الكبرى ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٧٧ ـ ، منشورات الأعلمي ـ طهران .

(٣) راجع : الشيخ الحر العاملي : وسائل الشيعة ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٦ ـ طبعة رابعة ـ ١٣٩١ هـ (دار إحياء التراث ـ بيروت) .

عنه هوى ، بنا يفتح الله ، وبنا يختم الله ، وبنا يمحو ما يشاء ، ويُثبتُ ، وبنا يدفع الله الزمان الكلِب ، وبنا ينزل الغيث ، فلا يغرّنكم بالله الغرور » أهـ[٤] .

وأرانا نَتَطَلَّعُ بِشوقٍ مُتَأَلِّق إلى الإمام عليٍّ لسانِ الحق ، لنأخذ عنه حديثاً آخر عن أهل البيت ، يصف مكانتهم في المجتمع الإنساني وعند الحي القيوم . .

ها هو عليه السلام يُطْفيء توهُّج شوقنا بكلماتٍ صِدِّيقات يَذْهَبُ ببهجتها التعليق والتحليل . . . قال : « إنّما الأئمة (أي من أهل البيت) قُوامُ الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ، لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلاّ مَنْ عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النَّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه . . . فيهم كرائمُ القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وإن صَمَتوا لم يُسْبَقوا »أهـ[٥] .

هؤلاء أهل البيت صلوات الله عليهم .



---

(٤) راجع : الشيخ الصدوق : الخصال ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٦٢٥و٦٢٦ ـ (حديث أربعمائة) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ، سنة ١٤٠٣ هـ . (الحديث طويل أخذنا منه تلك الفقرات) .

(٥) نهج البلاغة ـ الجزء الثاني صفحة (٤٠و٤٤) مطبعة كرم ـ دمشق .

الفصـــل الثانـي

الرسول يُسَمي أهْلَ بيته . . .

وتسألني : هل سَمَّى الرسولُ أهل بيته ؟؟ .

ونترك للسيدة عائشة أم المؤمنين أن تجيب على هذا السؤال .

قالت ابنة الصِّدِّيق : « خرج النبيُّ غداةً ، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعْر أَسْوَد ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فَدَخَلَ معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليٌّ فأدخله ، ثم قال : **﴿ إنّما يُريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾** »أهـ[6] .

فهي قد سَمَّتْهُمْ واحداً واحداً ، وشَهِدَتْ أنّ الرسول أَدْخَلَهُمْ تحتَ الكساء ، ثم تلا آية التطهير التي خَصَّهَمُ الله بها . .

وإليك شهادةً ثانيةً من السيدة أم سلمة أم المؤمنين .

قالت : « إنّ النبيَّ (ص) جَلَّلَ على الحسن والحسين وَعَلِيٍّ

---

(٦) راجع أ : صحيح مسلم ـ الجزء السابع ـ صفحة ١٣٠ ـ (باب فضائل أهل البيت) طبع صبيح وأولاده ـ مصر .

ب : د . مصطفى الرافعي : إسلامنا ـ صفحة ١٢١ ـ تحت عنوان : الخلافة والإمامة ـ طبعة أولى (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) .

وفاطمة كِسَاءً وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامَّتي أذهِب الرجس عنهم وَطَهِّرهُمْ تطهيرا .

فقالت أم سلمة : أنا معهم يا رسول الله ؟؟ .

قال : إنّك على خير » أهـ[٧] .

وعنها أيضاً : « إنَّ رسول الله قال لفاطمة : ائْتني بزوجك وابنيك فجاءت بهم ، فأكفأ عليهم كسَاءً فَدكِيّاً ، ثم وَضَعَ يَدَهُ عليهم ثم قال : « اللهم إنّ هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنّك حميد مجيد » .

قالت أم سلمة : فرفعتُ الكساء لأدخل معهم ، فجذبه رسول الله وقال : إنّك على خير »[٨] .

وهذه شهادةٌ ثالثة من الصحابي المعروف « أبو سعيد الخُدري » ، قال : « في قوله تعالى : ﴿ إنّما يُريد الله الآية . . . . ﴾ قال : نزلت في خمسة ، في رسول الله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين » أهـ[٩] .

وهذا عطاء بن أبي رباح يقدم لنا شهادة عن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي (ص) ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ، وهو في بيت أم سلمة ، فدعا

---

(٧) راجع شيخ الشافعية ومحدث الحجاز : محب الدين الطبري : ذخائر العقبى ـ صفحة ٢١ ـ تحت عنوان (باب) « في بيان أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ » ـ الناشر ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة . عام ١٣٥٦ هـ .

(٨) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٩) راجع أ : المصدر السابق صفحة ٢٤ ـ . وقال عن الحديث : أخرجه أحمد في المناقب ، وأخرجه الطبراني .

ب : د . مصطفى الرافعي ـ مستشار المحكمة الشرعية العليا ـ في لبنان ـ حنفي المذهب : إسلامنا ـ المذكور ، ص (١١٨ و١١٩) .

فـاطمـة وحَسَنـاً وحُسَيناً وعليّـاً فَجَلَّلَهُمْ جميعـاً بكسـاء : عليٌّ خلفـه ، وفـاطمة ، وحسن ، وحسين بين يـديـه ، فقـال : « اللهم هؤلاء أهلي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

فقالت أم سَلَمَةَ : أنا منهم ؟؟ .

قال : أنت في مكانك ، وأنت على خير » أهـ[١٠] .

وإليك أبا الحمراء هلال بن الحارث ـ خادم رسـول الله يطلع علينـا بهـذا الحديث ، قـال : « كان رسـول الله يجيءُ عند كـل صـلاة فَجْـر ، فيـأخذ بعضـادة هذا البـاب ، ثم يقـول : السـلام عليكم يـا أهـل البيت ورحمة الله وبركاته ، فيـردون عليه من البيت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فيقـول : الصـلاة رحمكم الله ، ﴿ **إنّمـا يـريـد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ .

قـال نفيـع بن الحـارث : فقلت : يـا أبـا الحمـراء . مَنْ كـان في البيت ؟؟ .

قال : عليٌّ ، وفاطمة ، والحسن والحسين » أهـ[١١] .

أمّا الصحابي أنس بن مالك فيقـول : « كان النبيُّ يـأتي ستة أشهـر باب فاطمة عند صلاة الفجر ، فيقول : الصلاة يـا أهل بيت النبـوّة ثلاث مـرّات : ﴿ **إنّما يُـريدُ الله ليـذهب عنكم الرجس أهـل البيت ويـطهـركم تطهيرا** ﴾ » ، ويروي هذا الخبر بإسناده لثلاثمائة من أصحـابه ، منهم من قال : ثمانية أشهر ، ومنهم من قال : عشرة أشهر » أهـ[١٢] .

---

(١٠) الحافظ الحاكم الحسكاني « حنفي المذهب » : شواهد التنزيل ـ الجـزء الثاني ـ صفحـة ٨٠ ـ طبع دار الصادق ـ بيروت تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي .

(١١) المصدر السابق ، صفحة ـ ٤٧ و٤٨ ـ وأخرج الحاكم الحسكاني أحاديث كثيرة بهذا الشأن ، راجع من صفحة ١٠ إلى صفحة ٩٢ .

(١٢) راجع الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٨٥ ـ تحت عنوان (المودة الحادية عشرة في فضائل فاطمة) .

وأرى فاتح العراق يستوقفنا . . .

ذلك سَعْدُ بْنُ أبي وقاص صاحبُ الرسول .

إنّه يُريد أن يُدلي بما سمعه من رسول الله ، ووعاه قلبه ، وآمن به عَقْلُه . .

معاوية بن أبي سُفيان حاكم المسلمين . . في المدينة المنورة . . .

وفي مجلس غاصٍّ بعيون الناس ، يطلب منه أن (ينال) من علي بن أبي طالب رأس البيت النبويّ بعد رسول الله (ص) . .

فماذا قال له سعد . . .

لقد تحدَّى سلطان معاوية غير هيَّاب ولا وجل ، وها هو يُفرغ في أسماعنا ما قاله له : « أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهُنَّ له رسول الله (ص) فلن أَسُبَّهُ ، لأن تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أَحَبُّ إليَّ مِن حُمْرِ النِّعم .

سَمِعْتُ رسول الله يقول له خَلّفَهُ في بعض مغازيه ، فقال له عليٌّ : يا رسول الله خَلّفْتَني مع النساء والصبيان ؟ .

فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنّهُ لا نبوّة بعدي ؟ .

وَسَمِعْتُه يَقولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : لأُعْطيَنَّ الراية رجُلاً يُحبُّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . قال : فتطاولنا لها .

فقال : ادعوا لي عليّاً ، فأتي به أرمَدَ ، فبصق في عينه ، ودفع الراية إليه ، فَفَتَحَ الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية : ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ دعا رسول الله (ص) عليّاً ، وفاطمة ، وحَسَناً وحُسَيناً فقال : « اللهم هؤلاء أهلي »[١٣] .

---

(١٣) راجع الإمام مسلم : صحيح مسلم ـ الجزء السابع ـ صفحة ١٢٠ و ١٢١ (مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر) .

ثم يقـول سَعْـدُ (رضه): وكنت جـالسـاً فتنقَّصـوا عليًّ بن أبي طـالب ، فقلتُ : لقد سمعت رسـول الله (ص) يقول : في عليٍّ خصـال ثـلاث ـ لأن يكـون لي واحـدةٌ منهنَّ أحَبُّ إليَّ من حُمـر النَّعَم ، سَمِعْتُـه يقول : إنّه منّي بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي .

وسمعتـه يقول : لأُعْـطينَّ الرايـة غداً رجُـلاً يُحبُّ الله ورسـولـه ، ويُحبُّه الله ورسوله .

وسمعته يقول : من كنت مولاه ، فعليٌّ مولاه[14] أهـ .

---

(١٤) راجـع الإمام الحـافظ النَّسائي (شـافعي المـذهب) : خصـائص الإمـام أمير المؤمنين علي ـ صفحـة ٤٧ طبعة أولى ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م . والنسـائي هو صـاحب السُّنن الكبرى أحـد الصحاح الستة . . . أمـا حديث المنـزلة « أنت مني بمنـزلة هـرون من موسى إلاّ أنـه لا نبوة بعـدي » فيقول الحـافظ الحاكم الحسكـاني في الجزء الأول من كتـابه « شـواهد التـنـزيـل » المـذكور ـ صفحـة ١٥٢ : وهذا حـديث المنزلـة الذي كـان شيخنا أبـو حازم الحـافظ (هو عمـر بن أحمد بن إبـراهيم العبدري) يقـول : « خَرَّجْتُـه بخمسة آلاف إسنـاد »أهـ وحـديث « لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبـه الله ورسولـه » أخرجـه البخاري في الجـزء الخامس من صحيحه صفحة ١٧٠ ـ (باب غزوة خيبر) ـ وفي الصفحـة ٢٢ ـ (باب منـاقب علي بن أبي طالب) . . وأمّا حديث المباهلة ، فيقـول الشيخ سليمـان القندوزي في الجـزء الثاني من كتابه ينابيع المودة المذكور (الباب التاسع والخمسون) صفحة ١٠٦ ـ يقول نقـلاً عن الصـواعق المحرقـة (الثـالث) ـ أي الحـديث الثـالث ـ « أخـرج مسلم والتـرمـذي عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما نزلت هذه الآيـة ﴿ نَدْعُ أبنـاءنا وأبنـاءكم ﴾ دعا رسـول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي » .

ويقـول ابن حجر في الصـواعق المحرقـة صفحة ١٥٥ تحت عنـوان (الآية التـاسعـة) قـولـه تعالى : ﴿ **فمن حاجَّك فيهمن بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ قـال في الكشاف : لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء ، وهم عليٌّ وفـاطمة والحسنـان ، لأنّها لمـا نـزلت دعاهم (ص) فـاحتضن الحسين ، وأخذ بيـد الحسن ، ومشت فاطمـة خلفه ، وعلي خلفهما فعلم أنّهم المراد من الآيـة ، وأنَّ أولاد فاطمـة وذريّتهم يسمون أبنـاءه وينسبون إليـه نسبة صحيحة نافعة في الـدنيا والآخـرة » أهـ . وأمّا حـديث : من كنت مولاه فعليٌّ مـولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ من عاداه . . الـخ فهو حـديث متواتـر ، وإذا شئت أن تقف على أسمـاء رواته من الصَّحابة والحفّاظ . . وغيرهم فـراجع العـلامة الأميني : الغدير ، المجلد الأول ـ صفحـة ٩ ومـا بعـدهـا ، طبـع دار الكتـاب العـربي ـ بيـروت ، طبعـة رابعـة عام (١٣٩٧ هـ) = (١٩٧٧ م) .

سَعْدٌ يثور غاضباً لماذا ؟؟ .

لأنّهم يعيبون علي بن أبي طالب .. ولكي يُلجم ألسنتهم .. ويجعلهم يعرفون منزلة عليٍّ ويوالونه ، يشهد بما سمعه من رسول الله في علي (ع) .

فعليٌّ رفيع المراتب ... فهو من الرسول بمكانة هرون من موسى .. أي إنّه أخوه ... ووليٌّ كل مؤمنٍ بعده ...

ألم يَقُلْ : «إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليٌّ كل مؤمنٍ من بعدي »[15] .

والله ورسوله يُحبّان عليّاً ، وعليٌّ يُحبُّهما ...

ولعَليٌّ على المسلمين كل ما للرسول عليهم : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » .

* * *

وَيَتَألَّقُ الإعجابُ بعليٍّ بن أبي طالب في عَيْنَيْ صاحبي ..

ويتحرك في مقعده بعدما غاب سَعْدٌ عن أبصارنا ...

فأقول له : رويدَك لا تَبْرَحْ مكانَكَ ، فإنّي أرى شَبَحاً يقصدُنا ..

ويقترب الشبح ويقترب .. ونتبيَّنُهُ ، فإذا هو ابن عباس حِبْرُ الأُمّةَ .

ماذا يُريد ابن عمّ رسول الله ؟؟ ..

ونعلم أنّه إنّما جاء ليحدثنا شيئاً سَمِعَهُ من رسول الله في أهل البيت (ع) .

إذن فَلْنَفْتَحْ لَه قلوبنا .. ونُرهِفْ مسامعنا .. ها هو تنفرج شفتاه ويتلو علينا قوله تعالى : **﴿ قُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ﴾** .

---

(١٥) راجع الحافظ النسائي : الخصائص المذكور صفحة ١٦٥ الحديث رقم (٨٩) .

قالوا : يا رسول الله . مَنْ هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم ؟؟ .

قال : « عليٌّ وفاطمة وولداهما » أهـ[١٦] .

وها هو يُريد أن يُتحفنا بحديثٍ نبويٍّ ثانٍ .

انْتَبِــــــهْ . . . .

دَعْ كلماته تأخذ مجراها إلى لُبِّ لُبِّك . . .

وينطق حبر الأمّة بفصاحته المعروفة ، فإذا هو يقول : قال رسول الله (ص) : « إنَّ مثل أهل بيتي فيكم مَثَلُ سَفينة نوحٍ من ركبها نجا ، ومن تَخَلَّفَ عنها هلك »[١٧] .

ونظرتُ إلى صاحبي أقول له : يبدو أنّ المسلمين اختلفوا في تحديد (قُرْبى) رسول الله ، فجاؤوا يسألونه : مَنْ هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم ؟؟ .

قال : علي وفاطمة وولداهما ، فقطع بذلك دابر كل قولٍ يُقال . . .

وأنّه (ص) أبان للمسلمين قاطبةً في حديث (السفينة) أنّه لا نجاة من الهلاك إلاّ بموالاة أهل بيته : علي وفاطمةً والحسن والحسين . .

وَصَرفْتُ وجهي إلى ابن عباس فلم أَرَهُ ، ولكني رأيت رجلاً آخَرَ

---

(١٦) راجع الفقيه الشافعي ابن المغازلي : المناقب المذكور ـ الحديث ٣٥٢ ـ صفحة ٣٠٩ ـ طبع دار الأضواء ـ بيروت ؛ والمحب الطبري . ذخائر العقبى السالف الذكر ، صفحة ٢٥ و٢٦ .

(١٧) راجع الصواعق المحرقة ـ صفحة ١٨٦ (الفصل الثاني) في سرد أحاديث واردة في أهل البيت . يقول المحدث الشهير ابن الهيثمي الشافعي المذهب ، في هذا الفصل (الحديث الثاني) : « أخرج الحاكم عن أبي ذر أنّ رسول الله قال : « إنَّ مَثَلَ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تَخَلَّفَ عنها هلك » وفي رواية البزار عن ابن عباس ، وعن ابن الزبير ، وللحاكم عن أبي ذر أيضاً : « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » أهـ .

وراجع ذخائر العُقبى : صفحة ٢٠ ، وينابيع المودة ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٦ (الباب الرابع في حديث سفينة نوح) .

وراجع : د . مصطفى الرافعي : إسلامنا ـ صفحة ١٢١ .

بَـدَهَني بالقـول : أنا كعب بن عجـرة صاحب رسول الله، جئناهُ حين نـزل عليـه قولـه تعالى : ﴿ **إنّ الله ومـلائكته يُصَلُّونَ على النبيِّ يـا أيّها الـذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما** ﴾ .

فقلنا : يا رسول الله . قد علمنـا كيف نُسَلِّمُ عليك ، فكيف نصلّي عليك ؟؟ .

فقـال : قولـوا : اللهم صَـلِّ على محمـد وعلى آل محمـد ، كمـا صَلَّيْتَ على آل إبراهيم ، إنّك حميد مجيد .

اللهم بـارك على محمـد وآل محمـد ، كمـا بـاركـت على آل إبراهيم ، إنّك حميدٌ مجيد » أهـ[١٨] .

فأنت ترى أنّه أمر بالصلاة على أهل بيته ، لَقَـدْ « أقامهم في ذلـك مقـام نفسـه ، لأنّ القصـد من الصـلاة عليـه مـزيـد تعظيمـه ، ومنـه تعظيمهم »[١٩] .

وسمع أناساً من أصحابـه يُصلّون عليه ولا يُصَلُّونَ عليهم ، فسـاءه ذلك وقال :« لاتُصلّوا عليَّ الصلاة البتراء . .

فقالوا : وما الصلاة البتراء ؟؟ .

قال : تقولـون : اللهم صَلِّ على محمـد وتُمسكون ، بـل قولـوا : اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد »[٢٠] .

وإيمـاناً بـآيتي : (القُـربى ، والصَّـلاة . . .) اللتين أَنْـزَلَهُمـا الله تكريماً لأهْل البيت قال الإمام الشافعي :

---

(١٨) راجع الإمام البخاري : صحيح البخاري ـ الجزء الثامن صفحة ٩٥ (كتاب الدعـوات) باب الصـلاة على النبي ، والجـزء الـرابـع صفحـة ١٧٨ ، والسـادس ـ صفحـة ١٥١ . والإمـام مالك : الموطّأ ـ صفحة ١١٥ الحديث ٣٩٦ ـ طبعـة ثانيـة ـ دار النفائس ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ ميلادية . . وهناك تفاوت في بعض الألفاظ .

(١٩) الجملة « أقـامهم . . إلى ومنـه تعـظيمهم لابن حجـر الهيثمي ـ الصـواعق المحـرقـة ـ صفحة ١٤٦ تحت عنوان الآية الثانية .

(٢٠) المصدر السابق ـ الصفحة نفسها .

يـا أهـل بَيْت رسـول الله حبّكـم فَـرْضٌ من الله في القـرآن أنْـزَلَهُ
كفـاكم من عـظيم القَـدْرِ أنّكُـم مَنْ لم يُصَلِّ عليكم لا صَلاةَ لَهُ(٢١)

وقال الصوفيُّ المشهور مُحيي الدين بن العربي :

رأيَتُ ولائـي آل طـه فـريضـةً على رغم أهل البعد يورثني القُرْبَا
فما طَلَبَ المبعوث أجْراً على الهُدى بتبليغـه إلّا المـودَّة في القُـرْبَى(٢٢)



(٢١) الصواعق المحرقة ـ صفحة ١٤٨ تحت عنوان ـ الفصل الأول ـ .

(٢٢) راجع الشيخ محمد الصبان « شـافعي المذهب » : إسعـاف الراغبين . بهـامش نور الأبصـار ـ صفحة ١٢٧ ـ طبع دار الفكر .

الفصـــل الثالـث

رسول الله يُفصح عن أسماء الأئمة الإثني عشر

لا ، يـا أخا الـزَّوْراء ، فَثَمَّة تِسْعَـةٌ آخرون مُـطَهَّـرون سَمـاهـم الله لـرسولـه ليلة الإسراء والمعـراج . . وإليك أبـا سليمـان راعي رسـول الله يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول: «ليلة أُسْري بي إلى السماء ، قال لي الجليـل جَلَّ جـلاله : ﴿ **آمن الـرسول بمـا أنـزل إليـه من ربّـه** ﴾ ، فقلت : والمؤمنون .

قـال : صدقتَ يـا محمد ،إنّي اطَّلَعْتُ على أهـلِ الأرض اطِّلاعَـةً فاخْتَرْتُكَ منهم ، فَشَقَقْتُ لك اسْماً من أسمائي ، فلا أُذْكَرُ في موضع إلاّ ذُكرتَ معي ، فأنا المحمود وأنت مُحَمّدٌ .

ثمّ اطَّلَعْتُ الثانية ، فاخترتُ عَليّاً ، فَسَمَّيْتُهُ باسْمي .

يا محمد . خَلَقْتُكَ وَخَلَقْتُ عليّاً وفاطمةَ والحسنَ والحسين والأئمة من ولـد الحسين من نـوري ، وَعَـرَضْتُ ولايتكم على أهـل السَّمـوات والأرض ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، وَمَنْ جَحَدها كان عنـدي من الكافرين .

يا محمد . لـو أنّ عبداً من عبيـدي عبدني حتى ينقـطع ، أو يصير كالشَّنِّ البالي ، ثم جاءني جاحداً لولايتكم ، ما غَفَرْتُ له .

يا محمد . تُحِبُّ أن تراهم ؟؟؟ .

قلت : نعم يا ربّ !! .

قال : فانظر إلى يمين العرش ، فَنَظَرْتُ ، فإذا عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، ومحمد المهدي بن الحسن ، كأنّه كوكبٌ دُرِّيٌّ بينهم . وقال : يا محمد . هؤلاء حُجَجي على عبادي ، وهم أوصياؤك . . » الحديث(٢٣) .

وهذا جابر بن سمرة يقول : « كنت مع أبي عند النبي (ص) فسمعته يقول : « بعدي اثنا عشر خليفةً ، ثم أخفى صوته . فقلت لأبي : ما الذي أخفى صوته ؟؟ .

قال : قال : كلهم من بني هاشم » أهـ(٢٤) .

وهذا ابن عباس يقول : « قَدِم يهوديٌّ يقال له : نعثل ، فقال : يا محمد .أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أجبتني عنها ، أَسْلَمْتُ على يديك .

قال ؛ سَلْ يا أبا عُمارة .

فقال : يا محمد . صِفْ لي رَبَّكَ .

فقال (ص) : لا يوصف إلّا بما وَصَفَ به نَفْسَهُ ؛وكيف يُوصَفُ الخالقُ الذي تعجز العقول أن تُدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تَحُدَّه ، والأبصار أن تُحيط به ، جَلَّ وعلا عمّا يصفه الواصفون ، ناءٍ في قربه ، وقريبٌ في نَأْيه . هو كَيَّفَ الكَيْفَ ، وَأَيَّنَ الأين ، فلا يقال : أين هو ؟؟ .

---

(٢٣) راجع : الشيخ سليمان القندوزي « حنفي المذهب » : ينابيع المودة المذكور ـ الجزء الثالث (الباب الثالث والتسعون) صفحة ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢٤) راجع أ ـ المصدر السابق ـ صفحة ١٠٤ (الباب السابع والسبعون) .

ب ـ عبد الحليم الجندي مستشار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية : الإمام جعفر الصادق صفحة ٢٥٨ طبع القاهرة سنة (١٩٧٧ م) .

هو مُنَزَّهٌ عن الكيفيَّة والأينونيَّة ، فهو الأحد الصمد ، كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نَعْته ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

قال : صَدَقْتَ يا محمد .

فأخبرني عن قولك : إنّه واحدٌ لا شبيه له ، أليس الله واحداً ، والإنسان واحداً ؟؟ . .

فقال : الله عَزَّ وَجَلَّ واحدٌ حقيقيٌّ ، أَحَدِيُّ المعنى ـ أي لا جزء ولا تركيب له ، والإنسان واحدٌ ثُنائيُّ المعنى ، مُرَكّبٌ مِن : روح وبدن .

قال : صَدَقْتَ .

فأخبرني عن وصيِّك من هو ، فما من نبيٍّ إلاّ وله وَصيٌّ ، وإنَّ نبيّنا موسى بن عمران ، أوصى يوشع بن نون .

فقال (ص) : إنّ وَصيِّي علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي : الحسن والحسين يتلوهما تسعة أئمة من صُلب الحسين .

قال : يا محمد . فَسَمِّهِمْ لي .

قال : إذا مضى الحسين ، فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي ، فابنه محمد ، فإذا مَضَى مُحَمَّدٌ ، فابْنهُ علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي ، فهؤلاء اثنا عشر . . الحديث[٢٥] .

وقد حفظ لهؤلاء الأئمة الميامين مكانتهم الباذخة من جدهم رسول الله ومن الإسلام أعلام علماء المسلمين فتحدثوا عن مناقبهم في

---

(٢٥) المصدر السابق (أ) صفحة ٩٩ (الباب السادس والسبعون) . وَيَحْسُنُ أن تُراجَعَ المناقشَةُ العلميَّة ـ العقليَّة التي نقلها العلاَّمة الشيخ سليمان القندوزي في الصفحة ١٠٥ و١٠٦) من الباب (٧٧) ـ الجزء الثالث ، تحت عنوان : (في تحقيق حديث بعدي اثنا عشر خليفةً) .

كتبهم بإجلال وتقديس ، ومنهم من أفرد لهم كتباً تناول فيها سيرة حياة كُلٍّ منهم ، وعرضهم على المجتمع الإنساني على حقيقتهم قمماً عبقريَّةً ، أخص بالذكر منهم مؤرخ دمشق : شمس الدين محمد بن طولون ـ الحنفي المذهب ـ الذي ألَّفَ كتاباً سمَّاه « الشذرات الذهبيَّة في تراجم الأئمة الاثني عشر »[٢٦] .

أمّا الإمام أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي ـ الشافعي المذهب ـ ، فقد اعتمد الشعر أسلوباً ، وَعَدَّهُمْ إماماً بعد إمام مؤكداً أنّهم حجج الله على عباده . . . . وأنّهم السَّبيلُ إليه . . وَيُوضح لنا أنّ الله أنزل قرآناً في الثناء عليهم . . وأنّ النعيم المصفّى من المتاعب لمن أخلص لهم في الولاية . . ومضى على نهجهم السُّبُّوحي . . .

والآن ، هيَّا نُدِرْ إليه أسماعنا إليه وهو ينشد :

وسائلي عن حُبِّ أَهْلِ البيت هَلْ
أُسِرُّ إعلاني بهم ، أم أَجْحَدُ
هيهاتِ ، مَمْزوجٌ بلحمي ودمي
حُبُّهُمُ ، وهو الهدى والرّشَدُ

ولكن ، من هم أهل البيت الذين خالط حُبُّهُم لحمه ودمه ؟؟ .

إنّهم :

حَيْدَرَةٌ ، والحسنان بعده ثم عليٌّ ، وابْنُهُ مُحَمَّدُ
وجعفر الصادق ، وابن جعفر موسى ، ويتلوه عليٌّ السَيِّدُ
أعني الرضا ، ثم ابْنُهُ مُحَمدٌ ثم عليٌّ ، وابْنُهُ المسَدَّدُ
الحسن التالي ، ويتلو تِلْوَهُ محمد بن الحَسَن المُعْتَقَدُ

ثم يُعلن اعتقادَهُ القلبيَّ بأنّهم أئمتُهُ ، وأنّه مُخلصٌ لهم بالولاية ، وإنْ جَرَّحَهُ الآخرون لوماً . . .

---

(٢٦) حَقّقَ الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد ، وتولّى نشره دار صادر ، ودار بيروت ـ بيروت .

ويؤكـد أنّهم أئمة الحق الـذين سَمَّـاهم الله ورسـولـه . . . وأنّ الله أوجَبَ على المسلمين ولايتهم وطـاعتهم ، ذلـك لأنّهم حجـج الله على عباده . . ثم يصفهم . . . ويذكـر شيئاً من مناقبهم . . إليك عبـاراته . . فاقرأها . . ولكن ، متأنياً . .

قَـوْمٌ هُـمُ أئـمتـي وسَـادتـي ... وَإنْ لحـاني مَـعْشَـرٌ وَفُـنَّـدوا
أئـمـةٌ ، أَكْـرِمْ بـهـم أئـمـةً ... أسمـاؤهم مَسْـرودةٌ لا تُـطرَدُ
هـم حُجَـجُ الله عـلى عـبـادِهِ ... وهـم إليـه منهـجٌ وَمَـقْـصَـدُ
هـم الـنـهـارَ صُـوَّمٌ لـربِّـهـم ... وفي الـدَّياجي رُكَّـعٌ وَسُجَّـدُ
قَوْمٌ أتى في « هل أتى » مَديحُهُمْ ... هَلْ شَكَّ في ذلك إلّا مُلْحِدُ[27]
قَـوْمٌ لهم في كل أرضٍ مَشْهَـدٌ ... لا ، بَلْ لَهُمْ في كل قَلْبٍ مَشْهَدُ
قـومٌ ، مِنَى والمشْعـرانِ لهُـمُ ... والمَرْوَتان لَهُمُ ، والمسْجِـدُ[28]
قَـوْم ، لهم مكـةُ والأَبْـطَحُ والْـ ... ـخيف ، وجَمْع ، والبقيعُ الغَرْقَدُ[29]
قوم ، لهم فَضْلٌ ، وَمَجْـدٌ باذِخٌ ... يَعْـرِفُـهُ المُشْـرِكُ والمـوحِّـدُ

ثم يقول : إنّ رسول الله جـدهم ، ونعم الوالـد هو ، ونعم الأبنـاء

---

(٢٧) يُشير بذلـك إلى سورة « الإنسـان » : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الـدهـر ﴾ . . التي نزلت على رسول الله عنـدما قَـدَّم عليٌّ وأهل بيتـه طعامهم ثـلاثة أيـام للمسكين ، واليتيم ، والأسيـر . . وظلوا بلا طعـام . . والحادثـة مشهورة ، ولـذلك يقـول : ما شَـكَّ في نـزولهـا بمدحهم إلّا كافر . .

(٢٨) مِنَى : بلدة قرب مكة ينزلها الحجاج أيام التشْريق . والمشعران : المشعر : موضـع مناسـك الحج ، والمشعر الحرام : المزدلفـة ، قال تعـالى : ﴿ فاذكـروا الله عند المشعـر الحرام ﴾ (البقرة : ١٩٨) والمروة : جَبَلٌ بمكة ينتهي إليه السَّعْيُ من الصفا ﴿ إنّ الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ (البقرة : ١٥٨) ، لذلك ثنّاها في الشعر . والمسجد الحرام : الكعبة .

(٢٩) الأبطح : المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الـرمل والحصى الصغـار ، ومنه أبـطح مكة وهو قريبٌ من مِنَى ومكـة ويضاف إليهمـا ، وهو المحصب . والخَيْف : مـا انحدر عن غِلْظِ الجبل وارتفع من مسيل الماء ، وَخَيْفُ مِنى : المـوضع الـذي ينسب إليه مسجـد الخَيف . وجمـع هو : المـزدلفة ، سُمِّيَ جمعـاً ، لأنّه يجمـع فيـه بين صـلاتي العشـاءين . والبقيـع الفرقَد : مقبرة أبناء المدينة المنورة (راجع ، الوسيط ، ومعجم البلدان) .

هم ، وإن مؤذيهم يكون للرسول مؤذياً ، وله خائناً وخصيمـاً ، تَمَهَّلْ في قراءة قوله :

مـا صَدَقَ النـاسُ ومـا تَصَـدَّقـوا	مـا نَسَكـوا ، وأفــطروا وعبـدوا
ولا غــزَوْا وأوجبــوا حَجّـاً ولا	صَلُّوا ، ولا صاموا ، ولا تعبَّدوا
لـولا رسولُ الله ، وهـو جَـدّهم	يـا حبَّـذا الـوالـدُ ، ثم الــولـدُ
ومـن يَخُـنْ أَحْـمَـدَ فـي أولاده	فَخَصْمُــهُ يَـوْمَ التّـلاقي أَحْمَـدُ

ثم يخلص إلى مناجاتهم فيقول: إنّي أتقَرَّبُ إلى الله بحبكم ، لأنّ الصادق في حبكم مأواه الجنة . . وأمّا معـاديكم فمثواه النـار ، إليك نقي كلماته :

يا أَهْلَ بَيْتِ المُصْطفى يا عُدَّتي	وَمَـنْ عـلى حُـبِّهـمْ أعـتـمِـدُ
أنـتم إلـى الله غــداً وسيـلـتي	فكيف أشقى ، وبكم أَعْتَـضِـدُ
ولّيكم في الخلد حَـيٌّ خـالــدٌ	والضـد في نـار اللظى مُخَلَّدُ
والشــافعيُّ مــذهبي مـذهَبُـهُ	لأنّـه فـي قـولـه مُـؤَيَّـدُ
أتْبَعُـهُ في الأصل والفصـل مَعـاً	فَلْيَتّبِعْني الطالبُ المُسْتَرْشِدُ[٣٠]

والشيخ العارف الكامل ابن معتوق المصري يمدح الرسـول والأئمة المطهرين من ذريته ، ويوضـح لنا أنّ الله أَخَـذَ لَهُمْ الْعَهْدَ على الخـلائق قبـل أن يُلبسَهم الأجساد التـرابيّة ، ثم يختم أبيـاته بـالشكر لله لأنّـه سقاه كأساً رويّةً من حبهم . . هذه كلماته فاتْلُها على نفسك بيتاً . . بيتاً . .

قـد جَـلَّ عن سـائـر التَّشْبيـه رُتْبَتُـهُ
إذ فَـوْقَـهُ لـيسَ إلّا الله فـي الـعِـظَمِ
هــواهُ ديـنـي وإيـمــانـي ومُـعْـتـقـدي
وَحُـبُّ عِتْـرتـه عَـوْنـي وَمُـعْـتـصـمـي

(٣٠) راجع ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ ص ١٤٢ و١٤٣ (البـاب السابـع والثمانـون) ، والأئمة الاثنا عشر : ابن طولون ، صفحة ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ، طبع دار صادر ، ودار بيروت ـ بيروت .

ذُرِّيَّـةٌ مثـلُ مـاءِ المُـزْنِ قـد طَهُـروا
وَطُـيِّـبـوا ، فَـصَـفَـتْ أوصـافُ ذاتِـهِـمِ
أئِـمَّـةٌ ، أَخَـذَ الله الـعُـهُـودَ لَـهُـمْ
على جميـع الـورى من قَبْـلِ خَلْقِهِمِ
كفـاهم مـا « بِعمَّ ، والضُّحى » شَـرَفـاً
والنـورِ ، والنَّجم ، مـن آيٍ أَتَتْ بِـهِمِ
سَلِ « الحواميم » هَـلْ في غيرهم نَـزَلَتْ
وَهَـلْ أتى « هـل أتـى » إلاّ بِمَـدْحِهِمِ
أكـارمٌ كَـرُمَـتْ أَخْـلاَقُـهُـمْ فَـبَـدَت
مِـثْـلَ النُّجـوم بمَـاءٍ فـي صِفَـاتِـهِمِ
أطـايبٌ ، يَجِـدُ الـمُشْـتَـاقُ تُـرْبَتَـهُمْ
رِيحـاً ، تَـدُلُّ بمـا فـي طيـب ذاتِهِـمِ
شُـكْـراً لآلاَءِ رَبِّـي حَـيْـثُ أَلْـهَـمَـنـي
وِلاهُـمُ ، وسَقـانـي كَـأْسَ حُبِّـهِمِ (٣١)

وإنّه ليفرحنا أن نلتقي ثانيةً بالإمام الشافعي (رضه) ، ونُصغي إلى صَوْتِ عاطفته الدينيّة ينبثق شعراً حيّاً من صفاء عقله ، وصميم وجدانه . . .

إنّه يُصَرِّحُ أنّه لو اطَّلَعَ الناس على ما ينطوي عليه قلبه لوجدوه مُجَزَّأً إلى قسمين : يشغل القسم الأول منهُ توحيد الله عز وجل ، وحب العدل الاجتماعي . . . وأمّا القسم الثاني فَيُشْغِلُهُ حُبُّ أهل البيت عليهم السلام وَتَبْلُغُ حلاوةُ القول أَوْجَها حينما نسمعه منه كلمة . . كلمة . .

قال رحمه الله :

(٣١) ينابيع المودة ـ الجزء الثالث المذكور ، صفحة ١٤٤ ـ آخر الباب (٨٧) .

لـو فَتَّشـوا قـلبي لألْفَـوْا بِـهِ   سَطْرَيْنِ ، قَـد خُـطَّا بـلا كـاتِب
العـدل والتـوحيـد في جـانـبٍ   وَحُبُّ أَهْـل البيت في جـانب[٣٢]

ولم يكُنِ الشَّافعيُّ وَحْدَهُ يَهيمُ حُبّاً بأهـل البيت وَيُجِلُّهم ، بل كـان أئمة المذاهب الأخرى كذلك يفعلون .

يقـول ابن حجر الهيثمي في الصـواعق : « وكان أبو حنيفة (رضه) يُعَظم أهل البيت كثيراً . . . »[٣٣] .

ولم يكن أَنَسُ بن مـالك يقـل شَأْنـاً في تقدير أهـل البيت عن أبي حنيفة . . .

وأمّا الإمام أحمـد بن حنبل فقـد أَلَّفَ كتابـاً في مناقب أهـل البيت سَمَّاهُ (المناقب) .

وأئمة المذاهب أخذوا ولاءهم لأهل البيت من ثلاثة مصادر :

المصدر الأول : كتاب الله الذي لا يأتيه الباطـل من بين يديـه ولا من خلفـه ، ففيهم أنـزل سبحـانـه آيـات : التـطهيـر ، والمبـاهلة . . . والقربى . . . والولاية . . وسورة الإنسان . . وغيرها. . . وغيرها . . .

المصدر الثاني : رسـول الله (ص) الذي لا ينـطق عن الهوى . . . وقـد سمعنا طـرفاً من أقـواله فيهم . . . ويجـدر بنـا الآن أن نَسْتَمِـعَ إلى بَعْض وصـايـاه فيهم . . . وتحـذيـر المسلمين مـن معـاداتـهم . . أو بغضهم . . .

وأولى مَنْ يذكر لنا حروف تلك الوصايـا أصحاب رسـول الله الذين عايشوه وسمعوا عباراته . . وَوَعَوْا معاني كلماته . . .

هـذا زيـد بن أرقم الصحـابي الأنصـاري يقـول : « لمـا دَفَـعَ النبيُّ (ص) من حَجَّةِ الوداع ، وَنَزَلَ « غدير خم » أمر بدوحاتٍ فَقُمْمِنَ ثم

---

(٣٢) المصدر السابق صفحة ١٤٢ .

(٣٣) راجع الصواعق المحرقة (المقصد الخامس) صفحة ١٨٠ .

قال : « كأنّي دُعيت فأجبتَ ، وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين أحـدهما أكبـر من الآخر : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفـوني فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

ثم قال : إنّ الله مولايَ ، وأنا وليُّ كل مؤمن .

ثم إنّه أخذ بيد علي فقال : من كنت وليّـه فهذا وليُّـه ، اللّهـم والِ مَنْ والاه ، وعادِ من عاداه » أهـ .

ويسأل أبو الـطفيل (عـامر بن واثلة) زيـداً فيقول لـه : سَمِعْتَهُ من رسول الله ؟؟ .

قال : نعم ، وإنّه ما كان في الـدوحات أحَـدٌ إلاّ رآه بعينه وسمعـه بأذنه » أهـ[٣٤] .

وفي رواية صحيح مسلم عن زيد قال : « قام رسول الله فينا خطيباً بماء يُدعى « خُمّاً » بين مكَّةَ والمـدينة ، فحمـد الله ، وأثنى عليه ،وَوَعَظَ وذكَّر ، ثم قال : أمّا بعد . ألا أيُّها الناس ، فإنّما أنا بشر يوشِكُ أن يـأتي رسول ربّي فأجيبَ ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْن ، أولهما كتاب الله فيـه الهدى والنـور ، فخـذوا بكتـاب الله ، واستمسكـوا بـه ، فَحَثَّ على كتـاب الله ورغَّبَ فيه ، ثم قال : وأهـل بيتي ، أذكركم الله في أهـل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . . . . »[٣٥] .

ويُعَلِّقُ ابن حجر الهيثمي على حديث الثقلين فيقول : « وفي رواية صحيحـة : « كـأني قـد دُعيتُ فـأجبتُ ، إنّي قـد تـركتُ فيكم الثقلين أحـدهما آكـد من الآخر : كتـاب الله عـزّ وجـل وعتـرتي فـانـظروا كيف

(٣٤) راجع أ ـ الحـافظ أبـا عبـد الـرحمن النَّسـائي : خصـائص الإمـام أميـر المؤمنين (طبعـة أولى ـ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) صفحة ١٥٠ و١٥١ .
ب ـ الدكتور مصطفى الرافعي : إسلامنا ، صفحة ١٢٢ طبعة أولى ١٩٨٤ م .

(٣٥) راجع صحيح الإمام مسلم ـ الجزء السابع صفحة ١٢٢و٢٣ ـ (باب من فضائل علي بن أبي طالب) طبع محمد علي صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر الشريف ـ مصر .

تخلفوني فيهما ، فإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ،وفي رواية : وإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ، سألت ربّي ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تُقَصِّروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلمُ منكم » . ثم يقولُ ابن حجر : ولهذا الحديث طرقٌ كثيرة عن بضعة وعشرين صحابياً لا حاجَةَ لنا بِبَسْطها ، وفي رواية : آخر ما تكلم به النبي : « أخلفوني في أهلي . . . » أهـ[36] .

في هذا الحديث المتفق عليه يؤكّد الرسول للمسلمين أن اتحاداً فعليّاً لا تنفصم عُراه ثابتٌ بين أهل بيته وبين كتاب الله ، وهذا الاتحاد سيظل قائماً حتى يوم الدين . . .

وكلمات الرسول (ص) هذه دليل قاطعٌ على أنّ ولايتهم وطاعتهم مفروضة على كل مسلم ومسلمة ، كما أنّ العمل بأحكام القرآن وتشريعاته مفروضة على كل مسلم ومسلمة . . .

وفي كلماته تلك تحذيرٌ للمسلمين أن ينصرفوا عن أهل بيته ، لأنَّ الانصراف عنهم انصرافٌ عن كتاب الله ، وفي الانصراف عن كتاب الله الضلال كل الضلال .

ثم يحذرهم أن يتقدموا عليهم في أمر ما ، أوْ يُقصِّروا عن العمل بأقوالهم ، لأنّ في كليهما : ـ التقدم عليهم ، والتقصير عن العمل بأقوالهم الهلاك ـ . . ذلك لأنّهم والقرآن صنوان لا يفترقان حتى قيام السَّاعة . .

ثم يؤكد أنّ أهل بيته معدن العلم . . . وعنهم يُؤخَذُ العلم . . ورثوا ذلك منه صلوات الله عليه «لا تُعلموهم فإنّهم أعلم منكم » أهـ .

وهذا حديثٌ آخر ، يطلع به رسول الله على المسلمين يحضّهم فيه

---

(36) راجع أ ـ الصواعق ـ (باب وصية النبي بأهل بيته) ـ صفحة ٢٢٨ ـ طبعة ثانية ـ ١٣٨٥ هـ ـ مكتبة القاهرة .

ب ـ عبد الحليم الجندي المستشار في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر : الإمام جعفر الصادق ، صفحة ٢٥٠ ـ طبع القاهرة (١٣٩٧ هـ) .

أن يُحبّوا الله لنعمه الكثيرة التي يُسبغها عليهم ، وأن يُحبّوا رسول الله لأنّ الله يُحبّه ، وأن يُحبّوا أهل بيته إذا كانوا صادقين في حبّهم للرسول الكريم .

الحديث ـ كما سنرى ـ يَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّ الله ، وحبّ رسوله في وثاقٍ واحد ، ويجعل حُبَّ أهل بيته برهاناً ساطعاً على حبّه وحبّه برهاناً على حبّ الله ، فمن أحبَّ أهل بيته بصدقٍ تتحقق له محبة الله ورسوله ، وإليك الحديث الذي لا خلاف عليه .

قال (ص) : أَحِبّوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأَحبوني لحبِّ الله ، وأَحِبُّوا أهل بيتي لحبّي » أهـ[37] .

وإنّه ليسعدنا أن نسمع عليَّ بن أبي طالب (ع) يحدثنا فيقول : « إنّ رسول الله أخذ بيد حسن وحسين ، وقال : « مَنْ أَحَبَّني وَأَحَبَّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة » أهـ[38] .

ذلك شأن الذين يحبّون آل محمد ينعمون برضوان الله ورسوله . . وبالتّالي في الفردوس الأعلى من جنّات الرحمن .

ومبغضهم ، ماذا في شأنه ؟؟ .

إنّ الله سبحانه جعل لكل عملٍ جزاءً ، فكما جعل جزاء الذين يوالون أهل البيت ولاءً صادقاً جَنَّة الخلد ، فقد جعل جزاء مبغضهم عذاب الحريق .

إليك ابن عباس ينقل إلينا ما سمعه من رسول الله بأذنيه وتَعَطَّر به فؤاده ، قال : قال رسول الله (ص) : لو أنّ رَجُلاً صَفَّ بين الركن والمقام ، فَصَلّى وصام ثم لقي الله مُبغضاً لأهل بيت محمد دخل

---

(37) راجع الفقيه ابن المغازلي : المناقب ـ الحديث ١٧٩ ـ صفحة ١٣٦ ـ طبع عام ١٤٠٣ هـ (طبع دار الأضواء ـ بيروت) .

(38) راجع ابن الأثير الجزري الشافعي المذهب : أُسُد الغابة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٦٠٧ ـ طبع دار الفكر .

النار »آهـ[٣٩] .

هكذا لو أفنى المسلم عمره مُصليّاً في بيت الله الحرام التي تعدل الصلاة فيه مائة ألف صلاة في غيره من المساجد ، وهو غَيْرُ مُحِبٍّ لأهل البيت لانتهى به المطاف يوم الحساب إلى جهنم وساءت مصيراً .

وأبو سعيد الخدري أحد أعلام الصحابة يروي لنا حديثاً آخر سمع رسول الله يُلقيه كلمة ، كلمة ، قال : قال رسول الله : « من أبغضنا أهل البيت فهو منافق »[٤٠] .

والله ـ تقدّست ذاته ـ يقول: ﴿ **إنَّ المنافقين في الـدَّرْك الأَسْفل من النَّار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[٤١] .

وقد خَصَّ رسول الله أهل بيته بأحاديث كثيرة تنبيهاً للمسلمين على أنّه لا يُقاس بهم أحد ، وعلى وجوب محبّتهم والسير على نهجهم الرحماني نأخذ منها :

١ ـ عن علي بن أبي طالب (ع) رأس البيت النبوي بعد رسول الله (ص) .

قال زرُّ بن حبيش: سمعت عليّاً يقول : « والذي فَلَقَ الحبَّةَ ، وبرأ النَّسْمَةَ إنّه لَعَهْدُ النبي الأمّيِّ (ص) إليَّ : أَنْ لا يُحبَّني إلاّ مؤمنٌ ، ولا يُبْغضني إلاّ مُنافق »[٤٢] .

---

(٣٩) راجع شيخ الشافعية محب الدين الطبري : ذخائر العقبى صفحة ١٨ ـ تحت عنوان (ذكر ما جاء في الحث على حبهم والزجر عن بغضهم) ، وراجع ينابيع المودة ـ للشيخ القندوزي الحنفي المذهب ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٧ ـ (باب . وفي الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي خاتمة حُفَّاظ مصر) .

(٤٠) راجع السيوطي الشافعي المذهب : الدر المنثور ـ تفسير آية المودة : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى . .** ﴾ (الشورى : ٢٣) .

(٤١) النساء : ١٤٥ .

(٤٢) راجع أ ـ صحيح مسلم ـ الجزء الأول (باب الدليل على أنّ حُبَّ الأنصار وَعَليٍّ من الإيمان) صفحة ٦١ طبع مصر .

ب ـ الحافظ النِّسَائي : الخصائص المذكور ، صفحة ١٨٧ و ١٩١ .

وهــذه أمّ المؤمنيـن السيــدة أم سَلَمَــة تــروي أنّهــا سمعت من رســول الله (ص) قولـه : « مَنْ أَحَبَّ عليّاً فقـد أَحَبَّني ، ومن أَحَبَّني فقـد أَحَبَّ الله ، ومَنْ أَبْغَضَ عليّاً فقـد أبغضني ، ومَنْ أَبْغَضني فقـد أَبْغَضَ الله »[٤٣] .

وقال (ص) لعلي : « أنت مني وأنا منك »[٤٤] .

وَمَـرَّةً أخرى تـأتينا السَّيِّـدة أم سَلَمَة لتقـول لنـا : سمعت النبيَّ (ص) يقول : « عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقـان حتى يردا عليَّ الحوض » أهـ[٤٥] .

وَيُحَـدِّثُ الصحـابي الأنصـاري الخـزرجي زيـد بن أرقـم أنَّ رسـول الله (ص) قال لعليٍّ وفـاطمة والحسن والحسين : « أنـا حَرْبٌ

= ج ـ ابن الأثيـر الجزري ـ شـافعي المـذهب : أُسُـد الغابـة ـ الجـزء الثـالث ـ صفحة ٦٠٢ ـ ترجمة (علي) .

د ـ ابن حجر العسقلاني ـ شافعي المذهب : الإصابة ـ الجزء الثاني ـ صفحـة ٥٠٩ ـ (ترجمة علي بن أبي طالب) رقم ٥٦٨٨ .

هـ ـ ابن حجر الهيثمي : الصَّواعق المحرقة : صفحـة ١٢٢ ـ (الحديث الثَّامن) من البـاب التاسع وغيرهم . . والحـديث كغيره من الأحـاديث التي نُوردهـا مُتَّفَقٌ عليه وعليها . . .

(٤٣) راجع الشيخ مؤمن بن حسن الشَّبَلَنْجي الشافعي المذهب : نـور الأبصار ـ صفحـة ٨٩ـ طبع دار الفكر .

وراجع : الشيخ محمد الصبان الشافعي المذهب : إسعـاف الراغبين ، بهـامش نور الأبصـار صفحة ١٧٢ .

(٤٤) راجـع : صحيـح الإمـام البخـاري ـ الجـزء الخـامس ـ صفحـة ٢٢و١٨٠ ـ مـطابـع الشعب ـ ١٣٧٨ هـ .

(٤٥) راجـع أ ـ الإمام الحـافظ جـلال الـدين السيـوطي (شـافعي المـذهب) : تـاريخ الخلفـاء ـ صفحة ١٧٣ ـ (طبعة رابعة ١٣٨٩ هـ =١٩٦٩ م) طبع مصر .

ب ـ الهيثمي : علي بن أبي بكـر (شـافعي المـذهب) : مجمـع الـزوائـد ـ الجـزء التاسع ـ صفحة ١٣٤ .

ج ـ الصواعق المحرقة : (الباب التاسع) صفحة ١٢٤و١٢٦ .

د ـ د . مصطفى الرافعي : إسـلامنا ـ صفحـة ١٢١ ـ طبعة أولى ـ الأعلمي ـ بيـروت ـ ١٤٠٤ هـ .

لمن حاربتم ، سلم لمن سالمتم » أهـ[٤٦] .
٢ ـ وعن السيدة الزهراء (ع) .
الصحابيُّ المسور بن مخرمة يشهد أنّه سمع رسول الله يقول : « فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني »أهـ[٤٧] .
وفي صحيح الإمام مسلم عن المسور أنّه سمع رسول الله يقول : « فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها »[٤٨] .
وعَليٌّ (ع) يُحَدِّثُ عن رسول الله أنّه قال لفاطمة : « إنّ الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك »[٤٩] .
والإمام البخاري أخرج في صحيحه عن النبيِّ أنّه قال : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة »[٥٠] .
٣ ـ الحسن والحسين .
حَدَّثَ الصَّحابي المعروفُ البَرَّاء بْنُ عازب الأنصاري الأَوْسي فاتح الري فقال : « رأيْتُ النبيَّ والحَسَنُ على عاتقه يقول : « اللهم إنّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ »[٥١] .
والصحابيُّ أبو هريرة يُحَدِّثُ عَمَّا رأى ، وَعَمَّا سَمِعَ ، قال : إنّه رأى

---

(٤٦) راجع أ ـ ابن الأثير الجزري : أسد الغابة ـ النساء الجزء السادس ـ صفحة ٢٢٥ ـ ترجمة (فاطمة) .
ب ـ تحفة الأحوزي ـ أبواب المناقب ـ باب ما جاء في فضل فاطمة ـ الحديث ٣٩٦٢ ـ الجزء العاشر ـ صفحة (٣٧١ و٣٧٢) .
ج ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى ـ صفحة ٢٥ ـ تحت عنوان (ذِكْرُ أنه حَرْبٌ لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم) .
(٤٧) راجع صحيح البخاري ـ الجزء الخامس ـ صفحة ٢٦ (باب مناقب قرابة النبي) .
(٤٨) راجع صحيح مسلم ـ الجزء السابع ـ صفحة ١٤١ ـ (باب فضائل فاطمة) .
(٤٩) راجع أ ـ ابن الأثير الجزري : أسد الغابة ـ صفحة ٢٢٤ ـ (ترجمة فاطمة) رقم ٧١٧٥ .
ب ـ ابن المغازلي : المناقب ـ صفحة ٣٥١ ـ الحديث ٤٠١ .
ج ـ الشيخ القندوزي : ينابيع المودة ـ ج ٢ ـ ص ٧٠ ـ (الباب : الخامس والخمسون) .
(٥٠) راجع صحيح البخاري ـ الجزء الخامس ـ صفحة ٢٥ ـ (باب مناقب قرابة النبي) .
(٥١) المصدر السابق ـ صفحة ٣٣ ـ (باب مناقب الحسن والحسين) .

رسـول الله يُعانق الحَسَن وَيُقَبِّلُهُ وَيَقـولُ : « اللهم أَحْبِبْهُ ، وَأَحَبَّ من يُحبُّهُ »[٥٢] .

أمّا الصحابيُّ يعلى بن مُرَّة الثقفي فيروي مـا سمعه من فم رسـول الله عن الحسين ، قال : قال رسول الله : « حسينٍ مني وأنا من حُسَين ، أَحَبَّ الله مَنْ أَحَبَّ حسيناً ، حُسَين سِبْطٌ من الأَسْبَاط »أهـ[٥٣] .

ويأتينا أبو سعيد الخدري ليُحَدِّثنا عن مَنْزلة الحَسَن والحسين في جَنّة الـرحمن كمـا شهـد رسـول الله فيقــول : قــال رســول الله (ص) : « الحسن والحسين سَيِّدا شباب أهل الجنّة » أهـ[٥٤] .

ويقـدم لنا الإمـام علي بن أبي طـالـب (ع) صـورةً واضحـة عن النَّبيّ والحسن والحسين وهو ممسك بيديهما حين يقول : « أَخَذَ النَّبيُّ بيـد الحسن والحسين فقـال : « من أَحَبَّني وَأَحَبَّ هذين وأبـاهمـا وأمهمـا كان معي في درجتي يَوْمَ القيامة » اهـ[٥٥] .

---

(٥٢) راجع : أ ـ صحيح البخاري ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٨٧ ـ (باب ما ذكر في الأسواق) .
ب ـ صحيـح مسلم ـ الجزء السـابع ـ صفحـة ١٢٩ و١٣٠ ـ (باب فضـائـل الحسن والحسين) .

(٥٣) راجـع : أ ـ ابن الأثير الجزري : أسـد الغابـة ـ الجـزء الأول ـ صفحـة ٤٩٧ ـ (تـرجمـة الحسين بن علي) رقم ١١٧٣ .
ب ـ الشيـخ سليمـان القنـدوزي : ينـابيـع المـودة ـ الجـزء الأول ـ صفحـة ١٦٣ ـ (الباب : ٥٤) نقلًا عن المحـدث ابن ماجـة (محمد بن يـزيد القـزويني) صاحب السنن ـ شافعي المذهب .
ج ـ المحب الطبري : ذخـائر العقبى ـ صفحـة ١٣٣ ـ (ذكر مـا ورد في كل واحـد منهما) .

(٥٤) راجع : أ ـ النسائي : الخصائص ـ الحديث ١٤٠ ـ صفحة ٢٥٥ .
ب ـ ينابيع المـودة ـ الجزء الأول ـ صفحـة ١٦٢ ـ (الباب : ٥٤) نقـلًا عن الحافظ التـرمـذي (محمـد بن عيسى) شـافعي المـذهب من أصحـاب الصحــاح الستة . .
ج ـ ابن الأثيـر الجزري ـ أسـد الغابـة ـ الجزء الأول ـ صفحـة ٤٨٧ و٤٨٩ (ترجمـة الحسن بن علي) .

(٥٥) راجع : أ ـ الفقيه ابن المغازلي : المنـاقب ـ صفحة ٣٧٠ ـ الحديث ٤١٧ . =

يبقى أن نستمع إلى سلمان يقول : قال رسـول الله (ص) : « الحسن والحسين من أحبهما أحببته ، ومن أَحْبَبْتُه أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله جنّات النعيم . ومن أبغضهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذابٌ مقيم » أهـ[٥٦] .

ويكرر الرسول القول المرة بعد المرة إنّ الحسن والحسين سيدا شباب سُكّان الجنّة ، فهوذا عليٌّ بن أبي طالب يحدّثنا أيضاً أنّه سمع رسول الله يقول ؛ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خَيْرٌ منهما » أهـ[٥٧] .

ويطل علينا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضه) ليقول : سمعتُ رسول الله (ص) يقول عن الحسن والحسين (ع) : «هما ريحانتايَ من الدنيا » أهـ[٥٨] .

ب ـ الإمام أحمد بن حنبل : المسند ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٧ ـ طبع الميمنيّة ـ مصر سنة ١٣١٣ هـ .

ج ـ الترمذي ـ صحيح الترمذي ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٣٠١ .

د ـ المحدث القاضي عياض (مالكي المذهب) : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ الجزء الثاني ـ الفصل الثاني صفحة ٤٧ ـ تحقيق محمد أمين ورفاقه ـ مكتبة الفارابي ـ دمشق .

(٥٦) راجع : أ ـ الهيثمي : مجمع الزوائد ـ الجزء التاسع ـ صفحة ١٨١ ـ الناشر مكتبة حسام الدين القدسي ـ مصر (١٣٥٢ هـ) .

ب ـ الحاكم النيسابوري : مستدرك الصحيحين الجزء الثالث ـ ص ١٦٦ ـ طبع حيدر آباد دكن عام ١٣٢٤ هـ .

ج ـ المحدث القاضي عياض : الشفا ـ الجزء الثاني المذكور ـ صفحة ٥٩و ٦٠ .

(٥٧) راجع : أ ـ الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) شافعي المذهب : تاريخ بغداد ـ الجزء الأول صفحة ١٤٠ ـ مطبعة السعادة ـ مصر ، سنة ١٣٦٠ هـ .

ب ـ الهيثمي : مجمع الزوائد ـ الجزء التاسع المذكور ـ صفحة ١٨٣ .

ج ـ النسائي : الخصائص ـ صفحة ٢٥٥ .

د ـ ابن حجر : الصواعق ـ صفحة ١٩١ .

(٥٨) راجع : أ ـ صحيح البخاري ـ الجزء الثامن ـ صفحة ٨ ـ (كتاب الأدب) ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، والجزء الخامس ـ صفحة ٣٣ ـ (باب مناقب الحسن والحسين) .

=

وإليك أبا هريرة يروي لنا خبراً عن رسول الله (ص) ، قال : أبطأ عنّا رسول الله يوماً صدر النهار ، فلمّا كان ٱلْعَشِيُّ قال له قائلنا : يا رسول الله . قد شقَّ علينا فَلَمْ نَرَكَ ٱلْيَوْمَ ؟؟

قال : « إنّ ملكاً من السَّماء لم يَكُنْ رآني ، فاسْتَأْذَنَ الله في زيارتي ، فأَخْبَرني وَبَشَّرني أنَّ فاطِمَةَ بنْتي سَيِّدة نِسَاءِ أُمتي ، وأنَّ حَسَناً وَحُسَيْناً سَيِّدا شَباب أَهْل الجَنَّة » أهـ[٥٩] .

ويقول عن الحسين : « ابني هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمةً تاسعهم قائمهم » أ هـ[*] .



= ب ـ النسائي : الخصائص ـ صفحة ٢٥٨ و ٢٥٩ .

(٥٩) راجع : النسائي : الخصائص ـ صفحة ٢٣٩ .

(*) راجع الأستاذ : عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ، صفحة ٢٥٣ ـ الهامش .

الفصـــل الرابـع

كيف يرى كبار الصحابة أهل البيت ؟؟

المصدر الثالث : في بناء ولاية أئمة المذاهب لأهـل البيت هو : أقوال كبار الصحابة .

تلك الآيـات الكـريمـة التي أوحى الله بهـا إلى نبيّـه في أهـل البيت . . . وهـذه الأحاديث النبـويَّة جعلت حُبَّ أهـل البيت نوراً وضيئاً في قلوب أصحاب رسول الله (ص) .

فالصِّدِّيقُ أبو بكر ـ وهو من هو ـ يدعو المسلمين إلى الاقتداء بأهل البيت . . ولزوم نهجهم . . وتقديرهم تقديراً يليق بمكانتهم البـاذخة التي رفعهم إليها الله ورسوله .

لِنَتَأَمَّلْ في قوله : « ارْقَبوا محمداً في أهل بيته »[٦٠] .

وَيُقْسِمُ بـالله إنّ قرابـةَ الرسـول أَحَبُّ إليه من قـرابته ، لِنُصْـغِ إليه يقـول : « والذي نفسي بيـده لقـرابـةُ رسـول الله أَحَبُّ إليَّ من أن أصـل قرابتي » أهـ[٦١] .

---

(٦٠) راجع : صحيح البخـاري ـ الجـزء الخـامس ـ صفحـة ٢٦ و ٣٣ ـ (بـاب منـاقب الحسن والحسين) .

(٦١) راجع : المصدر السابق ـ صفحة ٢٦ ـ (باب مناقب قرابة النبي) .

وانظر إليه يحمل الحسن بن علي على رقبته وهو يقول مغتبطاً ضاحكَ القسمات : « بأبي شبيهٌ بالنبي ليس شبيهاً بعلي»، وعليٌّ بضحك أهـ [٦٢] .

ولم يقف إخلاص الصديق لأهل البيت عند حدّ الحثّ على التمسُّك بولايتهم وإجلالهم ، بل تَعَدَّى ذلك إلى التحدث عن مناقبهم جماعة وأفراداً .

جاء في كتاب : « عبقرية الإمام علي » تحت عنوان (النبي والإمام والصحابة) قولُ العقَّاد : « أحاديث النبي في فضل عليٍّ ومحبته متواترة في كتب الحديث المشهورة ، منها حديث « الخيمة » الذي رواه الصديق (رضه) حيث قال : « رأيت رسول الله خَيَّمَ خيمةً ، وهو مُتكىء على قوس عَرَبيَّة، وفي الخيمة: عليٌّ وفاطمةُ والحَسَنُ والحسين ، فقال : مَعْشَرَ المسلمين . أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حَرْبٌ لمن حاربهم ، وليٌّ لمن والاهم ، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجد طيب الولادة ، ولا يبغضهم إلاّ شقي الجد رديء الولادة » أهـ[٦٣] .

وما أَمْجَدَ أمانة الصِّديق (رضه) وهو يُرْشِدُ المسلمين إلى مكانة علي بن أبي طالب الروحيَّة . .

أنْصِتْ إليه وهو يُحَدِّث أنّ نبيَّ الهدى والرحمة قال : « لا يجوز

---

(٦٢) راجع : المصدر السابق ـ الجزء الخامس المذكور ـ صفحة ٣٣ .

(٦٣) راجع : أ ـ عباس محمود العقاد : عبقريَّة الإمام علي ـ صفحة ١١٩ ـ (طبع دار الهلال ـ مصر) .

ب ـ المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٩٩ ـ طبعة أولى ـ طبع مطبعة الاتحاد المصري ـ مصر .

ج ـ الموفق بن أحمد البكري الخوارزمي المعروف بـ (أخطب خوارزم) حنفي المذهب : المناقب ـ صفحة ٢١١ ـ (الفصل التاسع عشر) وقد أخرج الحديث بسنده عن زيد بن يثيع ، وفيه بعد إيراد الحديث : فقال رجلٌ لزيد :

يا زيد . أنت سمعت أبا بكر يقول هذا؟قال: « أي وربِّ الكعبة » أهـ .

أَحَدٌ على الصراط إلاّ من كتب له عليٌّ الجواز »(٦٤) .

وفي رواية ثانية عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله : « عليٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنّة إلاّ من جاء بِجَواز من علي بن أبي طالب » أهـ(٦٥) .

وفي رواية ثالثة أخرجها الحمويني بسنده عن مالك بن أنس ، عن جعفر الصادق ، عن آبائه ، عن علي بن أبي طالب عن النبي (ص) قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نُصِبَ الصراطُ على جهنم ، لَمْ يَجُزْ عنه أحد إلاّ من كانت معه براءةٌ بولاية علي بن أبي

---

(٦٤) راجع : أ ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة ـ صفحة ١٢٦ ـ أواخر الفصل الثاني .
ب ـ الشيخ محمد الصبان : في سيرة المصطفى ـ صفحة ١٧٦ ـ بهامش نور الأبصار تحت عنوان (وهذه جملة من الأحاديث . . . الواردة في حق علي . .) .
ج ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١١٠ ـ (الباب التاسع والخمسون) ، وأخرجه في الجزء الثالث ـ صفحة ٧٣ ـ (الباب السبعون) .
د ـ المحب الطبري : ذخائر العُقْبى ـ صفحة ٧١ ـ (ذكر اختصاصه بأنّه لا يجوز أحد على الصراط إلاّ من كتب له علي الجواز) .
هـ ـ الموفق بن أحمد البكري المكي المعروف بـ (أخطب خوارزم) حنفي المذهب : المناقب ـ صفحة ٣١ ـ (الفصل السادس) .
قال : « وبهذا الإسناد ، عن الإمام محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان بسنده عن الحسن البصري عن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ بن أبي طالب على الفردوس ، وهو جَبَلٌ قد علا على الجنة ، وفوقه عرش ربِّ العالمين ، ومن سفحه تتفجَّر أنهار الجنة ، وتتفرق في الجنان ، وهو جالسٌ على كرسيٍّ من نور يجري بين يديه التسنيم ، لا يجوز أحد على الصراط ، إلاّ ومعه براءةٌ بولايته وولاية أهل بيته ، يُشرف على الجنة ، فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار » أهـ .
وأخرجه عن ابن عباس في الصفحة ٢٢٩ ـ (الفصل التاسع عشر) .

(٦٥) راجع الفقيه ابن المغازلي الشافعي المذهب : المناقب ـ الحديث ١٥٦ ـ صفحة ١١٩ ـ ، وأخرجه في الصفحة ٢٤٢ ـ الحديث ٢٨٩ ـ وعبارته بعد ذكر السند ، قال جَدُّ أنس ، قال رسول الله : إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يَجُزْ إلاّ من معه كتابُ ولاية علي بن أبي طالب » أهـ .

طالب » أهـ[٦٦] .

ويُدَلِّلُ الصِّدِّيقُ تدليلاً عملياً على حبّه وتعظيمه لأهل البيت بشخص علي بن أبي طالب ، رأس أهل البيت بعد رسول الله ، أنْظُرْ إليه وإلى علي ، وقد جاءا معاً لزيارة قبر رسول الله . . . وعندما وصلا يطلب عليٌّ من أبي بكر أن يتقدمه ، فيرفض ، لماذا رفض أن يتقدمه ؟؟ .

لقد سمع حديثاً من رسول الله لا يسمح لأَحَدٍ أن يتقدم عليّاً .

تُرى ، ما هو ذلك الحديث ؟؟ .

إليك ابن عباس يُخبرنا عن الزيارة ، ويُلقي علينا الحديث بلسان أبي بكر .

قال : جاء عليٌّ وأبو بكر يزوران قبر النبي بعد وفاته .

قال علي : تَقَدَّمْ يا خليفة رسول الله .

قال أبو بكر : ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله يقول : « عليٌّ منّي بمنزلتي من ربّي » أهـ[٦٧] .

والصديق يُبَصِّرُ المؤمنين بمنزلة علي وفضله وقرابته من رسول الله ليرفعوا من شأن أنفسهم بتوقير علي ، وهل ثَمَّة مَنْ هو أولى من الصِّدِّيق بذلك ؟؟ .

لِنُدِرْ أسماعنا إلى ابن حَجُرْ يقول : وأخرج الدارقطني عن الشعبي ، قال : بينما أبو بكر جالسٌ إذْ طَلَعَ عليٌّ ، فلما رآه قال : « مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة ، وأقربهم قرابةً ، وأفضلهم حالةً ،

---

(٦٦) راجع القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الأول صفحة ١١٢ ـ (الباب السابع والثلاثون) ، وفي الصفحة ١١٣ ـ من الجزء الأول المذكور يقول القندوزي : وفي المناقب عن ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، عن أبيه عن جدّه عن النبي قال : إذا كان يوم القيامة ، ونصب الصراط على جهنم لم يَجُزْ عليه إلاّ مَنْ معه جَواز فيه ولاية علي بن أبي طالب ، وذلك قوله تعالى : « وقفوهم إنّه مسؤولون عن ولاية علي » أهـ .

(٦٧) راجع شيخ الشافعية : المحب الطبري : ذخائر العُقْبى ، صفحة ٦٤ ـ (ذكر أنّه من النبي بمنزلة النبي من الله عز وجل) .

وأعظمهم حقّاً عند رسول الله ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا الطالع » أهـ(٦٨) .

والصديق يغبط عليّاً على مكانته الشاهقة في : العلم . . والفهم . . والحكمة . . . ويقول له بسكينة الرضى والإعجاب ، والإكبار ، أنت لا شبيه لك ولا نظير يا أبا الحسن !! .

إليكم أخطب خوارزم الحنفي المذهب يُخرج لنا حديثاً عن شهردار بسنده عن رسول الله ، في كتابه « المناقب » ثم مَا دار بين الرسول وبين صاحبه أبي بكر من سؤال وجواب . . . وما قاله أبو بكر لعلي في حضرة الرسول وأصحابه ؛ قال : « بَلَغَنا أنّ النبيَّ (ص) كان في جمع من أصحابه فقال : « أريكم آدم في علمه ، ونوحاً في فهمه ، وإبراهيم في حكمته ، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي . فقال أبو بكر : يا رسول الله . أَقِسْتَ رَجُلاً بثلاثة من الرسل ؟؟ بخ بخ لهذا الرجل ، مَنْ هو يا رسول الله ؟؟!! .

فقال النبيُّ : أو لا تعرفه يا أبا بكر ؟؟!! .

قال : الله ورسوله أعلم .

قال : هو أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب .

فقال أبو بكر : بخ بخ لك يا أبا الحسن ، وأين مثلك يا أبا الحسن ؟؟!!(٦٩) .

* * *

---

(٦٨) راجع : أ ـ ابن حجر : الصواعق المحرقة ، صفحة ١٧٧ ـ تحت عنوان (المقصد الخامس) .

ب ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٩٨ ـ (الفصل الرابع عشر) ، وفيه اختلافٌ في اللفظ ، واتفاقٌ في المعنى .

(٦٩) راجع : أ ـ المصدر السابق صفحة ٤٥ ـ (الفصل السابع) في بيان غزارة علم علي (ع) .

ب ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ٩٣ ـ (ذكر تشبيه علي بخمسةٍ من الأنبياء) وعبارته : عن أبي الحمراء ، قال : قال رسول الله : من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، =

وأصحـاب الرسـول يَتَشَهّى كُلٌّ منهم أن يكـون مقعده عن يمين أو يسار النبي (ص) .

إنّه عِزٌّ نفيسٌ يَعْذُبُ الظَّفَرُ به .

وفي يوم ينعقد المجلس النبويُّ . . .

ويحف الصَّحْبُ الكرام بنبيهم الرحيم . . .

ويرى الرسول أنَّ علياً لم يحضر . . .

فيتحرك نَبْضُ القلق في قلبه الرحماني . . .

ما أبطأ به ؟؟ .

وَيُمدُّ ببصره إلى أمام فإذا عليٌّ مُقبل . . .

ويصل عليٌّ فيُسَلِّمُ ، ويقف قرب رسول الله .

المجلس محبوكٌ بالصَّحابة . . .

وَيُقَلِّبُ الرسولُ نظراته في وجوه القوم . . .

إنّه يُريد أن يُفسح أحدهم لعلي . .

وَيُدْرِكُ الصِّديق الجالسُ إلى يمين الرسول معاني نظراته . .

والصديق يعرف حُبَّ الرسول لعلي . .

ويعـرف أنّ عليّـاً سيف الإسـلام في كـل معـاركـه الـداميـة مـع الشرك . . .

وَيَعْرِفُ علياً أخا رسول الله ، وابن عمّه ، وزوج الزهراء سيدة نساء أهل الجنّة . . .

= وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، فَلْينظُرْ إلى علي بن أبي طالب » أهـ .

وأخرج المحب الطبري في الصفحة ٩٤ ـ عن ابن عباس ، عن رسول الله ، قـال : قـال رسول الله : مَنْ أراد أن يَنْظُرَ إلى إبراهيم في حلمـه ، وإلى نـوح في حكمه ، وإلى يوسف في جماله ، فَلْيَنْظُرْ إلى علي بن أبي طالب » أهـ .

ج ـ ابن المغـازلي : المنـاقب صفحـة ٢١٢ ـ الحـديث ٢٥٦ ولفـظه : « أخبـرنـا أحمـد بن محمد بن عبـد الوهـاب بسنده عن أنس بن مـالـك ، قـال : قـال رسـول الله : « من أراد أن ينـظر إلى : علم آدم ، وفقـه نـوح ، فلينـظر إلى علي بن أبي طالب » أهـ .

ويعرف أنّه نـام في فراش رسـول الله ليلة الهجرة ، وفـداه بنفسه ، فتم بذلك النصر لرسالة السماء . . .

فإذا هـو يقـول لعلي بصفـاء الاطمئنـان : تعـال ـ هنـا ـ يـا أبـا الحسن !! .

ويتنحى له عن مكانه ، فيجلس عليٌّ بين الرسول وأبي بكر .

فَيُقْمِرُ وجه الرسول بالمَسَرَّة . . ويقول للصديق . . .

أَتُرِيدُ أن تعرف ماذا قال له ؟؟؟ .

هَيَّا معي إلى الصفحة ـ٢١٢ ـ من كتاب المناقب لأخطب خوارزم ، لنقـرأ كلمات الحـديث ، وماذا قـال الرسـول لأبي بكر ، قـال : « وبهذا الإسناد عن أبي سعيد هذا ، أخبرني أبو سعيد أحمـد بن علي بن حمدان بسنـده عن : أنس بن مالـك قال : « بينـا رسول الله في المسجـد ، وقـد أطـاف به أصحـابه ، إذ أقبـل عليٌّ بن أبي طالب عليـه السـلام ، فَسَلَّمَ فوقف قرب النبي في المسجد ، وجعل النبيُّ ينظر في وجوه أصحابه أيّهم يُوَسِّعُ له ، وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ، فزحـزح له عن مجلسـه ، وقال له : ههنا يا أبا الحسن ، فجلسَ بينه وبين النبي .

قال أنس فَعَرَفْتُ السرور في وجه رسول الله (ص) ثم قال :

يا أبا بكر !! إنّما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل » أهـ .

* * *

وفي مجلس ترى السيدة عائشة أباها يُـطيل النَّـظَرَ إلى وجه علي ، فتستغرب ذلك ، وتقول لنفسها : ما لأبي يُطيل النظر إلى وجه علي ؟؟ .

إنّه لا يكاد يرفع بصره عن وجهه حتى يُعيده إليه ثانيةً . . .

فتدنو من أبيها ، وتسأله عن هاجسها . . .

ويجيبهـا الصديق بحـديث نبـويٍّ سمعـه من رسـول الله ازْدَهَـرَ بـه قلبه .

ومـا أكمـل أن نَتْـرُكَ أم المؤمنين تُحَـدِّثنـا عن أبيهـا . . وعن السؤال . . والحديث . . .

قالت (رضه) : « رأيتُ أبا بكر يُكثرُ النظر إلى وجه علي ، فقلت : يا أبتِ !! رأيتُكَ تكثر النظر إلى وجه علي .

فقـال : يا بُنَيَّـة !! سمعت رسول الله يقـول : النظر إلى وجـه عليٍّ عبادة » أهـ[٧٠] .

---

(٧٠) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٢٦٠ و٢٦١ (الفصل الثالث والعشرون) في بيان أن النظر إليه وذكره عبادة .

ب ـ الفقيه ابن المغازلي : المناقب صفحة ٢٠٧ ـ الحديث ٢٤٤ أخرجه بسنده عن : أبي هريرة ، ومعاذ بن جبل . وأخرجه في الحديث ٢٤٦ صفحة ٢٠٨ ـ عن عمران بن حصين . وأخرجه في الحديث ٢٤٨ عن أبي الزبير عن جابر ، وفي الحديث ٢٤٩ ـ عن عبد الله بن مسعود ، وفي الحديث ٢٥١ عن مكحول عن واثلة بن الأسفع .

ج ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ٩٥ (ذكر النظر إلى علي عبادة) .

د ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق (الباب التاسع) صفحة ١٢٣ ـ الحديث (الخامس عشر) .

هـ ـ الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار صفحة ٨٩ تحت عنوان (فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ابن عمّ الرسول وسيف الله المسلول) .

و ـ الشيخ محمد الصبان الشافعي المذهب : إسعاف الراغبين صفحة ١٧٢ ـ تحت عنوان (وهذه جملة من الأحاديث الواردة في حق علي زيادة عمّا سبق) .

ز ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الأول صفحة ٨٨ ـ آخر الباب التاسع عشر نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل .

وأخرجه في الجزء الثاني من الينابيع صفحة ٤٠ عن ابن مسعود ، وعن عمران بن الحصين تحت عنوان « ذكر شفقة النبي لعلي » ، وأخرجه في الجزء الثاني أيضاً صفحة ٥٩ ـ عن أبي الدرداء تحت عنوان الحديث ٢٩ ـ أي من المناقب السبعين لأهل البيت . وأخرجه في الصفحة ٧٨ ـ من الجزء الثاني المذكور تحت عنوان (المودة السابعة) عن أبي ذر ، وقال : رواه أبو نعيم الحافظ بإسناده ، ولفظه : أبو ذرّ رفعه ـ أي إلى الرسول ـ : « عليٌّ بابُ علمي ، وَمُبَيِّنٌ لأمتي ما أرسلت به من بعدي ، حبه إيمان ، وبغضه نفاق ، والنظر إليه رأفةٌ وعبادة » أهـ .

وإذا كـان الصِّديق يحفظ : النـظر إلى وجـه عليٍّ عبـادة ، ويعمـل به ، ويرويه كما سمعـه من فم رسول الله ، ويرويه كمـا رواهُ الآخرون من الصحابة ، فإنَّ السيدة عائشة تحفظ وتروي حديثاً عن الرسـول يُعطي مَنْ يذكر عليّاً ومناقبَه ثوابَ المؤمن العابد ويغفر له .

تَعالَ نَسْتَمِعْ إلى أم المؤمنين تقـول : قال رسـول الله : « ذِكْرُ عليٍّ عبادة »[٧١] .

وهـا هي تدعـو المسلمين إلى الإكثار من ذكـر علي والتحـدّث عن محامده ؛ والاستماع إليها في كل مجلسٍ من مجالسهم لينالوا كـرامة من الله ورضواناً .

أُنْـظُرْ إلى معاني الـرشد والتـوجيـه الإسـلامي الأصيـل تجـري في كلماتها الأربع .

إنّها تنطق بها فرحةً مُسْتَبْشِرَةً ، هي ذي تقـول : « زَيِّنوا مجـالسكم بذكر علي »[٧٢] .

وإنّه لمن المفرح المبهج أن نَسْمَعَ أُمَّ المؤمنين تـروي عن الرسـول

---

(٧١) راجـع : أ ـ ابن المغازلي الفقيـه الشـافعي : المنـاقب صفحـة ٢٠٦ ـ الحـديث ٢٤٣ تحت عنوان (ذكر علي عبادة) .

ب ـ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي : ينابيع المودة ـ الجـزء الأول صفحة ١٢١ ـ (البـاب الأربعون) . قـال : أخرج أحمـد بن موفّق الخـوارزمي بسنده عن عليٍّ أمير المؤمنين ، عن رسول الله أنّه قال لرهط من أصحابه : . . . النظر إلى عليٍّ عبادة ، وذكره عبادة ، لا يقبل الله إيمان عبد إلّا بمـوالاته (راجـع الحديث فلم نأخذ منه إلّا موضع الحاجة) .

ج ـ راجع المصدر السابق صفحة ٢٦٠ و٢٦١ ـ (الفصل الثالث والعشـرون) تحت عنوان : « في بيان أن النظر إلى عليٍّ عبادة ، وذكره عبادة » .

(٧٢) راجـع ابن المغازلي : المنـاقب ـ الحديث ٢٥٥ ـ صفحـة ٢١١ ـ . قال : أخبـرنا أبـو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغُنـدجاني رحمه الله قدم علينا واسطاً ، أخبرنا عبيد الله بن أحمد أبو أحمد الفرضي إجـازةً ، حدثنـا محمد بن عمـرو البختري ، حـدثنا ابن أبي عـوف البُزوري سنة خمس وستين ، حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفـر بن بُرقـان قال : بلغني أنّ عائشة كانت تقول : زينوا مجالسكم بذكر عليٍّ عليه السلام » أهـ .

حديث : أنّ أبناء فاطمة أبناءُ الرسول ، وأنّهم إليه ينتسبون في (الكفاءة وغيرها) كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة(٧٣) .

أمّا غيرهم من الناس فينتسبون لآبائهم . . .

إنّها خُصُوصيَّة مَيَّزَ الله بها أبناءَ فاطمة عن الناس أجمعين . . .

قالت : (قال رسول الله) : « كُلُّ بني آدم ينتمون إلى عُصْبَتهِمْ إلاّ ولد فاطمة ، فأنا وليُّهم ، وأنا عُصْبَتُهُمْ » أهـ(٧٤) .

وفي يوم ترى أم المؤمنين وتسمع من الرسول شيئاً عجباً . . .

رأته يضم علياً إلى صدره بحنانه النبوي . . .

وسمعته يقول له : أفديك بأبي ، أنت لا مثيل لك في فضائلك . . . وفي سبيل الإسلام تمضي شهيداً . . .

إليك كلماتها ، قالت : « رأيت النبيَّ التزم عليّاً وقَبَّلَهُ وهو يقول : بأبي الوحيد الشهيد » اهـ(٧٥) .

* * *

ونبيُّ الهدى والرحمة أَوْدَعَ السَّيِّدة عائشةَ عن عليٍّ حديثاً . . .

---

(٧٣) راجع الصواعق المحرقة صفحة ٢٣٦ ـ تحت عنوان (باب خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم) .

(٧٤) راجع : الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١١ ـ تحت عنوان (وفي الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي) . قال العلامة القندوزي : للحاكم وابن عساكر عن عائشة (أي أخرجا الحديث عن عائشة) وفي ذخائر العُقبى أخرجه أحمد في المناقب ، والمخلص الذهبي ، والمحاملي ، والسمرقندي ، وابن الجراح عن عائشة : « كل بني آدم . . . الحديث » .

(٧٥) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٢٦ ـ (الفصل السادس) ـ في محبة الرسول لعليٍّ ، وتحريضه على محبته وموالاته ، ونهيه عن بغضه) .

ب ـ النسائي : الخصائص ـ صفحة ٢٠٩ ـ الحديث ١١٠ .

ج ـ ابن المغازلي : المناقب من صفحة ١٥٦ ـ ١٧٥ ـ تحت عنوان (حديث الطائر وطرقه) .

د ـ الشيخ القندوزي : الينابيع ـ ج ١ ـ صفحة ١٢٤ ـ ١٢٦ .

ولكن ذلك الحديث لا يأتي وقته إلّا بعد حين من الزمن . . .

وتتوالى الأيام ، وذلك الحديث السر مستقر في ذاكرة أم المؤمنين . . .

وتسمع بخروج طائفة من الناس عن علي في حربه مع معاوية بن أبي سفيان . . .

ويبلغها أنَّ رجُلاً وُجِدَ بين قتلى الخوارج فيه علامةُ نقصٍ تُميزه عن غيره من الرجال . . فيستيقظ في ذاكرتها الحديث الذي ائتمنها عليه رسول الله . . .

وتأخذ في الاستقصاء عن أخبار ذلك الرجل (المخدج) أو (ذو الثدية) .

هل قتله عليٌّ مع مَنْ قتل من الخوارج ؟؟ .

ويأتيها يوماً مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني (أحد من روى عنها) بعد المعركة التي وقعت بين علي وبين الخوارج في النهروان ، فيدور بينهما الحوار التالي :

قال : قالت عائشة : يا مسروق !! إنّك من ولدي ، وإنّك من أحبهم إليَّ ، فهل عندك علمٌ عن (المخَدَّج) .

هكذا تستدرجُه بكياسة لكي يُحدثها عن المخدج الذي قتل في معركة النهروان . . .

ويُجيبها مَسْروق فيقول : « نعم قتله عليٌّ بن أبي طالب على نَهْرٍ يُقال لأعلاه « تامرا » ولأسفله « النهروان » بين (خافيق وطرفاء) ـ هو يُحَدِّدُ لها المكان تحديداً جغرافياً دقيقاً لِيُزيل من نفسها ضَبابَ أيَّةِ شُبْهة . . .

ولكن هل قنعت أمُّ المؤمنين بشهادته . . . ؟؟ .

إنّها تُريدُ أن تستوثق من الأمر فهو لديها خطير . . .

ولذلك قالت له : « أبغني بَيِّنَةً على ذلك » .

يقول مسروق : « فأتيتُها بخمسين رجُـلاً ، من كل خُمْسَيْن بعشـرة (كان الناس إذ ذاك أخْماساً) يشهدون أنّ عليّاً قتله على نهرٍ يقال لأعلاه « تامرا » ولأسفله « النهروان » بين (أخافيق وطرفاء) .

ويستمر مسروق في سـرد ما جـرى بينه وبين أم المؤمنين ، بعـدما أدّى الخمسون رَجُلاً شهادتَهم ، فيقول : يا أُمّهْ !! أسـألك بـالله ، وبحقِّ رسـول الله ، وبحقّي فـإنّي من ولـدك ، أيَّ شيء سمعتِـه من رسـول الله يقول فيه ؟؟؟ .

قـالت : سمعتُ رسـول الله يقـول : « هم شَـرُّ الخلق والخليقـة ، بقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهمْ عند الله وسيلة »(٧٦) .

* * *

وَيَتَسـاءَلُ كثيرٌ من المسلمين رجـالاً ونساءً : مَنْ كـان أَحَبَّ النـاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟؟ .

---

(٧٦) راجع : أ ـ ابن المغازلي : المناقب صفحة ٥٥و ٥٦ ـ الحديث ٧٩ .
ب ـ الهيثمي (علي بن أبي بكر) : مجمع الزوائد ومنبـع الفوائـد ـ الجزء السـادس صفحة ٢٣٩ .
ج ـ وفي أرجح المطالب صفحة ٥٩٩ طبع لاهور : « فأتيتها من كل سبع برجل » .
د ـ النسـائي : الخصائص ـ صفحـة ٣٠٥ ـ ٣٣٢ ـ من الحديث ١٧٤ ـ ١٩٠ ـ تحت عنوان (قتال المارقين) .

يقول الدكتور طه حسين : « وينظر أصحاب عليٍّ إلى علي ، فإذا هو قَلِقٌ لا يـطمئن ، يطلب إلى مَنْ حوله أن يلتمسوا ذا الثُّدَيَّة ـ رَجُلاً مُخْدَجَ اليد على عَضُده شامـة تُشْبِه ثَـدْيَ المرأة . وعلى هـذه الشـامـة شعـراتٌ سـود فيبحث النـاس عنـه في القَتْلى والصَّـرْعى ، ثم يعـودون فيقولون : بَحَثْنا ولم نجد . ويـزداد عليٌّ قَلَقاً ويقـول : والله ما كـذبْتُ ولا كذبتُ ، ويحكم التمسوا الرجل فإنّه في القَتْلى » .

فيبحثون ، ثم يأتي آتٍ فينبيء عليّاً بأنّهم قد وجدوه ، فـإذا سمع النَّبـأ خَرَّ سـاجداً ، وَسَجَـدَ معه مَنْ كان حوله من أصحابه ، ثم يرفع رأسه ويقول : « والله مـا كَذَبْتُ ولا كُـذِّبتُ ، ولقد قتلتم شَرَّ الناس » أهـ .

(راجـع : د . طـه حسين : الفتنـة الكبـرى عليٌّ وبنـوه ، صفحـة ١٠٥ طبـع دار المعـارف مصر) .

ولا رَيْبَ أَنَّ الأقوال التي كانوا يسمعونها لم تكن تَصُبُّ في قناةٍ واحدة . . .

ولكي يُرضوا تطلعاتهم إلى هذه المعرفة التي تتعطش إليها أرواحهم . . .

يَرَوْن أن يسألوا أوثقَ الناس صلةً برسول الله . . .

فَتشُدُّ إحدى النساء المسلمات المؤمنات الرِّحالَ إلى أُمِّ المؤمنين عائشة . . .

وتدخل عليها مع ابن لها تسألها عن : أحَبِّ الناس إلى رسول الله . .

إن عندها النبأ اليقين . . .

وما تسْمَعُهُ منها سَتَنْقُلُهُ إلى مَنْ وراءها من النَّاس . . .

ولكي نأخُذَ النبأ من معدنه الأصيل الذي لا ترقى إليه وساوس الشك . .

لجأنا إلى الحافظ الإمام النَّسَائي صاحب السُّنَن الكبرى نسأله . .

إليكم حديثه . قال : أخبرني محمد بن آدم بسنده عن جُمَيْع ، قال : « دَخَلْتُ مع أمي على عائشة ، وأنا غلامٌ فَذكَرَتْ لها عليّاً ، فقالت : « ما رأيتُ رَجُلاً كان أَحَبَّ إلى رسول الله (ص) منه ، ولا امرأة أَحَبَّ إلى رسول الله من امرأته » اهـ .

وأخرج الحديث من طريق آخر ، فقال : أخبرنا عمرو بن علي البصري بسنده . . . عن جُميع بن عُمير ، قال : « دَخَلْتُ وأمي على عائشة ، فَسَمِعْتُها تسألها من وراء الحجاب عن علي (ع) فقالت : تسألينني عن رجل ما أعلم أحداً كان أحبَّ إلى رسول الله منه ، ولا أَحَبَّ إليه من امرأته »(*) .

(*) راجع : أ ـ النسائي : الخصائص ـ صفحة ـ ٢١١ ـ الحديث ـ ١١١ و١١٢ ـ (وراجع ما أورده محقق الخصائص في الهامش . =

والنساء كُلُّهُنَّ طُلَعَة ؛ فكيف بعائشة وهي أُمُّ المؤمنين ؟؟ .

كيف بها وهي المعروفة بذكائها . . . والرغبة في جَنْي ثمار المعرفة ؟؟ .

إنّها مؤمنة أنّ رسول الله (ص) خير النّاس أجمعين . .

ولكنّ خاطرةً تهب في نفسها تسألها : من خير الناس بعد رسول الله ؟؟ .

ولا رَيْبَ أنّه مَرَّ في ذهنها أسماء كبار الصحابة . . .

وهي نفسها أم المؤمنين ولها رأيُها . . .

ولكن قد يطغى على رأيها عاطفةٌ ما تُهَوِّنُ من شَأْنِ ذلك الرأي . . .

أمّا رسول الله فإنّه مَعْصومٌ من الخطأ ، ولا ينطقُ عن الهوى . . .

لذلك توجَّهَتْ بسؤالها إلى الرسول لتأخذ الجوابَ المقدس من الذي يُنْزِل الله الوحْيَ على قلبه . . .

إليكم الحافظ الديلمي الحنفي المذهب يحدثنا بسنده . . . عن عمرو بن شعيب ، عن جدّه ، أنّه قال : قالت عائشة :

من خير الناس بعدك يا رسول الله ؟؟ .

= ب ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ـ ١١٠ ـ (الباب التاسع والخمسون) .

ج ـ ابن عساكر (علي بن الحسن الشافعي المذهب) : تاريخ دمشق ـ الجزء الثاني ـ ص ١٦٣ طبعة ثانية .

د ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ـ ٦٢ ـ (باب) : ذكر أن علياً أحب الناس للنبي .

هـ ـ ابن عبد ربه المالكي المذهب : العقد الفريد ـ المجلد الثالث ـ الجزء الخامس ـ صفحة ـ ٥٩ ـ (تحت عنوان : فضائل علي) طبع سنة ـ ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م ، تحقيق : محمد سعيد العريان ـ المصري .

و ـ المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ـ ١٦١ ـ .

قال : « عليّ بن أبي طالب ، هو نفسي ، وأنا نفسه » أهـ(**)

* * *

والفاروقُ عمر ، ماذا عن الفاروق عمر في شأن أهل البيت ؟؟ .

إنّ الإيمان بمعناه الواسع الشامل مقياس سموِّ المؤمن في الدرجات العُلى . . .

وأنت ؛ بلا شَكٍّ تَوَدُّ أن تَعْرِفَ المكانةَ الشاهِقَةَ التي يَسْتوي عليها إيمان علي بن أبي طالب رأس البيت النبوي بعد الرسول إذن فخذها من فم الفاروق شهادة يتلألأ فيها ضياء الصِّدْق ، قال (رضه) :

« أَشْهَدُ عَلَى رسُولِ الله لسَمِعْتُهُ يقول :«لو أنّ السماوات السبع ،

(**) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ ص ٩٠ ـ الفصل ـ ١٤ ـ في بيان أن علياً أقرب الناس من رسول الله .

ب ـ أبو الحسين عبد الوهاب الكلابي ـ مسند دمشق المطبوع في آخر كتاب المناقب لابن المغازلي ـ الحديث الرابع ـ ص ٤٢٨ ـ وفيه « لما قدم وفد ثقيف على النبي (ص قال : لَتُسْلِمُنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً مني أو كنفسي . . . قال عمر : فجعلت أنصب صدري ، وأقوم على أطراف أصابعي ، رجاء أن يقول : هو هذا ، فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال : هو هذا ، هو هذا » اهـ .

ج ـ الفقيه ابن المغازلي : المناقب ـ ص ـ ١١٥ ـ الحديث(١٥٥) تحت عنوان : المناشدة يوم الشورى .

د ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة ص ـ ١٢٦ ـ تحت عنوان « الباب التاسع في مآثر علي وفضائله » .

يقول ابن حجر : « وأخرج ابن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما فتح رسول الله مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة ، ثم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بعترتي خيراً ، وإن موعدكم الحوض ، والذي نفسي بيده لَتُقيمُنّ الصلاة ، ولتؤتُنّ الزكاة ، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً مني أو كنفسي يَضربُ أعناقكم ، ثم أخذ بيد علي ، ثم قال : هو هذا » .

يقول ابن حجر : وفيه رجل اختُلف في تضعيفه ، وبقية رجاله ثقات »اهـ .

هـ ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ ص ـ ١١٠ ـ (الباب التاسع والخمسون)اهـ .

والأرضين السبع ، وُضِعَتْ في كفّة ميزان ، وَوُضِعَ إيمانُ علي في كفَّةٍ لرجَحَ إيمانُ علي » أهـ[٧٧] .

* * *

والفاروق عمر يُحب الخير للمسلمين ، لذلك فهو يُوصيهم أن يُحبّوا ويُعاشروا من الناس أصحابَ الأخلاقِ الحميدة ، وأن يترفّعوا عن مُخالطة أراذل الناس ويتجنبوهم .

ثم يجزم أنّه لا يكمل شرفُ لأحَدٍ مهما سما قَدْرُهُ إذا لم يُوالِ عليَّ بن أبي طالب . .

هيا نتدبرْ كلماته فإنّها عَسَلٌ سائغٍ من : التعليم والتوجيه السديد الحميد . . .

قال ابن المسيب : قال عمر (رضه) : « تَحَبَّبوا إلى الأشراف وَتَوَدَّدوا ، واتَّقوا على أعراضكم من السَّفَلَةِ ،واعلموا أنّه لا يتم شرفٌ إلاّ بولاية عليّ بن أبي طالب » أهـ[٧٨] .

* * *

---

(٧٧) راجع : أ ـ الفقيه الشافعي ابن المغازلي : المناقب ، صفحة ٢٨٩ ـ الحديث ٣٣٠ .
ب ـ شيخ الشافعية المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ١٠٠ ـ تحت عنوان (ذكر رسوخ قدم علي في الإيمان) .
ج ـ المتقي الهندي : كنز العمال ـ الجزء السادس صفحة ١٥٦ ـ طبع دائرة المعارف النظامية ـ حيدرآباد ، دكن عام ١٣١٢ هـ .
د ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٧٧ ـ الفصل الثالث عشر في بيان رسوخ الإيمان في قلب علي .
هـ ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ٧٨ ـ تحت عنوان : المودة السادسة . . .

(٧٨) راجع : ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة صفحة ١٧٨ ـ تحت عنوان (المقصد الخامس) . قال ابن حجر : (وأخرج) الدارقطني (أي الحديث) عن ابن المسيب (والدارقطني من أصحاب السنن ـ شافعي المذهب ، واسمه « علي عمر » يُشير الفاروق عمر بقوله : « لا يتم شرف إلاّ بولاية علي » إلى الحديث الثامن الذي أخرجه النسائي في كتابه الخصائص صفحة ٤٢و٤٣ ـ عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص . =

ويأتي الفاروق رجلان يختصمان في شأنٍ ما . فيلجأ عمر إلى علي ويقول له : اقْضِ بينهما يا أبا الحسن .

ويقضي بينهما ، ولكن الحكم لم يَرُقْ أحدهما ، فيتلفظ بكلمات يرى فيهما الفاروق مساساً بعلي ، فيثور على الرجل ويقول له : لك الويلُ ، إنَّ علياً مولايَ ومولاك . .

ومن الخير أن نترك المحبّ الطبري شيخ الشافعيَّة ينقل إلينا الخبر عن كتاب الموافقة لابن السمان . قال: «وعن عمر ، وقد جاءه أعرابيان يختصمان ، فقال لعلي : اقْضِ بينهما يا أبا الحسن . فَقَضَى عليٌّ بينهما .

فقال أحدهما : هذا يقضي بيننا ؟؟ .

فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال : ويحك . ما تدري من هذا ؟؟ .

هذا مولايَ ، ومولى كل مؤمن ، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن » أهـ(79) .

* * *

= قالت : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله يوم الجُحْفَةِ ، فأخذ بيد علي ، فخطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس !! .

إنّي وليكم .

قالوا : صَدَقْتَ يا رسول الله .

ثم أخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال : « هذا وليِّي ويؤدِّي عني ديني ، وأنا موالي مَنْ والاه ، ومعادي من عاداه » أهـ .

(79) راجع : أ ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ٦٨ تحت عنوان (ذكر من كان النبي مولاه فعلي مولاه) . يندمج قول الفاروق مع ما أخرجه ابن حجر العسقلاني (شافعي المذهب) في كتابه : الإصابة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٥٠٩ (ترجمه علي بن أبي طالب) رقم ٥٦٨٨ ـ . قال : وأخرج الترمذي بإسناد قوي ، عن عمران بن حصين في قصَّة قال فيها رسول الله : « ما تُريدون من علي ، إنّ علياً مني وأنا من علي ، وهو وليُّ كل مؤمن بعدي » أهـ . =

والوالد ، هل من السهل أن يُفَضِّلَ والدُ على ولـده أحداً من أولاد الناس . . .

إنّه ولده وفلذة كبده ، وله الحق في تفضيله ، لا سيما وهو صالح كما يصفه المؤرخون ،ولكنّ الفاروق يفعلها، لقد فَضَّل الحَسن على ولده عبد الله بن عمر . . .

ولكن كيف لا يفضِله وهو من أهل البيت ؟؟؟ .

نعم فَضَّله ، واعتـرف لـه ولأهـل البيت بـالفضـل عليـه وعلى المسلمين قاطبةً بعد الله . . .

ومن المفـرح أنّ نذر ابن حجـر الهيثمي ينقـل إلينـا عن المحـدث الدارقطني النبأ .

قـال ابن حجـر : « وأخـرج أيضـاً ـ أي الـدارقـطني ـ أنّ الحسن استأذن على عمر ، فلم يأذن له ، فجـاء عبد الله بن عمـر فلم يأذن لـه ، فمضى الحسن ، فقال عمر : عليَّ به . فجاء فقال : يا أميـر المؤمنين ، قلت : إن لم يُؤْذَنْ لعبد الله لا يؤذن لي .

فقال : أنت أحقّ بالإذن منه ، وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلاّ أنتم » ؟؟[80] .

= وأخرج ابن عبد البر القرطبي (مـالكي المذهب) في كتـابه « الاستيعـاب » ـ الجزء الثالث المطبوع بهامش الإصـابة صفحـة ٢٨ ـ تحت عنوان (بـاب علي) ـ أخرج الحديث بنفس اللفظ عن ابن عباس .

وأخـرجـه النّسـائي في الخصـائص صفحـة ١٦٦ و١٦٧ ـ تحت رقم ٩٠ ، وفي الصفحة ١٦٨ ـ. قال الـرسول لبُـريدة الـذي نـال من علي : « لا تَقَعَنَّ يـا بُريدةُ في علي ، فإنَّ عليّاً مني وأنا منه ، وهو وليّكم بعدي » أهـ .

ب ـ ابن حجر : الصـواعق المحـرقـة صفحـة ١٧٩ ـ تحت عنـوان (المقصـد الخامس) نَقْلاً عن الحافظ الدارقطني .

ج ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٩٨ أواخر الفصل الـرابع عشـر ، وفيه زيـادة (ومؤمنة) .

(٨٠) راجـع : أ ـ شـرح نهـج البـلاغـة الجـزء الثـاني عشـر صفحـة ٦٦ ـ طبعـة ثـانيـة =

أرأيت كيف يُقَدِّرُ الفاروقُ أَهْلَ بيت النبوة ويعترف لهم بالفضل ؟؟ .

* * *

وينبت نزاعٌ بين عمر وأحد الناس في مسألة . . ويتطور النزاع حتى يطلب عمر من الرجل أن يحاكمه إلى علي بن أبي طالب .

فيقول الرجل : هذا يقضي بيننا ؟ كأنّه يُصَغِّرُ من شأنه ـ .

فيغضب عمر غضباً شديداً يقيمه ويقعده . .

ولكن أتدري ماذا فعل بالرجل ، وماذا قال له ؟؟ .

إليك صاحب الرياض النضرة يخرج ما حَدَثَ عن ابن السمان .

قال: «وعن عمر ـ وقد نازعه رجل في مسألة ـ فقال : بيني وبينك هذا الجالس ، وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

فقال الرجل : هذا الأبطن ؟؟ .

فنهض عمر عن مجلسه ، وأخذ بتلبيبه حتى شاله من الأرض ، ثم قال : أتدري مَنْ صَغَّرْت ؟؟ هذا مَوْلايَ وَمَوْلَى كُلِّ مسلم » أهـ[81] .

* * *

= (١٣٨٧ هـ = ١٩٧٧م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مع اختلافٍ في بعض الألفاظ واتّفاقٍ في المعنى .

ب ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ـ الجزء الأول صفحة ١٤١ ـ .

ج ـ ابن حجر : الصواعق المحرقة صفحة ١٧٩ ـ تحت عنوان (المقصد الخامس) « ممّا أشارت إليه الآية من توقيرهم » .

د ـ المتقي الهندي : كنز العمال ـ الجزء السابع صفحة ١٠٥ .

(٨١) راجع : أ ـ المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني صفحة ١٧٠ .

ب ـ الحافظ : أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٩٨ ـ (الفصل الرابع عشر) وروايته بأسانيده : فأخذ عمر بأذنيه حتى أشاله من الأرض ، وقال له : ويلك . أتدري من صَغَّرْت ؟؟ .

هذا عليٌّ بن أبي طالب مولايَ ومولى كل مسلم » أهـ . =

ويتهامسُ بعضُ الصحابة فيما بينهم ويقولون : فُتِنَ عمر بعلي . . فهو شديدُ الإعجاب به . . كثير الإجلال له . . وإنّه ليجعله مرجعاً له في الأحكام ويردد : « أقضانا علي »[٨٢] ، و« لولا عليٌّ لهلك عمر »[٨٣] .

ويجيء أحدهم أبا حفص ، ويطلعه على الهمس النامي بين الناس . .

أترى عمر استنكر ما قالوه ، ورأى فيه حَطّاً من شأنه ؟؟ .

كلا . ولكنّه صَدَعَهُمْ بكلمة الحق ، قال : « إنّه مولاي » .

هذا سالم مولى أبي حذيفة يَسْرُدُ علينا ما جرى بين عمر وناقديه .

قال سالم : قيل لعمر : « إنّك تصنع بعليٍّ شيئاً ما تصنعه بأحدٍ من الصحابة » .

---

(٨٢) راجع : أ ـ البخاري : صحيح البخاري ـ الجزء السادس (كتاب التفسير) باب : ما ننسخ من آيةٍ أَوْ نُنْسَاْها » صفحة ٢٣ .

ب ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ المجلد الثاني ـ صفحة ٣٣٩ ـ تحت عنوان : عليُّ بن أبي طالب ، طبع صادر ـ بيروت .

ج ـ ابن عبد البرّ القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ الجزء الثالث ـ بهامش الإصابة صفحة ٣٨و٤١ حرف العين ـ القسم الأول ، تحت عنوان (باب علي بن أبي طالب) .

د ـ السيوطي :تاريخ الخلفاء صفحة ١٧٠ ـ تحت عنوان (فصل في الأحاديث الواردة في فضل علي) .

(٨٣) راجع : أ ـ عبد الرحمن الشرقاوي : علي إمام المتقين ـ الجزء الأول صفحة ١٠٢ ـ الناشر « مكتبة غريب » ـ مصر .

ب ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ المجموعة الكاملة ـ الإمام علي ـ ج ١ ـ صفحة ٢٢٦ ـ منشورات « العرفان » ـ بيروت .

ج ـ أبا داؤود (سليمان بن الأشعث السجستاني) : الصحيح ـ الجزء ٢٨ ـ صفحة ١٤٧ ـ (باب المجنون يسرق) . طبع دائرة المعارف النظاميّة في حيدرآباد ـ دكن ـ سنة ١٣٢١ هـ .

د ـ ابن أبي الحديث المعتزلي : شرح نهج البلاغة الجزآن الأول والثاني ـ صفحة ١٨ ـ طبعة ثانية ١٩٦٥ .

قال : « إنّه مولاي »[٨٤] .

ويخرج شيخ الشافعية الطبري في الرياض النضرة ـ الجزء الثاني أنّ الفاروق عمر قال : « عليٌّ مولى مَنْ كان رسول الله مولاه »[٨٥] .

* * *

(٨٤) راجع : المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني صفحة ١٧٠ .

(٨٥) راجع : المصدر السابق .

تعقيب يكشف لنا أنّ الفاروق عمر كان يردد أقوال الرسول في علي يوم الغدير (راجع الصفحة ١ و ٢) .

روى الواحديُّ (أبو الحسن علي بن أحمد) الشافعي المذهب في كتابه « أسباب النزول » طبع سنة ١٣١٥ هـ بسنده عن الصحابي أبي سعيد الخُدري أنّه قال : « نزلت هذه الآية : ﴿ يا أيّها الرسول بَلِّغْ ما أُنزل إليك من ربّك . . . الآية ﴾ (المائدة : ٦٧) يوم « غدير خم » في عليٍّ بن أبي طالب » أهـ .

أمّا الإمام فخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر) الشافعي المذهب فإنّه يُفَسِّرُ هذه الآية في كتابه التفسير الكبير ، واسمه « مفاتيح الغيب » على تسعة وجوه . . ثم يقول : والعاشر نزلتْ في فضل علي بن أبي طالب (ع) ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده (أي أخذ الرسول بيد علي) وقال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه » ، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولايَ ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة ».وَيُعلّق الرازي على ما أورده فيقول عنه : « هو قول ابن عباس . والبراء بن عازب. ومحمد بن علي (ع) » اهـ .

ويأتي العلامة عبد الرؤوف المناوي الشافعي المذهب فيقول في كتابه (فيض القدير ـ الشرح) ـ الجزء السادس صفحة ٢١٧ ـ (طبع مصر سنة ١٣٥٦ هـ) : « وفيما خَرَّجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص أنَّ عمر قال لعلي : أمسيت يابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة » أهـ .

وأخرج الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي البغدادي) الشافعي المذهب في تاريخه ـ الجزء الثامن صفحة ٢٩٠ بسنده عن أبي هريرة أنّ عمر بن الخطاب قال لعلي : « بَخٍ بَخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولايَ ومولى كل مسلم ، فأنزل الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم . . الآية . . ﴾ » أهـ .

ونقل جلال الدين السيوطي الشافعي المذهب في تفسير (الدر المنثور) عند تفسير هذه الآية عن ابن مِرْدَوِيهْ (أبو بكر أحمد بن موسى) وابن عساكر (علي بن الحسن) وكلاهما شافعي ، عن أبي سعيد الخدري أنّه قال : « لما نَصَّبَ رسول الله عليّاً يوم غدير خم فنادى بالولاية (أي بولاية علي) هبط جبريل بآية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم . . . ﴾ » أهـ .

وأخرج السيوطي أيضاً في أواخر تفسير آية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ، عن ابن مردويه ، =

. . . .

= والخطيب ، وابن عساكر ، عن أبي هريرة قال : لما كان يوم غدير خم وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة قال النبيُّ (ص) : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه .. فأنزل الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾ » أهـ .

وفي صحيح ابن ماجة (محمد بن يزيد القزويني ـ من أصحاب السنن) الشافعي المذهب أنّ عمر قال لعلي : « هنيئاً يابن أبي طالب أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مولى كل مؤمن ومؤمنة » أهـ .

وفي كتاب « المناقب » لموفق بن أحمد البكري المكي المعروف بـ أخطب خوارزم ـ الحنفي المذهب صفحة ٨٠ ـ تحت عنوان (الفصل الرابع عشر) طبع سنة ١٩٦٥ م ـ النجف ، قال : عن أبي سعيد الخدري عن بيعة الغدير « ... إنّ النبيَّ يوم دعا الناس إلى علي فأخذ بِضَبْعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ، ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ، فقال رسول الله : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الربّ برسالتي ، والولاية لعلي ... » .

وعنه في الصفحة ٩٤ بأسانيده من الباب المذكور : أنّ عمر قال لعلي بعد البيعة : « هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة » أهـ .

أقول : إنّ حديث بيعة الغدير متواتر ، وهو يؤكّد أنّ الإيمان برسالة محمد (ص) غير صحيح إلاّ إذا كان مقروناً بولاية علي بن أبي طالب ، وأنّ ولاية عليٍّ غير صحيحة إلاّ إذا كانت مشفوعة بالإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، وأنّ ما يجب على المسلم من : طاعة .. ونصر .. وتقدير .. وإجلال لمحمد صاحب الرسالة يجب عليه مثله لعليٍّ صاحب الولاية .. ادرس جيداً كلمات الرسول بتفهم واعٍ تتجلَّ لك هذه الحقيقة غنيّةً بالنقاء .

تأمل في كلماته (ص) : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » .

ثم في قوله (ص) : « اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه » .

وإليك حديث بيعة الغدير أنقله إليك بحروفه عن كتاب « إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى » للشيخ محمد علي الصبّان الشافعي المذهب ، وهو مطبوع بهامش كتاب « نور الأبصار » .

يقول الشيخ الصبّان في الصفحة ١٦٦ ـ تحت عنوان : « وهذه جملة من الأحاديث الواردة في حق عليٍّ زيادةً على ما سبق » : وقال رسول الله (ص) يوم (غدير خم) : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه . اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، وأُحبَّ مَنْ أحبه ، وأبغضْ من أبغضه ، وانصر مَنْ نصره ، واخذلْ من خذله ، وأدرِ الحقَّ معه حيث دار » أهـ .

ثم يُعلق الشيخ الصبّان على الحديث فيقول : « رواه ثلاثون صحابياً .. » .

بعدما نقلتُ لك الحديث بحروفه عن الشيخ الصبّان ، أطلبُ منك ثانيةً أن تتبصَّرَ فيه ، ولا سيما في قوله (ص) : « وَأَدِرِ الحقَّ معه حيث دار » .

ألا تَتَبَيَّنُ بوضوحٍ مشرق القسمات : أنَّ الحقَّ كائن مع علي كيفما اتَّجَهَ بدُعاء رسول الله صلى الله عليه وآله ؟؟ =

. . . .

= وَأَمْرٌ ثانٍ يجبُ أن لا نغفل عن ذكره هو : أن رسول الله لا ينطق عن رغبة عاطفية ذاتية . . . بل ينطق بما يأمره به ربّه عزّ وجلّ، والله سبحانه يقسم على ذلك بقوله : ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى** ﴾ (النجم ١ ـ ٤) وقد رأينا أنّه جاء عن ابن عباس ، والبراء بن عازب ، ومحمد بن علي ، وأبي سعيد الخدري أنّ الله أنزل على رسوله عند رجوعه من حجّة الوداع في (غدير خم) : ﴿ **يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . . .** ﴾ وأنّ الرسول خطب في المسلمين فور نزول هذه الآية فقال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . . الحديث . . .

وأنّه بعد تبليغ المسلمين أمر الله بمبايعة علي أنزل على الرسول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . . الآية** ﴾ . . . ، كما روى أبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، فكان إكمال الدين ، وإتمام النعمة بإعلان الرسول البيعة لعلي بن أبي طالب .

لقد كان شأن البيعة أمراً إلهياً صرفاً . . ، ولذلك رأينا الرسول يقول بعد البيعة . . وبعد نزول آية : اليوم أكملت لكم دينكم . . . : الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضى الربّ برسالتي والولاية لعلي » .

هذا ما كان في ختام الرسالة المحمدية . . .

وقد بايع رسول الله (ص) عليّاً في بَدْءِ الدعوة، وذلك حين أمر الله رسوله أن يجهر بالدعوة . . وأن يُنذر عشيرته الأقربين . . . فدعا الرسول بني عبد المطلب . . . وبعدما أعلَمهم أنّه رسول الله إلى العرب خاصّة وإلى الناس عامّة . . . قال لهم : « أيكم يبايعُني على أن يكون : أخي ، وصاحبي ، ووارثي ، ووزيري ، فأبوا جميعاً وقام عليٌّ فقال : أنا يا رسول الله . وقد كَرَّرَ الرسول ذلك ثلاث مراتٍ ، وفي كل مرة يقول علي : أنا يا رسول الله ، فضرب الرسول بيده على يد عليٍّ في الثالثة ، ثم قال له : « أنت أخي وصاحبي ، ووارثي ، ووزيري » .

راجع : أ ـ الحافظ النّسائي صاحب السُّنن الكبرى أحد الصحاح السّت : الخصائص من صفحة ١٣٠ ـ ١٣٤ ـ الحديث ٦٦ .

ب ـ محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ـ القسم الأول ٢ ـ صفحة ١١٧٢ و١١٧٣ مكتبة خياط .

ج ـ أبو الفداء : كتاب المختصر في تاريخ البشر ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٤ و١٥ ـ طبع دار الفكر ، سنة ١٩٥٦ م) .

د ـ الهيثمي (علي بن أبي بكر) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الجزء الثامن صفحة ٣٠٢ .

هـ ـ شيخ الشافعية : المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني صفحة ١٦٧ ـ وغيرها . . . =

ويتفقد الخليفة الثاني عمر عليَّ بن أبي طالب يوماً فلا يجده ، فيسأل عنه . . فيقولون له : ذهب إلى أرضه يعمل فيها . . . فيقول عمر لصحبه : هيا بنا إليه . .

= و ـ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج ـ الجزء الثالث عشر صفحة ٢١١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم المصري .

وهكذا يبدأ الرسول الجهر بالدعوة إلى الإسلام ببيعة علي ، ويتم الله الإسلام ويكمله ببيعة (غدير خم) لعلي عليه السلام ؛ والمسلمون جميعاً مُطبقون أنّ رسول الله (ص) قال : « عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض » ولا ريب أنّ من يكون القرآن معه ، وهو مع القرآن ـ لا ريب أنّه يكون دوماً وأبداً على صراط الله المستقيم . ورأينا أعلام المسلمين مجمعين أنّ الرسول قال : « إنّي تاركٌ فيكم الثّقَلَيْن : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » .

راجع : أ ـ صحيح مسلم ـ ج ٧ ص ١٢٢ و١٢٣ .

ب ـ النّسائي : الخصائص ـ صفحة ١٥٠ .

ج ـ التّرمذي (محمد بن عيسى)، أخرجه في باب (مناقب أهل البيت) ، ومسلم ، والنسائي ، والترمذي من أصحاب الصحاح . . .

ويعلم الخاصُّ والعامُّ أنَّ عليّاً سيد أهل البيت بعد رسول الله ، وحديث الثقلين تأكيدٌ آخر مطلق أنَّ عليّاً مع القرآن ، والقرآن معه . لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض . . ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٢ صفحة ٢٩٧): « قد ثبت في الأخبار الصحيحة أنّه (أي الرسول) قال : « عليٌّ مع الحق يدور حيثما دار » . فهذه الأحاديث وكثير غيرها من الذي ذكرناه ، ومن الكثير الذي لم نذكره تجعل من عليّ بن أبي طالب منارة هُدىً يهتدي بها الناس إلى مباهج جنّات الدنيا . . والآخرة . . كما كانوا يهتدون برسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد كان الفاروق عمر (رض) بذلك عليماً . . وبه مؤمناً . . وله مصدقاً . . ولهذا كان يقول مزهوّاً في كل مناسبة :

« عليٌّ مولى مَنْ كان رسولُ الله مولاه » .

« وعليٌّ مَولايَ وَمَوْلى كُلِّ مُسْلم » .

« وعليٌّ مولايَ ومَوْلى كل مُؤمن ، وَمَنْ لم يَكُنْ مولاه فليس بمؤمن » .

« ولا يتمُّ شَرَفٌ إلّا بولايةِ علي » .

« ولولا عليٌّ لهلك عمر » .

« وعليٌّ أقضانا » . . . الخ .

إنّه الفاروق عمر يقول ما يعتقده وما يؤمن به ، . . .

إنّه من الذين يَهْدونَ بالحَقِّ وبه يعدلون . . .

ولما وصلوا طفقوا يُساعدونـه في عمله ، ثم جلسوا لـلاستراحـة ، وإذا عليٌّ يقول لعمر : يا أمير المؤمنين !! لو جاءك رَجُلٌ فِي جماعـةٍ من بني إســرائيـل ، وقــال لـك : أنــا ابن عمّ مـوسى ، أكُنْتَ تفضّله على أصحابه ؟؟ .

قال عمر : نعم .

وإذا كان الفاروق يكـرّم مَنْ يقول : أنـا ابن عمّ موسى ، فـأولى به أن يكون أكثر تكريماً ، وأشدّ تعظيماً لمن هو أخو محمد رسـول الله وابن عمّه ، فإذا عليٌّ يقول : « أنا والله أخو رسول الله وابن عمّه » .

ويتأمّل الفاروق في عبارة عليٍّ مليّاً . .

لقد قال عليٌّ حَقّاً . .

فماذا فعل الفاروق ؟؟ .

بأيّة وسيلة يكرم عليّاً ؟؟ .

لِنَسْتَمِعْ إلى (الدارقطني) يقصّ علينا النبأ المثير . .

قال ابن حجر : (وأخـرج) أيضاً « أي الـدارقطني » أنّ عمـر سأل عن عليٍّ فقيل له : ذهب إلى أرضه .

فقال : اذهبوا بنـا إليه ، فـوجدوه يعمـل ، فعملوا معه سـاعةً ، ثم جلسوا يتحدّثون ، فقال له علي : يا أمير المؤمنين !! أرأيت لو جاءك قومٌ من بني إسرائيل فقال لك أحدهم : أنا ابن عَمِّ موسى ، أكانت لـه عندك أثَرَةٌ على أصحابه ؟؟ .

قال : نعـــم .

فقال : فأنا والله أخو رسول الله وابن عمّه .

فنـزع عمر رداءه فبسـطه ، فقال : لا والله ، لا يكـون لـك مجلسٌ غيره حتى نفترق » أهـ[٨٦] .

* * *

---

(٨٦) راجع : ابن حجر الهيثمي : الصـواعق المحرقـة صفحة ١٧٩ ـ تحت عنـوان (المقصـد الخامس) .

والفـاروق عمر لم يغب عن غـزوة من المغـازي الحمـراء التي خاضها رسول الله مع عنفوان الشرك المارد . . . فمن غزوة بدر . . . إلى أحـد . . إلى الخندق . . إلى خيبـر . . إلى فتح مكـة . . إلى حنين . . إلى الطائف . . هذه الغزوات المتلاحقـة التي سحقت كبريـاء الشرك . . والطبقيَّة . . والتي فتحت للإسلام بـاب الخلود على سطح هـذا الكوكب الأرضي . . حضرها الفاروق جميعاً .

وقـد شاهـد بأمّ عينيـه عليَّ بن أبي طـالب يَتَـدَفَّقُ فيهـا بـأسـاً . . ونجدةً . . وفُتُوَّةً . . وبطولات خارقة .

رآه لم يَجُلْ فيها جولةً . . ولم يصل صولةً . . إلاّ كان سيفـه جزّار الـوثنيـة يسفـح دمـاءهـا . . ويهـدم بنيـانهـا القـائم على : الشـرك . . والبغي . . والعـدوان . . والطبقيـة . . ليقيم مكانـه بنيان : التـوحيـد . . والعدالة الاجتماعية . . والإخاء . . والمراحم الإنسانية .

وفي جلسة في مسجد رسـول الله جمعت الفاروق وعليّـاً ولفيفاً من أصحاب الرسول يتذاكرون في تلك الجلسة ما يتذاكرون . . . ثم يمضي علي ، وإذا أحد الحاضرين يصف مشْيَةَ علي بكلام يجعل الفاروق يتميَّزُ غيظاً ويقول له : على رسلك ، إنّ سيف علي هو الـذي أَعَزَّ الإسـلام ، وحَقّقَ له نصراً مؤزَّراً على جبـروت المشركين . . . وجعـل كلمة التقـوى ـ لا إلـه إلاّ الله ـ ترتفـع في سماء هـذه البسيطة مِشْعـلاً متـوهجـاً بـالنـور الفياض الذي لا يخبو تَألُّقُهُ الرحماني على امتداد عمر الزمن .

إليك كلمات الفاروق بعين ألفاظها ، كما أوردهـا ابن أبي الحديـد المعتزلي المذهب في شرح نهج البلاغة .

قال : « وروى أبو بكر الأنباري في أمـاليه أنّ عليّـاً (ع) جلس إلى عمر في المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام ، عَرَّضَ واحدٌ بذكره ، وَنَسَبَـهُ إلى التيهِ والعجب ، فقال عمر :

« حقّ لمثله أن يتيه ، والله لولا سَيْفُه لما قام عمودُ الإسلام ، وهو بعد ، أقضى الصحابة ، وذو سابقتها ، وذو شرفها . . . »[٨٧] .

يشهد الفاروق عمر ، ويقسم بالله على شهادته أنّه لولا سيف علي لما انتصر الإسلام ، وقد ـ والله ـ بَرَّ الفاروق في قَسَمه وَعَدَل .

* * *

والفاروق عمر يقول يوماً لعلي : بكم هدانا الله ، وأخرجنا من ظلمات الشرك . . إلى نور التوحيد . . .

كان سبب ذلك : أنّ رَجلاً طلب من عمر أن يكون حكماً بينه وبين علي . . .

وفي بدء المحاكمة يَحْصَلُ من عمر ما يَجْعَلُ عَدَمَ الرضى يبدو في وجه علي . . .

ويعجب الفاروق ، ويسأل عليّاً . . . فيجيبه عليٌّ . . .

أتعلم بماذا أجابه . . ؟؟ .

إليك (أخطب خوارزم) ينقل إلينا في كتابه « المناقب » تفصيل ما جرى بسنده عن ابن عباس .

قال : « استعدى رَجُلٌ على علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب ، وكان عليٌّ جالساً في مجلس عمر بن الخطاب ، فالتفت عمر إلى علي فقال : يا أبا الحسن !! قُمْ فاجلسْ مع خصمك .

فقام عليٌّ فجلس مع خصمه ، فتناظروا ، وانصرف الرجل ، ورجع عليٌّ إلى مجلسه فجلس فيه .

فتبيَّن عُمَرُ التغير في وجه علي ، فقال له : يا أبا الحسن !! ما لي أراك متغيِّراً ؟؟ .

---

(٨٧) راجع : شرح النهج ـ الجزء الثاني عشر صفحة ٨٢ ـ طبعة ثانية سنة ١٩٦٧م ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ـ تحت عنوان : (في ذكر ما ورد عن عمر من الثناء على علي) .

أكرهْتَ ما كان ؟؟ .

قال : نعـم .

قال : ولم ذاك ؟؟ .

قـال : لأنّـك كنيتني بحضـرة خَصْمي ، أفـلا قلت : قُمْ يـا عليُّ فاجلس مع خصمك .

فأخذ عمـر برأس علي فقبّـل بين عينيه ثم قـال : بأبي أنتم ، بكم هدانا الله ، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور » أهـ(٨٨) .

الآن تبينًا السَّبَبَ الذي جعل وجه عليٍّ يتغيّر . . .

لقد كَنّى الفاروق عليّاً ولم يُكنِّ خصمه . . .

ومعنى هذا : أنّه لم يُساوِ بينه وبين خصمه . . .

وذلك مُجافٍ للعدالة الإسلامية . . .

ويدرك الفاروقُ ما وقع فيه من خطأ . . فينكب على عليٍّ يُقَبِّلُ بين عينيه ، ويقول له : فداكم أبي ، أنتم فتحتم لنـا باب الهُـدى وَجَعَلْتمونـا نلجُهُ . . وأنتم بما عندكم من علم ربّاني أخـرجتمونـا من ظلمات الكفـر إلى أنوار الإيمان والتوحيد . . .

* * *

قال الفقيه الشافعي ابن المغازلي : « أخبـرنا أبـو طالب محمـد بن أحمد بن عثمان بسنده . . عن أبي ذرّ ، قال : سمعت رسول الله يقول : كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العـرش ، يسبّح الله ذلـك النور ويقـدّسه ، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلم أزل أنا وعلي في شيء واحد حتى افترقنا في صُلْب عبد المطلب » أهـ .

---

(٨٨) راجـع : الحافظ أبـو المؤيد المـوفق بن أحمد بن محمـد البكـري المكي الحنفي المـذهب المعروف (بأخـطب خوارزم) : المنـاقب صفحة ٥١ و٥٢ الفصـل السابـع ـ في غزارة علم علي . طبع سنة ١٣٨٥ هـ=١٩٦٥ م .

وفي رواية ينابيع المودة عن سلمان الفارسي زيادة « ففيَّ النبوة ، وفي علي الخلافة » .

وفي رواية الديلمي صاحب الفردوس : « فكان لي النبوّة ، ولعليٍّ الوصيَّة »[89] .

أمّا الفاروق عمر فإنّه يطلعنا على شيء آخر ثمين عن علي ، وهذا الذي يُطلعنا عليه فيه الدليل القاطع على إيمانه المطلق بهذا الحديث ، وهو يزيد الكتب التي أخرجت الحديث النبوي السابق توثيقاً . .

وأنا وأنت ـ كلانا به شَغَفٌ لأن يَسْمَعَ ما قاله الفاروق عن علي في هذا الشأن . .

إذاً فَلْنُرْهِفْ مسامع قلوبنا إلى أخطب خوارزم المتولد سنة (٤٨٤ هـ) يُملي علينا كلمات الفاروق بأسانيده من كتابه (المناقب) .

قال : أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن

---

(٨٩) راجع : أ ـ ابن المغازلي : المناقب من صفحة ٨٧ ـ ٨٩ ـ الأحاديث : ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ .

ب ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الأول ـ صفحة ٩ و ١٠ ـ (الباب الأول) ، وقال القندوزي أخرجه ابن المغازلي الشافعي في المناقب عن أبي ذر وسلمان ، والديلمي عن سلمان ، والحمويني في فرائد السمطين عن علي .

ج ـ الذهبي (محمد بن أحمد ، شمس الدين) الشافعي المذهب : ميزان الاعتدال ـ الجزء الأول صفحة ٢٣٥ نقلاً عن ابن عساكر الشافعي المذهب .

د ـ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج ـ الجزء التاسع صفحة ١٧١ ـ (الحديث ١٤) تحت عنوان ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضل علي ـ طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ م . وقال ابن أبي الحديد : رواه أحمد (الإمام أحمد بن حنبل) في المسند ، وفي كتاب : فضائل علي ، وذكره صاحب كتاب الفردوس (الديلمي) ، وزاد فيه : ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية » .

هـ ـ أخطب خوارزم الحنفي المذهب : المناقب صفحة ٨٨ ـ الفصل الرابع عشر ، تحت عنوان « في أنّ عليّاً أقربُ الناس لرسول الله » .

شهـردار الـديلمي بسنـده . . عن عثمـان بن عفـان قـال : قـال عمـر بن الخـطاب : « إنّ الله تعـالى خَلَقَ مـلائكـةً من نـور وَجْـهِ عليٍّ بن أبي طالب » أهـ[٩٠] .

الأديـان السمـاويـة متّفقـة على أنّ المـلائكـة أرواح سمـاويَّـةٌ . . نوارنيَّة . .

وأنّهم إلى الله مُقَرَّبون . .

والله تبارك وتعالى خَلَقَ منهم مَنْ خَلَقَ من نور وَجْهِ علي . . .

إنّها مَزيَّةٌ فَريدَةٌ لعلي بن أبي طالب . .

والفاروق عمر ينـطِقُ بهذه المـزيَّة كي يُـطْلع المسلمين على دَرَجَة عليٍّ في السُّمو الرُّوحاني . . .

لِيقدِّروه حَقَّ قَدْره . . .

وَمَنْ لَكَ بمثل الفاروق الذي يسير على نهج قـوله تعـالى : **﴿ وإنّه للحقُّ من ربّك ﴾** .



(٩٠) راجع : أخطب خوارزم الحنفي المذهب : المناقب صفحة ٢٣٦ (الفصـل التاسع عشر في فضائل شَتَّى لعلي) .

الفصـــــل الخامـس

الصحابة يرجعون إلى علي ويعملون بفتواه . . .

وهذه امرأةٌ من الأنصـار هوِيَتْ شـابّاً هـوىً جَعَلَها لا تستـطيع عنه صَبْراً . . فتأتيـه مُتلَطِّفَةً ، وفي عينيها يَشِعُّ بـريقُ حبّها . . ولكن الشـاب يَسْتعلي عليها . . فتستمرىء كبـرياءَه . . وتعـود إليه ثـانيةً . . وثـالثة . . لهيفةً . . مُتَخَشِّعَةً . . . وتَدْفَعُها حرارة حُبِّها إلى سلوك كل فَجٍّ يَتَفَتَّقُ عنه سِحْرُ الإغراء . . فما زاده ذلك منها إلاّ نفوراً وبعداً . . .

مـا السَّبيـلُ إلى كسْب عَـطْفِ هـذا الـذي يَـغْلي حُبُّـهُ في قلبها . . . ؟؟ .

وتبكي المـرأة ما أَسْعَفهـا البكاء بينهـا وبين نفسها . . . ليتهـا تعلمُ دَرْباً يَشُقُّ لها مَدْخلاً إلى قلبه . . .

إذاً لكـانَتْ تسلكه مهمـا كـان صَعْبـاً ، ولـو كـان في ذلـك هـلاك نفسها . . ولكن ، لماذا يمتهنها هذا الشاب ، وهي في ربيع عمـرها . . وليست قبيحـةً ـ وهما من معـدن واحـد ، كـلاهمـا من الأنصـار ؟؟ ومن جـديد تُغـالبُ اليأسَ . . وتعـود تحومُ حـوله كمـا تحـومُ الفـراشَـةُ حـول المصباح . .

إلاّ أنّه لم يَعْبَأْ بها . . . ولمّا أَحْـرَقَتْ نارُ اليـأس كلّ مـطامحها . . اسْتحال حُبّها المجنونُ بُغْضاً أَعْنَفَ جنوناً . . .

ثُمَّ بَيَّتَتْ أمراً . . وانطلقَتْ إلى الشاب تجرّه بشراسة إلى مجلس الخليفة عمر بن الخطاب قالت للخليفة بصوت تُجَرِّحُهُ أنفاسُ الألم : هذا الرجل قهرني على عفافي . . . وذبح كرامتي . . .

ويجلب عمر بعض النسوة ، ويطلب منهن أن ينظُرْنَ في أَمْرِ المرأة . . .

وبعد الكشْف على المرأة عُدْنَ إليه يَقُلْنَ : إن نُطَفَ الرجُل ما تَزالُ طريَّةً على فخذيها وفي ثوبها .

ويتورَّدُ وَجْهُ عمر غَضَباً . . وَيَهُمُّ أن يُنزل بالشاب العقاب الذي يستحقه ولكن الشَّابَّ يَصْرُخُ مُسْتَغيثاً ، وَيَقولُ له : لا تَعْجَلْ عَليَّ . . .

هي والله راودتْني عن نفسي فأبَيْتُ . . .

وَتَتَملَّكُ الفاروق الحيرة . . . المرأة ما برحت تَسْفَح الدموعَ غزاراً . . وشاهدها على فَعْلَةِ الشَّاب هذا المنيُّ الظاهر على جسدها وفي ثوبها . . والشابُّ يتعالى صُراخه ، وَيُقْسِمُ الأيمانَ الغلاظَ الشِّداد أنّه لم يُلامِسْها . . . وَيَطْلُبُ التريُّثَ في شأنه . . .

ما السَّبيل إلى معرفة الحقيقة . . . ؟؟ .

وينظر الفاروق إلى علي بن أبي طالب الجالس إلى يَمينه ، وَيَقولُ له : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟؟!! .

فماذا فعل علي لكشف حجاب الباطل الأسود عن وجه الحق الأنور ؟؟ .

لقد استعمل طريقة عِلْمِيَّةً اكْتَشَفَها العِلم منذ وقت غير بعيد . . وهذا شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزية الحنبليُّ المذهب ، يَسْرُدُ علينا في كتابه « الطرق الحكميَّة » الحادثة . . وما فعله علي عليه السلام .

قال : « قال جعفر بن محمد : أُتيَ عمر بن الخطاب بامْرأةٍ قد تَعَلَّقَتْ بشابٍّ من الأنصار وكانت تهواه ، فَلَمَّا لم يساعدها احتالت عليه

فَـأَخَـذَتْ بَيْضَـةً ، فَـأَلْقَتْ صُفْـرتَهـا ، وَصَبَّت ٱلْبَيـاض على ثَـوْبهـا وبين فَخذَيْها ، ثم جاءت إلى عُمر صـارخةً فقـالت : هذا الـرجل غلبني على نفسي ، وفضحني في أهلي ، وهذا أثر فَعاله ، فَسَأَلَ عُمَر النِّساء ، فَقُلْنَ له : إنّ ببدنها وثوبها أثر المنيّ ، فَهَمَّ بعقـوبته ، فجعـل الشَّابُّ يَسْتغِيثُ ويقول : يا أمير المؤمنين !! تَثَبَّتْ في أمري ، فوالله ما أتيْتُ فاحِشَةً ، وما هَمَمْتُ بها، هي راودتْني عن نفسي فـاعْتَصَمْتُ . فَقَـالَ عُمَـر : يـا أبـا الحَسَن . ما ترى في أمـرهما ، فنـظر عليٌّ إلى ما على الثـوب ، ثمَّ دعا بماءٍ حارٍّ شديدِ الغليان ، فَصَبَّ على الثوب ، فجمـد ذلك البيـاض ، ثم أَخَذَهُ واشْتَمَّـهُ ، فَعَرَف رائحة البيض وزَجَرَ الْمَرْأَةَ فـاعْتَرَفَتْ » أهـ (راجـع صفحة ٤٧ من الطرق الحكميّة) وهكذا اكتشف علي حيلة المرأة بطريقة علميَّة ، لأنَّ المنيَّ إذا صَادَفَ حارّاً ذاب ، وبياض البيض إذا أصـاب ماءً حارّاً تجمّد . . .

* * *

وهـذا الرسـول الرحيم يُـطلع المسلمين على ما يَحْـدُثُ لكلٍّ منهم يوم القيامة . . .

إنّه يقول لهم : يُسْأَلُ المسلم عن أربعٍ . . ويصمت . .

فيحبسون الأنفاس ، وينظرون إليه بشغف . .

إنَّ عيونهم تسأل : ما تلك الأربع يا رسول الله . . . ؟؟ .

ويرى الرسول حرارة اللهفة للمعرفـة تتلألأ في وجـوههم ، فَيَطيبُ بذلك نَفْساً ، ويقول : إنَّ الأربع التي يَسْأَلُه الله عنها هي :

١ ـ كيف أمضى سنوات عمره ؟؟

هل كان عضواً نافعاً في مجتمعه خـلال تلك السنوات ، يُنشـد الخير للناس في معاملاته . . وسلوكه الاجتماعي والأخلاقي ؟؟ .

٢ ـ وجسده الذي صحبه في مراحل عمره من شبابه إلى شيخـوخته ، في أي الأعمال أبلاه . . ؟؟ .

أفي طاعة الله التي تتجلّى في زرع الإخاء والمحبة والتعاون بين الناس لتطوير المجتمع نحو الأفضل والأكمل ؟؟ .
أم في معصية الله التي تتجلّى في أذى أبناء المجتمع . . . ونشر الفساد والإفساد في الأرض . . . ؟؟ .

٣ ـ وماله الذي كسبه ، هل كسبه بجهده حلالاً سائغاً . . وأنفق منه على المحرومين والبائسين ، فجلب لهم بذلك المسرّة ، وجلب لنفسه من الله الرضى . . أم أنفقه في الشهوات الآثمة طاعةً للشيطان . . . ؟؟ .
أم كسبه بأساليب محرمة من دماء الآخرين ودموعهم . . . ؟؟ .

٤ ـ وعن حبّه لمحمد وأهل بيته . . هل أحبّهم وأخلص لهم . . كما يريد الله ورسوله . . . ؟؟ .

وينظر الفاروق عمر إلى الأفق البعيد . . ثم يقول للرسول : يا رسول الله !! ما علامة حبكم بعد أن تفارقنا ؟؟ .

إنّه يُريدُ أن يستوثق لنفسه وللمؤمنين لينالوا كرامة حُبِّ أهل البيت بعد غياب رسول الله ، ويدخلوا الجنّة . . فماذا قال رسول الله (ص) ؟؟ .

أرجو أن تُصغي إلى أخطب خوارزم يروي لك الحديث بكلماته نفسها . . ويوقفك على جواب الرسول للفاروق عمر :

هوذا يقول : « وأنبأني مهذب الأئمة هذا أخبرني شجاع بن المظفر بن شجاع العدل بسنده . . . عن نفيع بن الحرث ، عن أبي بُرْدَة قال : « قال رسول الله (ص) ونحن جلوسٌ ذات يوم : والذي نفسي بيده لا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ القيامة حتى يَسْأَلَهُ الله تبارك وتعالى عن أربع ؛ عن عمره فيمَ أفناه ، وعن جسده فيمَ أبلاه ، وعن ماله ممَّ اكْتَسَبَهُ ، وفيم أنفقه ، وعن حبّنا أهل البيت ؟؟ .

« فقال له عمر بن الخطاب (رض) : فما آية حبكم من بعدكم ؟؟ .

فوضع يَدَهُ على رأس علي (ع) وهو إلى جانبه ، وقال : « إنَّ حُبِّي من بعدي حُبُّ هذا ، وطاعَتَهُ طاعتي ، ومخالَفَتَهُ مخالفتي » أهـ(*) .

* * *

وَيؤْتَى بِـرَجُلٍ إلى الخليفـة الثاني عمـر بن الخطاب ، ويُقـال له : هذا رجل يقول كلاماً ينقله من نورانية الإسلام إلى ظلمات الكفران . . .

ويسـأل الفاروق الـرجل ، فيقـول بجـرأة نـادرة : نعم . أنـا أحبُّ الفتنة . . وأكره الحق . . . وأصدق اليهود والنصارى . . . و . . . يالله !! أيمكن أن ينطق مسلم بهذه الكلمات الفاجرة . . . ؟؟ .

يحب الفتنة . . .

يكره الحـــق . . .

يُصَدِّقُ اليهود والنصارى . . .

ويراجعه الخليفة . . فيُصِرُّ على قوله .

وعمر الخشنُ في ذات الله ، ماذا يفعل به ؟؟ .

يَهُمُّ أن يبطش به . . ولكنَّ خاطراً عَرَضَ له فتأنَّى . . .

رأى أن يكون معه شاهد عدل ينظر في كلام هذا الرجل .

ويمرّ في ذاكرته أسماء الصحابة واحداً . . واحداً . .

ثُمَّ يرفع صوته قائلاً : ما لي أُتعب نفسي . . ؟؟ .

ليس لي ، ولا لها إلاّ علي بن أبي طالب عَيْبَةُ علم رسول الله . . .

وَيُرْسِلُ إليه . . فيأتي . . .

وَيُطْلِعُهُ عُمَرُ على مَقَالةِ الرجل . .

ويتأمَّلُ عليٌّ في كلمات هذا الرجل . . .

إنّها مُقْتَبَسَةٌ من كتاب الله الحكيم . . .

(*) انظر : مناقب الخوارزمي ـ ص ٣٥ ـ ٣٦ ـ (الفصل السادس) .

فَيَبْتَسِمُ علي ، وَيَقُولُ لِعُمر : « لقد صَدَقَ الرجل » .
صَدَقَ الرجل . . كيف . . ؟؟ كيف يا أبا الحسن ؟؟!! .
ألا ، فَلْنَتْرُك الشَّبَلَنْجي الشافعيَّ المـذهب يروي لنـا ما حـدث بين الرجل ، وعمر ، وعلي .

قـال تحت عنوان (لـطيفة) : رُويَ أَنَّ رَجُـلاً أُتي به إلى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكـان صَدَرَ منـه أنّه قـال لجماعـة من الناس ، وقد سألوه : كيف أصبحت ؟؟ .

قـال : « أَصْبَحْتُ أُحِبُّ الفتنـة ، وأَكـرهُ الحقَّ ، وأُصَـدِّقُ اليهـودَ والنصارى ، وأُومنُ بما لم أَرَهُ ، وأُقرّ بما لم يُخْلَقْ » أهـ فأرسل عمـر إلى عليٍّ رضيَ الله عنهما ، فلما جاء أخبره بمقالة الرجل ، فقـال : صَدَقَ ، ثم راح يفسّر لعمر ولمن حضر من الصحابة معنى قوله :
يُحبُّ الفتنـة . قال الله تعـالى : ﴿ **أنما أمـوالكم وأولادكم فِتْنَةٌ** ﴾ (الأنفال : ٢٨) .

ويكـره الحقَّ . يعني الموت ، قـال الله تعالى : ﴿ **وجـاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ (ق : ١٩) .

وَيُصَـدِّق اليهـود والنصـارى . قـال الله تعـالى : ﴿ **وقـالت اليهـود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصـارى ليست اليهود على شيء** ﴾ (البقرة : ١١٣) .

ويؤمن بما لم يَرَهُ ، يؤمن بالله عَزَّ وجَلَّ .
ويُقرّ بما لم يُخْلَقْ . يعني : السَّاعة .
فقال عمر : « أعوذ بالله من مُعْضلَةٍ لا عليٌّ بها » .

(*) راجع الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي : نور الأبصار ـ ص ٨٨ (فصـل في ذكر منـاقب سيدنـا علي بن أبي طالب) .

قــال سعيـد بن المسيب : كــان عمــر يقــول : « اللهم لا تُبْقني لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن » أهـ(*) .

* * *

والفاروق عمر يتمنّى أن يكون له واحدة من ثلاث خصـال أعطاهُنَّ الله ورسـولُهُ عليَّ بن أبي طـالب . . وإنّه ليـرى في نيل واحـدة منهن عُلُوَّاً وَمَجْداً يجعلانه مُتَوَّجاً باخضرار الغبطة . . وكرامة الخلود . . فهل عرفت تلك الخصال الباسقات ؟؟ .

إن شئت أن تعرفها . . .

وأن تعرف ما قاله عمر . . .

فانظر في الصفحة ـ ٢٣٨ ـ من كتاب المنـاقب ، لأخطب خـوارزم الحنفي المـذهب ، حيث تـراه يقـول : « وبهـذا الإسنــاد عن أحمـد بن الحسين البيهقي هذا أخبرني محمد بن عبد الله الحـافظ بسنده . عن أبي هـريرة ، قـال : قال عمـر بن الخطاب : لقـد أُعْطِيَ عليٌّ بن أبي طـالب ثلاث خصال ، لأن يكون لي واحدةٌ مِنْهُنَّ أَحَـبُّ إليَّ من أن أعطى حمـر النعم .

قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟؟ .

قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله .

وسُكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحلّ له فيه ما يحلّ له .

وإعطاؤه الراية يوم خيبر » أهـ .

* * *

ويكتب خالد بن الوليد إلى الخليفة الأول كتاباً يُعلمه فيه ، أنّه رأى رجُلاً من العرب يوطأُ كما توطَأُ النساء . .

فيقوم الصديق للأمر ويقعد . . .

رَجُلٌ يوطأُ كما توطأ المرأة . . ؟؟ .

لَيْسَ هذا من شيمَة العرب . . .

وهو أَمْرٌ مُخالفٌ لسُنَّةِ الطَّبيعَةِ . .

وقد أخبر القرآن الكريم أنّ الله دَمَّرَ قومَ لوط بسَبَب مُلَابَستهم هـذا المنكر الخبيث . .

إنّمـا مـا هي العقـوبـة الـزاجـرة التي يـرى الخليفـة إنـزالهـا بهـذا الرجل . . ؟؟ .

ويُصَعِّدُ الصِّدِّيقُ ذِهْنَهُ في الأَمْرِ . . وَيُصَوِّبُهُ . . .

فَتَغيمُ عليـه السُّبُـلُ في إصـدار حكم عـادل يمنـع من شيـوع هـذه الفاحشة . .

فيحضر طائفة من الصحابة ، ويُطلعهم على كتاب خالد . . .

ويطلب منهم إبداء آرائهم . . . ولكنهم قابلوه بصَمْتٍ حزين . . .

فتتجه الأبصار والقلوبُ إلى عَليٍّ بن أبي طالب . .

فبماذا حَكَمَ على الرَّجُل . . . ؟؟؟ .

وهل أمر الصديق بتنفيذ الحكم ؟؟ .

هـذا صاحب كتـاب « كنز العمـال » يُطلعنـا على كتاب خـالـد . . ومـوقف أبي بكـر . . وحكم علي (في الجـزء الـثـالث مـن كتـابـه ـ صفحة ـ ٩٩ ـ) .

« قال : عن محمد بن المنكدر ، أنّ خالد بن الوليـد كتب إلى أبي بكر أنّه وُجِـدَ رَجُلٌ في بعض ضـواحي العرب ينكـح كما تنكـح المرأة ، وأنّ أبـا بكر جمـع لذلـك ناسـاً من أصحاب رسـول الله (ص) كـان فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام أشدّهم يومئذٍ قولاً ، فقال : إنَّ هذا ذَنْبٌ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أُمَّةٌ من الأمم إلاّ أُمّة واحدة ، فَصُنِعَ بها ما قـد علمتم ، أرى أنّ تُحَرِّقوه بالنار ، فكتب إليه أبو بكر أن يُحَرَّقَ بالنار » أهـ (نَقْلاً عن ابن أبي الدنيا في ذمّ الملاهي وابن المنذر ، وابن بشران) .

* * *

ويشكو رَجُلٌ إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان زوجته فيقول : إن امرأته وَضَعَتْ غلاماً سويّاً لستة أشهر ، وهذا يجعله يرتاب في عِفّتها . . .

وتحضر المرأة . . وتعترف بصدق ما قاله زوجها . . .

ولكنها تُقْسِمُ بالله رَبِّ العالمين أنّها لم تُدَنِّسْ كرامتها . . .

وتتأوّهُ المرأة . . ويعلو نحيبها . . وتطلب التبصر في أمرها . . .

غير أنَّ الخليفة يرفض أن يُصغي لتوسُّلِ دموعها . . وتوجُّع فؤادها . .

فهي قد اعترفت أنّ مدة إقامتها مع زوجها ستة أشهر ، ومعنى هذا أنَّ رجلاً آخر قد لامسها قبل زواجها منه . . .

وهو لذلك يأمر برجمها . . .

وينطلق أحدهم إلى علي بن أبي طالب فيبلغه حكم عثمان على المرأة . . .

فيشق عليه ما سمع . . إنّ الخليفة على وشك أن يقتل نفساً بريئة . . .

فيمضي إليه مُسْرعاً ويسأله عن المرأة ، فيقول : إنّه حكم عليها بالرجم حتى الموت ، لأنّها ولدت لستة أشهر . . .

فبماذا أجابه علي ؟؟ .

لقد أبان له أنّ ولادة المرأة لستة أشهر أمر يُقرّه التشريع الإسلامي . . ويتلو عليه آياتٍ من كتاب الله تثبت ذلك وتؤكّده .

ويُنعم عثمان النظر فيما قاله عليٌّ فيراه نور الصواب ، فيستحي ويقول : ما كنت أعرف هذا . .

ولعلّك تريد أن تسمع حكاية هذه المرأة المظلومة . . .

إليك الإمام السيوطي أحد أعلام علماء المذهب الشافعي يحكي

لـك قصَّةَ هـذه المرأة في تفسيره « الدر المنثـور » في ختام شـرح قـولـه تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنا الإنسان بوالديه إحْساناً ﴾ (الأحقاف : ١٥) .

قـال : « وأخـرج ابن المنـذر ، وابن أبي حـاتم ، عن بعجـة بن عبد الله الجهني ، قال : تَزَوَّجَ رَجُلٌ منّا امرأةً من « جهينة » ، فولدت لـه تماماً لستة أشهر ، فـانطلق زوجهـا إلى عثمان بن عفّـان فأمـر برجمهـا ، فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام ، فأتاه ، فقال : ما تصنع ؟؟ .

قال : ولدت تماماً لستة أشهر ، وهل يكون ذلك ؟؟ .

قـال عليٌّ : أمـا سَمِعْتَ الله يقـول : ﴿ وحمله وفصـالـه ثـلاثـون شهراً ﴾ (الأحقاف : ١٥) .

وقال : ﴿ والوالدات يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حـولين كاملين لمن أراد أن يُتمّ الرضاعة ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

فكم تجده بقيَ إلاّ ستَّة أَشْهُر ؟؟ .

فقال عثمان : والله ما فطنت لهـذا ، عَلَيَّ بالمـرأة ، فوجـدوها قـد فُرِغَ منها . .

وكان من قولها لأُخْتها : يا أُخَيَّة لا تحزني ، فوالله مـا كشف فرجي أحدٌ قط غيره .

قال : فَشَبَّ الغلامُ بَعْدُ ، فاعْتَرَفَ الرَّجُـلُ به ، وكـانَ أَشْبَهَ النـاس به » أهـ .

* * *

والسيدةُ عائشة كان بعض المسلمين يستفتـونها فيمـا غَمُضَ عليهم من شؤون دينهم . . .

ويـأتيها يـوماً شُـريح بن هـانىء يسألُهـا : هل يَجُـوزُ المَسْـحُ على الخُفين في الوضوء ؟؟؟ .

وَتُمْسِـكُ أمّ المؤمنين عن إعطاء الجـواب ، لأنّه ليس لـديهـا قَـوْلٌ فَصْلٌ في ذلك . . .

وهي تَعْلَمُ أنّ الناسَ سيعملون بقولها ، لأنّهم يرون أنّه صادرٌ عن عِلْمٍ أَخَذَتْهُ من نبي الهدى والرحمة .

وهي تُريدُ أن يَأْخُذَ شُريحٌ له ولمن وراءه من المسلمين فتوى منْ مصدرٍ لا يَرْقى إليه الخطأ . . .

وَيَمْتَدُّ وُقوفُ شُريح بن هانىء دقائق . . .

إنَّ أُمَّ المؤمنين تُجْري حِواراً سِرِّياً بينها وبين نفسها . . .

وبينا الرجل يوشكُ أن يقول شيئاً . . .

إذا أُمُّ المؤمنين ترفعُ رأسَها وتقول له : « اذهب إلى عليٍّ بن أبي طالب فَسَلْهُ ، فعندَهُ النَّبأُ اليقين . . .

هَلُمَّ فَاصْحَبْني إلى الإمام مسلم ، فإنَّهُ يَرْوي لنا ما حَدَثَ بين شُريح وعائشَة في صحيحه ـ (الجزء الأول ـ صفحة ـ ١٦٠ و ـ١٦١ ـ) في كتاب الطهارة ـ باب التوقيت في المسْح على الخفين ـ طبع محمد علي صبيح ـ مصر .

قال : « وحدثنا إسْحَقُ بن إبراهيم الحنظلي ، بسَنَده . . عن القاسم بن مُخيمرة ، عن شريح بن هانىء ، قال : أَتَيْتُ عائِشَةَ أَسْأَلُها عن المسْح على الخفين ، فقالت : عليك بابن أبي طالب ، فَسْلْهُ ، فإنّه كان يُسافر مع رسول الله . . الحديث .

وأخرج عن طريق آخر ـ عن زهير بن حرب ، بسنده . . عن الأعمش ، عن القاسم بن مُخيمرة ، عن شُريح بن هانيء قال : سَأَلْتُ عائشة عن المسْح على الخُفَّيْن ، فقالت : « ائْتِ عليّاً فإنّه أَعْلَمُ مني بذلك » أهـ .

* * *

وَيَنْجُمُ في المدينة المنوَّرَةِ حَدَثٌ يُكَدِّرُ على الفاروق عُمر هناءه النفسي . .

لقد جلبوا له امرأتين : حُرَّة . . وجارية . . وضعتا معاً في ليلةٍ واحدة ذكراً وأنثى ، وكلتاهما تزعم أنّ الذكر ابنها . . ويَسْتمِعُ عمر إلى كلام المرأتين . . ويعيد فيه النظر مَرَّةً بعْدَ أُخرى . . . فلم ينفتح له بابٌ للقضاء بينهما . . .

فيجمع أصحابَ الرسول ، وَيُسْمِعُهُمْ مقالةَ المرأتين . . ثم يسألهم : ماذا ترون . . ؟؟؟ . فيقولون له : لا علم لنا . . أنت أفقهنا . . .

ويتذمر الفاروق ممّا سمع . . ثم يتنهد ويقول : أنا أعرف مَنْ يَسْتَطيعُ جَعْل لَيْلِ هذه المعضلة نهاراً . . .

فيقولون : تُريدُ عليَّ بن أبي طالب . . ؟؟ .

فيقول : نعم . وهل أَحَدٌ مثلُ علي . . . هَيَّا نَصِرْ إليه . . .

وَيَذْهَبُونَ إلى عليٍّ ، وكلُّهم يُسِرُّ في نَفْسِهِ ، كيف يَسْتَطيعُ عليٌّ حَلَّ هذه المشكلة التي لا يُهْتَدَى لوجهها . . . ؟؟؟

وَيَجدونَ عليّاً يَشْتَغِلُ في بُسْتانٍ له . . وما تَلَبَّثوا إلاَّ قليلاً حتى حَدَّثوهُ عَنْ نزاع المرأتين . . .

فَيتبسم ويقول : ما أَسْهَلَ القضاءَ بينهما . . !! .

وَتُذْهِل كلماتُه الصَّحابةَ . . . القضاءُ بينهما سَهْلٌ ولكن ، كيف ؟؟ . .

وَيُصغون إليه وهو يقضي بينهما قضاءً استنبطه من كتاب الله . . فأثبت في استنباطه حقيقةً علميَّةً . . جعلها العلم فيما بعد ، في مطلع مُسَلَّماته . . إليكم الخبر كما رواه المتقي الهندي ـ الحنفي المذهب في كتابه (كَنْزُ العمال في سُنَن الأقوال والأفعال) ـ الجزء الثالث ـ صفحة ـ ١٧٩ ـ طبع عام (١٣١٢) هـ ، في حيدر آباد ـ دكن .

قال : « عن ابن عباس ، قال : « وَرَدَتْ على عمر بن الخطاب

واردةٌ قام منها وَقَعَدَ ، وَتَغَيَّر ، وَتَرَبَّدَ ، وجمع لها أصحـاب النبي (ص) ، فعرضها عليهم ، وقال : أشيروا عليَّ .

فقالوا جميعاً : يا أمير المؤمنين . أنتَ المفزع وأنت المنزع .

فغضب عمـر وقال : اتّقـوا الله ، وقولـوا قـولاً سـديـداً يُصْلِحْ لكم أعمالكم .

فقالوا : يا أمير المؤمنين . ما عندنا ممّا تسأل عنه شيء .

فقـال : والله إنّي لأعـرف أبـا نَجْدَتهـا ، وابن نجـدتهـا ، وابن مفزعها ، وابن منزعها . .

فقالوا : كأنّك تعني ابن أبي طالب .

فقال عمر : لله هو ، وهل طفحت حُرَّةٌ بمثله وأَبْرَعَتْهُ . . ؟؟ .

انهضـوا بنـا إليـه . فقـالـوا : يـا أميـر المؤمنين . أتصيـرُ إليـه ؟؟ يأتيك . . .

فقــال : هيهـات ، هنــاك شجنَـةٌ من بني هــاشم ، وَشُجنَـةٌ من الرسول ، وأَثَرَةٌ من علم ، يُؤْتى لها ولا يأتي ، في بيته يُؤْتى الحَكَمُ » .

فعطفوا نحوه ، فألفوه في حائطٍ له وهو يقـرأ : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدىً** ﴾ وَيُرَدِّدُها ويبكي ، فقال عمر لشُرَيْح : حَدِّثْ أبا الحسن بالذي حـدثتنا بـه . فقال شُـريح : كنتُ في مجلس الحكم ، فـأتى هذا الرَّجُلُ ، فـذكر أنّ رجـلاً أودعه امـرأتين : حرة مَهيـرَةٍ ، وأمِ ولد ، فقـال لـه : أنفق عليهما حتى أقـدم ، فلما كـان في هذه الليلة وَضَعَتـا جميعـاً إحداهما ابْناً ، والأخرى بنتـاً ، وكلتاهمـا تَدَّعي الابن ، وتنفي البنت من أجل الميراث .

فقال له : بمَ قَضيتَ بينهما ؟؟ .

فقال شريح : لو كان عندي ما أقضي به ، لم آتكم بهما .

فأخَذَ علي (ع) نبتةً من الأرض ، فرفعهـا ، فقال : إنّ القضـاءَ في

هـذا أَيْسَرَ من هـذه ؛ ثم دعا بقَـدَح ، فقال لإحـدى المرأتين : احلبي فَحَلَبَتْ ، فـوزنه . ثم قـال للأخـرى : احلبي ، فحلبتْ ، فـوجَـدَهُ على النصف من لبن الأولى ، فقال لها : خُذي أَنْتِ ابنتكِ ، وقال للأخـرى : خُذي أنتِ ابنَكِ .

ثم قـال لشريـح : أما عَلِمْتَ أنّ لبنَ الجـارية على النصف من لبن الغـلام ، وأنَّ ميـراثَهـا نصفُ ميـراثـه ، وأنَّ عَقْلهـا نصفُ عقله ، وأنَّ شهـادتها نصْفُ شهـادته ، وأنَّ ديتهـا نصْفُ ديته ، وهيَ على النصف من كل شيء ؟؟؟ .

فَأُعجبَ به عمر إعجابـاً شديـداً ، ثم قال : أبـا حَسَن . لا أبقاني الله لشدةٍ لسْتَ لها ، ولا في بلد لسْتَ فيه » أهـ .

والسَّيِّـدَةُ عائشـة أم المؤمنين شهدت الـومضـات الأخيـرة من حيـاة رسول الله صلى الله عليه وآله،ومن طبيعة الإنسان نبيّاً كان أو غير نبي أن يطلب مشاهدة أحبِّ الناس إليه ، حين يستيقن أنّه راحلٌ عن الدنيا وذلك مـا كان من رسـول الله ، فقد قـال حين أَحَسَّ بدنـو رحيله : « ادعـوا لي حبيبي » .

لم يُسَمِّ مَنْ يُريده باسمه ، بل وَصَفَهُ بالحبيب كناية عن شدّة تعلقه به ، وحبّه له . . .

وتدعو أمّ المؤمنين أباها . . .

وينظر الرسول فيرى الصِّدِّيق ، فيقول ثانيةً : « ادعوا لي حبيبي » .

فماذا فعلت السيدة عائشة حينذاك ؟ هذا أخـطب خُوارزم ـ الحنفي المـذهب أصولاً ، الأشعـري فروعـاً يُفَصِّل مـا حَـدَثَ ، ومـاذا قـالت أم المؤمنين في الصفحة ـ ٢٨ و٢٩ ـ من كتابه (المناقب) المذكور .

قال : « وأخبرني الشيـخ الإمام شهـاب الدين أبـو النجيب سَعْدُ بن عبد الله بن حسن الهمداني بسنده . . عن ابن عَلْقمة ، عن الأسود ، عن

عائشة ، قالت : « قال رسول الله ، وهو في بيتي لما حَضَرَهُ الموت » : ادعوا لي حبيبي .

فدعوت أبا بكر ، فنظر إليه رسول الله . ثم وَضَعَ رأسه ، ثُمَّ قال : ادعوا لي حبيبي .

فقلتُ : ويلكم . ادعوا له عليَّ بن أبي طالب فوالله ما يُريدُ غيره .

فَلَمَّا رآه استوى جالساً ، وفرج الثوب الذي كان عليه ، ثم أدخله فيه ، فلم يَزَلْ يَحْتَضِنُهُ حتى قبض ويده عليه ، اهـ (*) .

* * *

وَيهْدي أَحَدُهُمْ للرَّسول طَيراً مَشْوِيّاً . . .

فَيَتَشَهّىٰ أن يكون عنده مَنْ يشاركه في هذا الطعام . . .

وَيَبْرُقُ في ذاكرته عِقْدٌ نظيمٌ من أسماء الأهل والصَّحْب . . .

غير أنه يلجأ إلى الله يدعوه أن يَبْعَثَ إليه أَحبَّ الناس إليه وإلى رسوله يأكل معه . . .

وَيَسْمَعُ أَنَسُ بن مالك دعاء الرسول الحار . . . وابتهاله الخاشع . .

فَيَتمنّى أن يَتَحقَّقَ دُعَاءُ الرسول في رجل من قومه الأنصار ، فيقلده هو وقومه شَرَفَ الدنيا ، وعزَّ الآخرة . . .

وَتَمْضي دَقيقةٌ إثر دَقيقة ، وإذا البابُ يُلْمَسُ لَمْسّاً ناعماً . .

فَيُسْرع أَنَسٌ ليفتح الباب . . والشوق يهزه أن يرى واحداً من قومه الأنصار .

فإذا هو يُفاجأ بعليٍّ بن أبي طالب فيرده بجفاء . . ويعود ثانيةً فيرده . .

(*) وراجع شيخ الشافعية المحب الطبري : ذخائر العقبي المذكور ، ص ٧٢ .

وفي الثالثة يَنْشِبُ بينهما حوار خافت . . . يتبيَّنُ منه الرسول صوت علي . . .

فيقول : يا أنس . أَدْخِلْ علياً . . . وَيَدْخُلُ عليٌّ ، وَيُخْبِرُ الرسول بردِّ أنسٍ إيّاه . .

وَيَسْأَلُ الرسول أنساً خادمه الأمين عن السبب . . .

وأراني واثقاً أنّه يَطْرُفُ عندك أن تَسْمَعَ قصَّةَ الحديث . . . . وجوابَ أنس . . .

ولا أرى أَفْضَلَ من ابن المغازلي الفقيه الشافعي يأتينا بالحديث في سياقٍ جَيّد أخرجه من ثلاثة وعشرين طريقاً بأسانيدها الصحاح في كتابه « المناقب » من الحديث : (١٨٩ إلى ٢١٢) تحت عنوان ـ حديث الطائر وطرقه ـ وإليك أحدها .

قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفَّر بن أحمد العطَّار الفقيه الشافعي بسنده . . . عن حُمَيْد الطويل عن أنس بن مالك قال : أُهْديَ إلى النبيِّ ـ ص ـ نُحامَة مَشْويَّة ، فقال : اللّهُمَّ ابْعَثْ أَحَبَّ خلقك إليكَ وإلى نَبيِّك يَأْكُلُ معي من هذه المائدة .

قال : فأتى عليٌّ ، فقال : يا أَنَسُ !! اسْتَأْذِنْ لي على رسول الله .

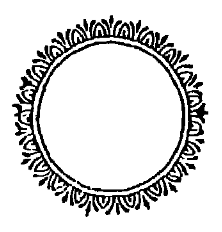
قال : فقلتُ : النبيُّ عنك مَشْغولٌ ، فرجع عليٌّ ، ولم يَلْبَثْ إلا قليلاً أن رجع فقال : يا أنس استأذنْ لي على النبي ، فقلت : النبيُّ عنك مشغول . فَرَجَعَ ، فلم يَلْبَثْ إلا قليلاً أَنْ رَجَعَ فقال : يا أنسُ . اسْتَأْذِنْ لي على رسول الله . فَهَمَمْتُ أن أقولَ مثل قولي الأول والثاني ، فَسَمعَ النبيُّ من داخل الحجرة كلامَ عليٍّ ، فقال : أَدْخِلْ أبا الحسَن ، ما أَبْطَأَ بكَ عني ؟؟؟ .

قال : جئتُ يا رسُول الله هذه الثالثة ، كل ذلك يردني أَنَسُ يقول : النبيُ عنك مشغول . .

فقال : يا أَنَسُ !! ما حملك على هذا ؟؟ .

فقلت : يا رسول الله !! سَمِعْتُ الدعوة ، فأحْبَبْتُ أن يكون رَجُلاً من قومي .

فقال النبيُ ـ ص ـ : يا أنَسُ . « كُلٌّ يُحِبُّ قومه » اهـ (*) .



(*) وراجع : الفيروز ابادي : فضائل الخمسة ـ الجزء الثاني ـ ص ـ (٢١٠ ـ ٢١٦) فقد أورد الحديث بأسانيده من أحد عشر طريقاً طبعة رابعة (١٩٨٢) .

الفصل السادس

أهْلُ البيت لا يقاسُ بهم أحد . . .

هذه صورٌ وضيئةٌ عن أهل البيت عليهم السّلام التقطناها من حياة كرام الصحابة ، وَثَمَّةَ صورٌ أخرى كثيرةٌ في حياتهم وحياة الآخرين من أماجد الصحابة ، لا تقل عنها ـ إن لم تزد عليها ـ وضاءةً وإشراقاً . . . ولقد كان الصحابةُ والتّابعون من النابهين ، من أرباب الفكر ، ومن جاء بعدهم من : العلماء ، والفقهاء ، والفلاسفة ، والشعراء ، في العصرين : الأمويّ ، والعبَّاسي يضعون أهل البيت في المكانة الشامخة التي أنزلهم فيها الله ورسوله ، وإذا اهْتَزَّتْ نَأْمَةٌ في بال أحدٍ من الناس أن هناك صحابيّاً ترتفعُ دَرَجَتُه إلى سَويَّةِ أهل البيت علماً . . . وَشَرَفاً . . . وَخُلُقاً . . . وَعَظَمَةً . . انبرى له مَنْ يُفقِّهُهُ ، ويكشِفُ له عن خطئه الجسيم . . .

* * *

يُحَدِّثُنا محمد بن زيد بن جدعان ، عن عمه ، أنَّ عبد الله بن عمر بن الخطَّاب تَكَلَّمَ في مجلسٍ يوماً فقال :

إذا أَرَدْنا أن نذكُر أصْحابَ الفضائل ، قُلْنا : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان . . .

وعندما يَسْمَعُ أَحَدُ الحاضرين قَولَ ابْنِ عُمر تَتَسَرَّبُ نوازعُ الشَّكِّ إلى نفسه في مكانة عليّ بن أبي طالب .

قال لنفسه : هذا ابن عمر ، لم يـذكر عليّـاً بين أصحاب الفضـائل السابقين ، فكيف هذا . ؟؟؟

ولكنه لم يُردْ أن يُبْقِيَ نَفْسَهُ مَرْتَعاً لحراب الشَّكِّ الجارحة . . .

إنه يُريدُ أن يَجْعَلَ من شكِّه يَقيناً . . . أو يَنْفيه . . .

ويتوجَّهُ إلى ابن عمر ليسأله . . . ولكنه يَهابُه . . . فيصمت . . .

وَيَعْتَبُ الرَّجُلُ على نَفْسه وَيَقُولُ : لِمَ الخَوْفُ . . ؟؟؟

ويضطربُ قليلاً . . . .

ثُمَّ لم يتماسَكْ أن قال لابن عمر : وَعَليٌّ ما شَأْنُهُ . . ؟؟

وينظر إليه ٱبْنُ عمر ويقول له : « عليٌّ من أهل البيت » . . .

إنه في دَرَجَةِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله . . .

ثُم يُقَدِّمُ له شاهداً من كتاب الله على قوله . . .

وَتَقِرُّ بلابلُ الرجل . . .

عليٌّ في درجة رسول الله . . .

صَدَقَ ٱبْنُ عمر ، صَدَقَ ٱبْنُ عمر . .

إليكم حـديثَ ابن عمر أنقله بكلمـاته نفْسِهـا عن الحـافظ الحـاكم الحسكاني ، الحنفي المذهب ، قال : حَدَّثنا أبو النصر محمد بن مسعود بسنده . . عن الوليـد بن محمد بن زيـد بن جدعـان ، عن عَمِّه . قـال : قال ٱبْنُ عُمَر : إنا إذا عَدَّدْنا قلنا : « أبو بكر ، وعمر ، وعثمان » .

فقال رَجُلٌ : يا أبا عبد الرحمن !!! فَعَليٌّ . . ؟؟

قال ابن عمر : « وَيْحَكَ ، عليٌّ من أهل البيت الذين لا يُقاسُ بهم أحـد ، عليٌّ مع رسـول الله في درجته ، إنَّ الله يَقـول : ﴿ **والذين آمنـوا واتبعتهم ذُرِّيتهم** ﴾ ، « ففـاطمـةُ مـع رسـول الله في درجتـه ، وعليٌّ معهما » اهـ [٩١] .

---

(٩١) راجع : أ ـ الحافظ الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٩٧ و ١٩٨ =

وهذا الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المعروف ، يسأله ابْنُه عبد الله عن أفاضل الصحابة فيقول : « أبو بكر ، وعمر ، وعثمان » .

فيتصاعد بخارُ الرَّيْب في عليٍّ بن أبي طالب إلى ذهن عبد الله . . .

أبوه ، وهو إمامُ جَماعَةٍ من المسلمين ، لم يذكر عليّاً مع الخلفاء الراشدين الثلاثة . . .

إذن ، فهو يُقَصِّرُ عنهم مَنْزِلةً . . .

ولكن ، كيف ، أَلَيْسَ ابْنَ عَمِّ رسول الله ؟؟ أليسَ زوج الزهراء سيدة نساء أهل الجنة . . ؟؟ (*) .

أَلَيْسَ فَتَى الإسْلام الذي هَدَمَ بأسُه بنيان وثنيّةِ الشرك . . . والطبقيَّة الجاهليَّة . . .

مَنْ ذَبحَ كبرياء الطاغوت في : بَدْر . . وَأُحد . . والخندق . . وَخَيْبَر . . غَيْرُ سَيْف عليّ . . . ؟؟؟

وَيُقْبلُ الولد على أبيه يسأله عن عليّ بن أبي طالب . . .

ويجيبه الأب . . .

وأحْسَبُ أنه يَسُرُّكَ أَنْ تَسْمَعَ جَوابَ الأب لابنه . . .

إذاً فَتَعَالَ معي إلى أحمد بن محمد الكرزي البغدادي نستمع إليه يقص علينا ما جرى . .

= تحت الرقم ٩٠٤ طبع مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

ب ـ المحب الطبري : الرياض النضرة ـ الجزء الثاني ، صفحة ـ ٢٠٨ .

(*) أخرج البخاري في صحيحه ـ الجزء الخامس (ص ٢٥) (باب مناقب قرابة رسول الله) أن النبي (ص) قال : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » . اهـ . وأخرج مسلم في صحيحه ـ الجزء ٧ (ص ١٤٤) (باب فضائل فاطمة) أن الرسول قال لفاطمة : « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المسلمين أو سيدة نساء هذه الأمة » اهـ .

قال : سَمِعْتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : سَأَلْتُ أبي عن التفضيل ، فقال : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ثم سكت فقلت : يا أبَتِ !! أين عليّ بن أبي طالب ؟؟؟ . . . .

قال : « هو من أهل البيت لا يُقاسُ به هؤلاء » اهـ [٩٢] .

* * *

ومعاوية بن أبي سفيان

ومعاوية يشهد لعليّ بن أبي طالب بأنه أعلم الصحابة . . .

وأنّه من رسول الله ـ ص ـ بمنزلة هرون من موسى . . .

وأن عمر بن الخطاب ، وهو عَلَمٌ بارز في دنيا الإسلام ، كان يلجأ إليه في كل مناسبة يَسْتَفْتِيْه ، ويعمل بفتواه .

كان سبب هذه الشهادة أن رجلاً جاءه يطرح عليه مسألةً . . .

وَيُحَرِّكُ معاويةُ ذهنه فيما سُئل عنه ، فلا يجد عنده جواباً . . .

فيقول للرجل : امْضِ إلى عليّ بن أبي طالب فَسَلْهُ فهو أعلم مني . . .

ولكن الرجل يَتَمَلَّقُ معاوية ، ويقول له : أنا لا أحبُّ أن اسْمَعَ من عليٍّ جواباً . . .

فينتهره معاوية ، ويكشف له عن شيءٍ من دُرَرِ مناقب عليّ . . .

وإنه ليقطر حلاوة أن نسمع الحادثة يرويها لنا ابن حَجَر عن الإمام أحمد بن حنبل . .

قال : « وأخرج أحمد أن رجُلاً سأل معاويةَ عن مسألة ، فقال : اسْأَلْ عنها عليّاً فهو أعلم . . .

---

(٩٢) راجع : الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ، صفحة ٧٨ ـ تحت عنوان (المودة السابعة) .

فقـال : يا أميـر المؤمنين !!! جـوابُـك فيهـا أحبُّ إليَّ من جـواب عليّ .

قال : بئْسَ ما قُلْتَ ، لقد كَرِهْتَ رَجُـلاً كان رسـول الله يغزه العلم غزّاً . .

ولقد قال لـه : « أَنْتَ منيّ بمنزلـة هرون من مـوسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي » .

« وكان عُمرُ إذا أَشْكَلَ عليه شيءٌ أخَذَ عَنْهُ » أهـ (*) .

فـأسقط في يد الـرجـل . . وانـطوى على نفسـه . . . وعينـاه على معاوية . . . أما قلبه فقد اخْضَرَّ بحُبِّ عليّ بن أبي طالب . .

* * *

ويرى عبد الله بن أبي محجن الثَّقفي أن ينال حُظوةً عنـد معاويـة ، ولكن . كيف ؟؟ .

فَكَّرَ . . . وَقَدَّرَ . . . فلم يَرَ وسيلة ترفَـعُ من شأنـه عند معـاوية إلاّ النَّيْلَ من عليّ بن أبي طالب . . .

فَيَقْدِمُ على معاوية ، وما أن يَسْتَقِرّ به المقام حتى يقول له :

أتيتُـكَ مـن عنـــد . . . . عـليّ بن أبـي طــالب (ونـــال مـن عليّ) . . .

فماذا قال له معاوية ؟؟

وكيف انتهى أمر الرجل ؟؟

(*) راجع : آ ـ ابن حجر الصواعق المحرقة ـ صفحة (١٧٩) تحت عنوان (المقصد الخامس) .
ب ـ المحب الطبري : ذخائر العُقبى ـ صفحة (٧٩) تحت عنوان (ذكـر أن جمعاً من الصحابة لما سئلوا أحالوا على عليّ) .
ج ـ المحب الطبري : الريـاض النضـرة ـ الجـز الثـاني ـ صفحـة (١٩٥) وراجـع المناوي : فيض القدير (ج ٣ ص ٤٦) (الشرح) .

هـذا المؤرخ المعروف ابن قُتَيْبَـةَ يَقُصُّ علينا مـا جرى بين معـاوية والثَّقَفي في كتابه : تاريخ الخلفاء . .

قـال ابْنُ قتيبة : « وذكـروا أن عبـد الله بن أبي محجن الثقفي قـدم على معـاوية » ، فقـال : يا أميـر المؤمنين !! إني أتيتـك من عنـد الغبيٍّ ـ الجبان ـ البخيل ـ عليّ بن أبي طالب . .

فقال له معاوية : لله أنت . أتدري ما قلت ؟؟؟ .

أما قَوْلُكَ : الغبيُّ ، فوالله لو أن أَلْسُنَ الناس جمُعت فجعلتْ لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ .

وأمّا قولك : إنّه جبان ، فثكلتك أمـك ، هل رأيت أحـداً قط بارزه إلاّ قتله . .

وأما قولك : « إنّه بخيل ، فوالله لو كان له بيتان أحدهما من تِبْـرٍ ، والآخر من تبن لأنفد تبره قبل تبنه »اهـ .

ويجـول وميض الـدهشـة في عيني الثقفي ، وتنبثـق في قـلبـه خاطرة . . .

شرعت تتذبذبُ بين إقدام وإحجام . . .

إقدام إلى الخروج من غلاف القلب إلى عالم الأحياء . . .

وإحجام لتبقى حيث هي تتردد شُواظاً من نار . . .

ويأخذ نَفَساً عسيراً بعـد نفس . . فما شعـر إلا وقد قـذف بها قَلْبُـهُ إلى لسانه ؛ . فـإذا هو يقـول لمعاويـة : أما وأنت تشهـد له بهـذا السمو الأخلاقي والنفسي ، فكيف . . كيف تحاربُه ؟؟ علام تحاربه ؟؟ .

وينقطع نَفَسُ معاوية . . .

لقد بَهَرَتْهُ المفاجأة . . .

لم يكن يتـوهم أن هذا البـدويَّ يحمـل عقـلاً يحـاكم الأمـور على وجهها الصحيح . . .

ولكنـه لا يلبث إلا قليـلاً حتى يتجـاوز دهشتـه ويقـول للرجـل : « أحـاربه على دم عثمـان ، وعلى هـذا الخـاتم الـذي مَنْ جَعَلَهُ في يـده جازت طينته وأطعم عياله » اهـ .

الآن تجلَّى للثقفيِّ كل شيء . . . كل شيء . . .

مُعَاويةُ يتخذ مِنْ دَم عُثمان سُلَّماً للارتقاء إلى سُدَّة الحكم . . .

إنّه يُحاربُ عليّـاً من أجل سلطان يَجْعَلُهُ مَلِكـاً قَيْصَريّـاً على رقاب الناس . . .

ويُهيّىءُ له أن يتمتَّع بأطايب الدنيا كما يشاء . . .

أما عليٌّ فإنّه يُحَاربُ لترسيخ قواعد الإسلام المجيد . . .

وَلِيَجْعَلَ الوحْيَ الإلهيَّ العـادلَ يَتَوَقَّـدُ نَجْماً دُرِّيّـاً في كل بُقْعَـةٍ من بقاع الأرض . .

وفي كل منزلٍ من منازل الناس . . .

إنّ عليّاً يعمل بحق لله . . . ولإسعاد الإنسانية كلها . . .

وهذا خَصْمُهُ مُعاويةُ يَشْهَدُ له بـالتفوق العلمي . . . والأخـلاقي . . والعدل الاجتماعي . . .

وينتـظر الثقفيُّ غَفْلَةً مِنْ عَيْن مُعاوِيَـةَ ، فَيَنْسَلُّ مِنْ مَجْلِسِـهِ وَيَلْتَحِقُ بِعَليٍّ بِنْ أبي طالب (*) .

* * *

(*) راجع : ابن قتيبة : تـاريـخ الخلفـاء ـ الجـزء الأول (ص ١١٤ و ١١٥ ط ٣) (١٩٨١) الـوفـاء ـ بيروت . ونقل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر عن صاحب الأغاني قـوله : « قـال الهيثم : ثم إن ابن الزبير مضى إلى صَفيَّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمـر ، فذكـر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله والمهاجـرين والأنصار ، من أَثَـرَة معاويـة وابنه وأهله بالفيء . وسألها مسألتـه أن يبايعـه . فلما قَـدَّمَتْ عشاءه ذكـرتْ له أمـر ابن الزبيـر واجتهاده وأَثْنَتْ عليه ، وقالت : ما يدعو إلا إلى طاعة الله ، وأكثرت القول في ذلك . فقال لها : أمـا رأيت بغـلات معـاويـة اللواتي كـان يحـج عليهنّ الشهب ، فإن ابن الـزبيـر مـا يُـريـد =

وَيَعْرِضُ لمعاوية أمر لم يَهْتدِ إلى مخرجٍ منه . . .

أَحَدُ المسلمين وَجَدَ رَجُلاً يجالس امرأته . . فحملته الغيرة على قتله . .

وَيَرْفَعُ أولياء القتيل الأمر إلى معاوية . . .

لقد قُتِلَ صاحبهم على الظن ، « وإنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً » . .

ويؤجل معاوية إعطاء الحكم إلى حين من الزمن . . .

وحين يخلو إلى نفسه يُدَقِقُ في الأمر . . .

الزوج قتل الرجل لأنّه وجده مع امرأته . . . فماذا عليه . . . ؟؟

ويُراجع نفسه فيقول : ولكنه لم يَرَهُ يمارس معها إثماً . .

ووجود رجل مع امرأة ، إن أثار شبهةً فلا يبيح قتلاً . . .

ولكن . . .

ويحار معاوية ماذا يفعل ، أيبرىءُ الرجل القاتل . . ؟؟ أم ماذا . . ؟؟

ويستشير بطانته . . فلا يرى عندهم شيئاً . . . فيتوجع . . .

هو يُريد أن يعطي حكماً يُظهر للملأ من خلاله أن عنده معرفة بالتشريع الإسلامي . . .

وهوذا يقف عاجزاً . . . يالله !! أخليفة ويجهل أن يفتي بأمر حكماً شرعياً . . ؟؟

وَتُحدثهُ نفسه حديثاً فيوافقها . . . ويكتب إلى أبي موسى

= غيرهن » اهـ . ويعلق شيخ الأزهر على كلمات عبد الله بن عمر فيقول : « بَغْلاتُ معاوية الشهب المحلاَّة بالسروج المذهَّبة ، إنها مطمعُ المتطلعين إلى الإمامة ، وهي أصل النزاع ، وأساسُ الداء ، إنها الدنيا كما قلنا سابقاً ، وإنها الأهواء » . (راجع ،د . عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام (ج/١ ص ١٠٦ ط ٣) (سنة ١٣٨٧ هـ) .

الأشعري . . . فوجـده خالي الـوفاض . . فيـرجوه أن يكتب إلى عليّ بن أبي طـالب على أن لا يذكـر اسمه . . . ويكتب أبـو موسى إلى عليّ . . إلَيْكَ ما جرى بين عليّ وأبي موسى . . وفتوى عليّ في أمر القاتل نـأخُذُهُ من موطّأ الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المعروف .

قال : « عن سعيد بن المسَيَّب أن رجلاً من أهل الشام يقال لـه ابن خيبـري ، وجد مـع امرأتـه رجلاً فقتله ، أو قتلهمـا معاً ، فـأَشْكَـلَ على معـاويـة بن أبي سفيـان القضـاءُ فيـه ، فكتب إلى أبي مـوسى يســأل لـه عليّ بن أبي طـالب عن ذلك ، فسـأل أبو مـوسى عن ذلـك عليّ بن أبي طـالب ، فقال لـه عليّ : إنّ هذا شيءُ مـا هو بـأرضي ، عَـزَمْتُ عليـك لتخبرني ، فقال له أبو مـوسى : كتب إليّ معاويـة أن أسألـك عن ذلك . فقــال عليّ : أنـا أبــو حَسَن ، إن لم يـأتِ بــأربعــة شهــداء ، فَلْيُعْطَ برمَّته » اهـ (*) .

* * *

وهذه شهادةٌ أُخْرَى لمعاوية في الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) ينقل إلينـا كلمـاتهـا الأستـاذ عبـد الحليم الجنـدي في كتـابـه : الإمـام جعفـر الصادق . . .

وقد أَوْجَبَ هذه الشَّهادة أَمْرٌ جَرَى في مناسَبَةٍ طارئة . . .

رأينا معاوية يقول للثّقفي : إنّـه يُحاربُ الإمام عليّاً للحصول على الملك الذي يجعله حاكماً لِيُلَوِّنَ حياتَه بالرفاه الحريري . . . . . .

ويحضر مَرَّةً مائدةَ مُعاوية رَجُلٌ شجاعٌ ، حليم ، حكيم . . .

كان ذلك الرجل الأحنف بن قيس سَيِّد قبيلة بني تميم . . .

(*) راجع الإمـام مـالـك : المـوطـأ (ص ٥٢٣) الحـديث (١٤١٤) (كتـاب الأقضيـة) (ط/٢) (سنة ١٣٩٧ هـ) . قال سعد بن عبادة للرسول : أرأيتَ إن وَجَدْتُ مع امرأتي رجُلاً ، أأمهله حتى آتي بأربعة شهداء ؟؟ فقال الرسول : نعم . (المصدر السابق الصفحة نفسها) .

والأحنف هذا هو الذي دعا له رسول الله (ص) فقال : « اللهم اغفر للأحنف » اهـ .

أما عمر فقد وَلَّاهُ قيادة الجيش في المشرق ففتح خراسان .

وقد كان الأحنف مع الإمام عليّ (ع) في حربه مع معاوية . . .

الأحنف، هذا القِمَّةُ الإسلاميَّة الشامخة ، يدخل يوماً على معاوية . . .

فَيَهِشُّ معاوية لسَيِّد بني تميم ، وَيُقْعِدُهُ في صَدْر مجلسه . . .

ثم يدعوه إلى الطعام . . .

وينظر الأحنف إلى المائدة وهي تزدهي بين لمحة ولمحة بنوع جديد من المآكل الْغَضَّة . . . .

إنّه طعامٌ لم يَعْرِفُهُ ، ولم يَرَهُ من قبل . .

وَيَعْجَبُ فاتح خراسان من هذا الطعام الذي يراه ماثلاً أمامه . . .

يَعْجَبُ كيف يعيشُ معاوية في جنات هذه المآكل الشهيّة . . .

وجماهير الشعب تتجافى جنوبُها عن المضاجع من الفاقة والحرمان . . .

ثم يُقَدّمُ إليه طَعامٌ آخر ، حارَ في أمره . . . وَحِيرَتُهُ جَعَلَتْهُ يَسْأَلُ نفسَهُ : ما هذا الطعام ؟؟ .

ثم ما بَطُؤ حتى قال لمعاوية ، والدهشَةُ تَتَرَقْرَقُ في نبرات صوته : ما هذا ؟؟؟

وَيُسَمِّي له معاويةُ الطعام ، فإذا القائدُ البطلُ يبكي . . . حتى يُسْمَعَ صوتُ بكائه . . .

عجباً . ما الذي أبكى سَيِّدَ أهل العراق ، وصاحبَ الحزم والرأي كما سماه مُصْعَبُ بن الزبير . . ؟؟

ما الذي جعله لاهفَ القلب ، دامع العين ؟؟

لقد أشرقت في ذهنه صورة الإمام عليّ . . . وبسرعة الضوء يُقَارِنُ عَقْلُهُ الإسلاميُّ ـ الإنسانيُّ ، بين عيش الإمام . . . . وعيش معاوية . . .

فتثير تلك المقارنة الوامضة في نفسه زَوْبَعَـةً من الألم الحار جعلت الدموع تنهمر غزيـرة من عينيه . إليك الأستاذ الجندي يَهُزُّ أعصابنا بمـا حَـدَثَ بين الرجلين : الأحنف ومعـاوية . . . هَلُمَّ نَعِشْ معه بضع ثـوانٍ وهـو ينقل إلينـا مـا حـدث بلسـان الأحنف نفسـه ، قـال : « دَخَلْتُ على معاوية ، فَقَـدَّم إليَّ الحارّ والبـارد ، والحُلْوَ والحامض ، ممـا كثر تعجُّبي منه ، ثم قَدَّمَ لوناً لم أعرف ما هو ، فقلت : ما هذا ؟؟

قـال : هـذا مصـارينُ البط محشـوَّة بـالمـخ . . . قـد قُليَ بِـدُهْنِ الفُسْتُق ، وذرَّ عليـه بالـطبرزد ، فَبَكَيْتُ ، فقـال : مـا يُبْكِيـكَ ؟؟ قلت : ذكـرت عليّـاً . . بينـا أنـا عنـده ، وَحَضَـرَ وَقْتُ الـطعـامَ وإفـطارُه (كـان صائماً) ، وسـألني المقام ، فجيء لـه بجرابٍ مختـوم ، فقلتُ : ما في الجراب ؟؟

قال : سَوِيْقُ شعير . قُلْتُ : خِفْتَ عليه أن يُؤْخَـذَ أَوْ بَخلْتَ بِهِ ؟؟

قال : ولا أحدهمـا . ولكني خِفْتُ أَنْ يَلُتَّهُ الحسَنُ والحسَينُ بِسَمْن أو زيْت .

فقلتُ : مُحَرَّمٌ هو يا أمير المؤمنين ؟؟ قال : لا . ولكن يَجِب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضَعَفَـةِ الناس لئـلا يُطغيَ الفقيـر فَقْرُهُ. فقال معاوية : « ذكرتَ من لا يُنكر فَضْلُهُ » اهـ (*) .

* * *

وهذا أبو بكر بن عياش المقرىء، من أعلام القرن الثالث الهجري ينهض في قلبه هاجسٌ هو : لو جاءه الصحابة الثلاثـة أبو بكـر ، وعمر ، وعليّ ، وسـأله كُـلٌ منهم أن يقضيَ له حـاجَـةً ، فـأيُّهم يُقَـدِّمُ ، وَيَقْضي حاجَتَهُ أولاً ؟؟ .

(*) راجع : عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق (ص ٢٥٣ و ٢٥٤) (مصدر سابق) .

ويتدبَّرُ الهاجس . . . وينظر في الأمرِ ملياً . . . ثم إذا هـو يهتف : « لو أتاني أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، لبدأتُ بحاجة عليٍّ قبلهما ، لقرابته من رســول الله ، ولئن أَخِــرُّ من السمــاء إلى الأرض أَحَبُّ إليَّ مـن أن أقدمهما عليه » اهـ (٩٣) .

* * *

ويُسْأَلُ الصوفيُّ المعروف الشيخ محيي الـدين بن عربي الـظاهري المذهب :

هل يُماثل أهل البيت أحد ؟؟

وما شأنُ مَنْ يُبَغِضهُمْ ؟؟ .

وكيف يكونُ حالُ مَنْ يُحِبهُمْ ؟؟ .

فيجيب قائلاً :

فــلا تَعْـدِلْ بــأهْــل البيت خَلْقــاً   فــأهْـلُ البيت هم أهــل السِّيــادَه
فَـبُغْـضُهُـمُ مِنَ الإنســان خُـسْـرٌ   حَـقيـقيٌّ ، وَحُـبُّهُـمُ عـبــادَهْ (٩٤)

---

(٩٣) راجع : أ ـ القاضي عيّاض المالكي المذهب : الشفا بتعريف المصطفى ـ الجزء الثاني ، صفحة (١١٣ و١١٤) تحت عنوان (الفصل الخامس) .

ب ـ ابن حجـر : الصـواعق المحـرقـة ، صفحـة ١٨٠ تحت عنـوان « المقصـد الخامس » .

ج ـ الشيـخ حسن بن مؤمن الشبلنجي الـشـافعي المـذهـب : نــور الأبصــار ، صفحة ١٢٩ ـ تحت عنوان (ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب) .

(٩٤) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٨ ـ آخر الباب (الخامس والستون) .

ب ـ نـور الأبصار ، صفحـة ١٢٨ ـ تحت عنوان : (البـاب الثـاني في ذكـر مناقب الحسن والحسين . . .) وفي نـور الأبصـار المـذكـور صفحة ١٢٨و ١٢٩ ـ يقول الشيخ الشَّبَلنجي : (وقال الشيخ) محيي الـدين بن العربي رحمـه الله تعالى : « الذي أقول به إنّ ذنوبَ أهل البيت ، إنّما هي ذنوبٌ في الصورة ، لا في الحقيقـة ، لأنّ الله تعالى غفـر لهم ذنـوبهم بسـابق العنـايـة ، لقـولـه تعـالى : ﴿ إنّمـا يـريـد الله ليُذْهبَ عنكم الـرجسَ أهـل البيت ويـطهـركم تطهيرا ﴾ ولا رجسَ أرجسُ من الذنوب » ـ الحديث . . .

ويبدو أن الحسن بن جُبير المالكي المذهب يُسْأَلُ هو الآخر عن أهل البيت المحمدي (ص) .

وعن مكانتهم في الإسلام . .

وهل صحيح أن الله فرض محبتهم على كل مسلم ومسلمة ؟؟ .

وهل يُقَدِّمُ حُبُّهم نفعاً لصاحبه في العالم الآخر ؟؟ .

فبماذا أجاب ؟؟

أَمْعِنِ النَّظر في قوله :

أُحِبُّ النبيَّ المصطفى وابن عَمِّه عَليّاً ، وسبطيه . وفاطمة الزهرا
هُمُ أَهْلُ بيتٍ ، أُذْهِبَ الرجسُ عَنْهُمُ وَأَطْلَعَهُمْ أُفْقُ الهُدى أَنْجُماً زُهْرا
موالاتُهُمْ فَرْضٌ عَلَى كلِ مُسْلِمٍ وَحُبُّهُمُ أَسْنى الذَّخِيرَةِ للأُخْرَى »[٩٥]

وللإمام الشافعي معتقد في أهل البيت استقاه من قول الله ورسوله فيهم ، فهو يعتقد أنَّ حُبّهم . . . وسلوك نهجهم العدل . . . هما حَبْلُ الله المتين الذي ينير الطريق للمتمسك بهما إلى رضوان الله عَزَّ وَجَلَّ .

وهو يرجو أن يُظْفِرُهُ حُبُّهم بجناتٍ تجري من تحتها الأنهار .

أَشْبِعْ قَلْبكَ من قوله :

آلُ النبيِّ ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعْطَى غداً بيدي اليمين صحيفتي[٩٦]

والإمام ابن الجوزي الحنبلي المذهب يرفع علم الاخلاص والولاء لأهل البيت (ع) .

---

(٩٥) راجع : المصدرَ السَّابق صفحة ١٢٧ .

(٩٦) راجع : أ - الصواعق المحرقة - صفحة ١٨٠ - (المقصد الخامس) .
ب - ينابيع المودة - الجزء الثاني صفحة ١٣٢ - تحت عنوان : (الآية الثالثة عشرة) .
ج - نور الأبصار ، صفحة ١٢٨ .

وهـو يُريـدُ أن يُفصح عن ولائـه لهم . . فلا يجـد أنبـه من الشعـر ترجماناً يعبر عن عاطفته الدينية حنيناً روحيّاً رقيقاً . . .

إنّ أهل البيت في لُبِّ اعتقاده هم معدن العلم والفضائل في الدنيـا والآخرة كما أثبتت كُتُبُ الصحاح . .

والله سبحـانه خَصَّهُمْ بمـراتبَ رفيعةً يَعْجَـزُ الواصفُ عن إعـطائهـا حَقَّها مهما عَلَتْ فصاحتُه . . . وَنَبُهَتْ بلاغَتُهُ . . .

وهو يُقْسِمُ بالله على صدقه في حبه . . .

وثباته على ولائهم المبارك . . .

وإن لامَهُ أُنَاسٌ على ذلك . .

وَأَبْغَضَهُ آخرون جاهليون . . .

تَأَمَّلْ في قوله :

أبـداً تـحـن إلـيـكـم الأرواحُ	ولـكـم غـدوٌّ في الـعـلى ورواحُ
يـا سـادة !! لـولاهم مـا لاح في	أُفُقِ المـكـارم للفـلاح صبـاح
مـا الفضـل إلاّ مـا أُحـلَّ بحبكم	وعـليـكـم مـن نـوره مـصبـاحُ
وحمـاكم حَـرَمُ النّجـاةِ ، وَحُبّكُمْ	للقـاصـدين ، ولـلعُفـاة مبـاحُ
وإليكم كـلُّ الفـضـائـل تنتمي	جـاءَتْ أحـاديثُ بـذاك صحـاحُ
يـكفـيـكـم يـا آل طَـهَ مـفـخـراً	أنَّ الـعُـلى عِـقْـد لـكـم وَوِشـاحُ
الله خَـصّـكُـم بـأشـرف رتبـة	الـعجـزُ عـن إدراكـهـا إفْـصـاحُ
أنـا لا أحـولُ وَحَقكم عن حُبكـم	كَتَمَ العـواذلُ قـولَهُمْ ، أو بـاحـوا
وإذا تَـرَنَّـمَـتِ الأنـامُ بِـحـبِّـكـم	فلسـانُ ذكـري بـالثنـا صَدَّاحُ[٩٧]

* * *

والوعَّاظ كانت عقولهم مكتنزةً بحب أهل البيت . . .

---

(٩٧) راجع : كتاب مولد العروس : الإمام ابن الجوزي صفحة ٢٧ مطبعة دمشق .

وألسنتهم رَطْبَةً بذكرهم . . .

فهم بحكم العمل النبيل الذي وقفوا أنفسهم عليه .

وهو إرشادُ الناس إلى جَنَّات الهُدى . .

وتحذيرهم من نيران الشرور والمفاسد . . .

هم بحكم هذا العمل يحتاجون إلى لزوم الذكر الحكيم ، وأحاديث رسول رب العالمين . .

ليأخذوا من هذين المصدرين الرحمانيين المادة التي تفتح لهم قلوب الناس . . .

وربما تفاوتتْ درجاتُ تأثرهم بولاية أهل البيت النبوي . . .

وذلك عائدٌ إلى فَهْم أحدهم لنصوص الآيات الربانية ، وأحاديث نبي الهدى والرحمة . . .

هذا واحدٌ منهم ، هو أبو الفضل الواعظ الشافعي المذهب ، يتحدث إلينا عن حبه لأهل البيت . . .

فأنت تراه ، وكأنما هو يَتَكَلَّمُ بمنطق كل مؤمن صحيح الإيمان . . .

وهذا الشيخ حسن بن مؤمن الشبلنجي يقف على كلمات أبي الفضل فَيَتَعَشَّقُها . . .

لقد رآها تُعَبِّر عما في نفوس المؤمنين من ولاء لأهل بيت نبيهم محمد بن عبد الله .

رأى ماء الصدق المصفَّى من كل شائبة يتألَّقُ في كلماتها . . .

فإذا هو يثبتُها في كتابه « نور الأبصار » ويقدم لها بالعبارة التالية فيقول :

« وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله » .

حُبُّ آل النبيِّ خالَطَ عظمي وجرى في مفاصلي فاعذروني

أنـا واللهِ مُـغْـرَمٌ بـهَـواهُـمْ عَـلِّلوني بـذكْـرِهِـمْ عـللونـي

أرأيتَ كيف تَجري هَبَّاتُ النسيم في آذار عذبةً ناعمةً . . . ؟؟

هكذا نرى عاطفة هذا الواعظ تجري في أوصال كلماته . . .

وهو يقسم بالله على صدق ولائه : « أنا والله مغرم بهواهم » .

ولذلك يطلب أن يرددوا على مسامعه ذكرهم المرة تلو المرة . . .

لأنّ تـرداد ذكرهم يُـوَلِّدُ في ذاتـه نشـوة روحيّـةً عميقـة ، « عللوني بذكرهم عللوني » .

ولكن ، أتعلم من كَوَّن في نفسه هذه العاطفة المباركة . . ؟؟

إنّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

لقد رآه يقول في جملة ما يقول في أهل بيته : « مَنْ أَحَبَّ أن يحيا حيـاتي ، ويمـوت ميتتي ، ويـدخـل الجنَّـةَ التي وعـدني ربي ، فَلْيَتَـوَلَّ عَليَّ بنَ أبي طالب وَأَهْلَ بَيْته الطاهـرين ، أَئِمَّةَ الهُـدى ومصابيـحَ الدُّجَى من بَعْـدِي ، فـإنـهم لـن يُخـرجـوكـم من بـاب الـهُـدى إلى بـاب الضلاَّلة » اهـ (٩٨) .

---

(٩٨) راجـع : أ ـ أخطب خـوارزم المـوفق بن أحمـد البكـري المكي الحنفي : المنـاقب ، صفحة ٣٤ ـ الفصل السادس .

ب ـ ينابيـع المودة ـ الجـزء الأول صفحة ١٢٦ ـ (البـاب الثـالث والأربعـون) ، وفيـه : « أخـرج أبـو نعيم الحـافظ ، والحمـويني عن عكـرمـة ، عن ابن عباس ، قال : قـال رسول الله صلى الله عليـه (وآله) وسلم : « مَنْ سَـرَّهُ أن يحيـا حياتي ، ويمـوت مماتي ، ويسكن جنّـات عدن التي غَـرَسَ فيهـا قضيباً ربّي ، فَلْيوالِ عليّاً ، وَلْيوالِ وَلِيَّهُ وَلْيَقْتَدِ بالأئمة من ولده من بعده ، فـإنّهم عترتي خُلقـوا من طينتي ، ورزقوا فَهْمـاً وعلماً ، وويـل للمكـذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي » أهـ .

الفصل السابع

أئمة أهل البيت وحكام المسلمين . . .
وَضْعُ الأحاديث . . .

هذه وَمَضَاتٌ عن اعتقاد المفكر الإسلامي في أهل بيت نبيه . . .

كان ينظر إليهم من خلال الآياتِ الكريمة التي أنزلها الله فيهم . . .

ومن النظر في أحاديث رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى . . .

فيرى فيهم السُّمُوَّ الروحيَّ والعقلي . . . الذي لا يشاركهم فيه أحد . .

وآية ذلك قوله (ص) : « نحن أهل البيت لا يُقاس بنا أحد » اهـ . .

ومما جاء عن طهارتهم من الرجس في كتاب الله . . . وفرض محبتهم . . .

ومما خَصَّهُمْ به رسول الله بأمر ربِّه من أحاديث احتضنتها كتبُ الصحاح . . .

تَكَوَّنَ اعتقادٌ راسخٌ في نفوس المؤمنين بالله ورسوله ، أَنَّ أهل البيت الذين سماهم الله ورسوله واحداً واحداً من الإمام عليّ المرتضى . . إلى الإمام الحجة محمد بن الحسن هم السبيلُ الواضحُ إلى الله الرحمن الرحيم . . .

وأنَّ فَهْمَ مـرامي القـرآن . . وأحكـام الإسـلام . . . وشـريعـة الإسلام ، سِمَةٌ من سماتهم التي انفردوا بها .

لقد قال الـرسول الأعـظم للمسلمين جميعاً : « لا تُعلِّموهُمْ فإنّهُمْ أعلم منكم » اهـ (*) .

ولقـد أَدَّبَهُمْ وعلمهم الله ورسولـه ، وأكَّدَ نبيُّ الهـدى والرحمـة في مناسبات شَتَّى أنهم مع القرآن ، وأن القرآن معهم ، وبذلك أَهَّلَهُمْ لقيادة الأمة ؛ . والسير بها في مدارج التطور . . والتقدم . . لتحقيق حضـارة : الـروح . . والجسد . . ، لأنَّ مَنْ يكـون مع القـرآن ، والقرآن معـه ، لا يزيغ عن صراط الله المستقيم . . .

ولكن حَدَثاً فظّاً تقذفه رحم الجاهلية في دار الإسلام . . .

ذلـك الحدث هـو بروز شهـوة الحكم القيصـري في نفـوس بَعْض الناس . . .

فـأخـذ أصحـابُ شهـوة محبي التحكم يعملون خفيـة للظفـر بمـا يبتغون . . .

ولكن ثَمَّة عقبة يَعْسرُ اجتيازها . . .

تلك العقَبَةُ هي : الأئمة من أهـل البيت الذين نصبهم الله ورسـوله في مركز القيادة . . .

والتصدي لتنْحيتهم ليس معناه عصيان الله ورسوله . .

بل هو في جوهره عدوانٌ على الله ورسوله . . .

فما العمل ؟؟

(*) قال الشيخ سليمان القندوزي في الينابيع ـ الجزء الأول ـ أوائل البـاب الثالث (ص ٢٠) : وفي المناقب عن عبد الله بن الحسن المثنى بسنـده عن جده الحسن السبط قـال : خطب جـدي رسـول الله (ص) يومـاً فقال بعـدما حمـد الله وأثنى عليه : معـاشر النـاس إني أدعى فأجيب وإني تارك الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . . إلى قوله : فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم ألخ . وأنظر (ص ٣٣) من الجزء الأول المذكور .

ولكن ، هل يزجر هذا عشّاقَ الاستعلاء والسيطرة ؟؟ .

هل يُمسكُ بشهواتهم الجامحة ويوقفها عند حد . . . ؟؟

التاريخ يهتف بها صافيةً مجلجلة : كلا . . . .

ويبدأ الكيد لأهل البيت لتنحيتهم عن مركز القيادة يأخذ أبعاداً عميقة . . .

ثم يشرع ذلك الكيد يلبس ألواناً شَتَّى من أفانين المكر . . . والخداع . . .

فمن نعومة مخملية . . . إلى وعيد مرعب . . فَسَبٌّ منكر . . . فَسَفْك دماء . . . فاغتيالٌ بالسَّمّ . . . إلى . . . إلى . . .

كان ذنبُ الأئمة من أهل البيت أن الله أَوْجَبَ مَحَبَّتَهُمْ ، وَطَهَّرَهُمْ تطهيراً من كلّ رجس . . .

كان ذنبهم أن رسول الله (ص) أوصى فيهم المسلمين بقوله : « إنّي تاركٌ فيكم الثَّقَلَيْن » :

١ ـ كتاب الله . . .

٢ ـ وعترتي أهل بيتي . . .

« فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »[99] .

---

(٩٩) راجع : أ ـ النسائي : الخصائص ـ صفحة ١٥٠ ـ الحديث ٧٩ .

ب ـ مسلم ـ صحيح مسلم ـ الجزء السابع صفحة ١٢٢ و ١٢٣ ـ تحت عنوان (باب من فضائل علي بن أبي طالب) .

ج ـ الترمذي : صحيح الترمذي (السُّنن) ـ الجزء الخامس صفحة ٦٦٣ ـ تحت الرقم ٣٧٨٨ .

د ـ البلاذري (أحمد بن يحيى) : أنساب الأشراف ترجمة (علي أمير المؤمنين ـ الجزء الثاني صفحة ١١٠ تحت الرقم ٤٨ ـ طبعة أولى) .

هـ ـ ابن حجر : الصواعق المحرقة : الصفحات ١٢٦ و١٤٩ و١٥٠ مع اختلاف في الألفاظ في بعض طرق الحديث ، فراجعه . =

هذا الحديث المتواتر المتفق عليه لم يُغْنِ عن أهل بيت رسـول الله شيئاً . .

تُرى ماذا يعني رَفْضُ العمل به ؟؟ .

ولم يزجر عُنْفوانَ المتعطشين للسلطة قَوْلُ رسول الله (ص) لعليٍّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين :

« أنا حَرْبٌ لمن حاربتم ، وسلمٌ لمن سالمتم » اهـ (١٠٠) .

= و ـ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين ، بهامش نـور الأبصار ، صفحـة ١١٩ تحت عنوان : (الباب الثاني في فضل أهل البيت ومزاياهم) .

ز ـ الفقيه ابن المغازلي : المناقب صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٦ ـ رقم الحديث ٢٨١و ٢٨٤ .

ح ـ الشيخ سليمان القنـدوزي : الينابيـع ـ الجزء الأول صفحـة ٢٠ ـ أوائل (البـاب الثالث) . وأوائل الباب الرابع صفحة ٢٩ .

والجـزء الثاني من الينـابيع صفحـة ١٦ تحت عنوان « وفي الجـامع الصغيـر لجـلال الدين السيوطي » والجزء نفسه صفحـة ١٢١ ـ تحت عنوان (الفصـل الرابـع في نبذ من كرامات علي) الباب التـاسع والخمسـون . وأورد الحديث في : الجـزء الثالث من الينـابيع صفحـة ١٩ ـ (الباب الخـامس والستون) ، وفي الصفحة ١٠٧ ـ من الجزء الثالث (الباب السابع والسبعون) .

ط ـ الإمام محيي الدين أبـو زكريا النَّـووي الحنفي المذهب : ريـاض الصالحين ، صفحة ١٦٦ الناشر مكتبة الغزالي في دمشق .

ي ـ شيخ الشافعية : المحب الطبري ـ ذخائر العُقبى صفحة ١٦ ـ (باب في فضـل أهل البيت) .

ك ـ الإمام أحمد بن حنبل : المسند ـ الجزء الثالث الصفحة ١٧ .

ل : الحـاكم النيسـابـوري الشـافعي المـذهب : المستـدرك ـ الجـزء الثـالث صفحة ١٠٩ ـ . وغيرهم . .

م ـ وراجع الباب (الثالث ، والباب الرابع)من ينابيع المودة ـ الجزء الأول، فقد نقل العـلامـة القنـدوزي من كتب الصحـاح فصـلاً كـامـلاً في حـديث الثقلين . وخاصَّةً في الفصل الرابع .

(١٠٠) راجع : أ ـ ينابيـع المودة ـ الجـزء الأول ـ الباب الـرابع ـ صفحـة ٣٤ ، قال الشيـخ سليمان القنـدوزي : « الترمـذي بسنـده عن زيـد بن أرقم أنّ رسـول الله (ص) قـال لعلي وفـاطمـة والحسن والحسين : أنـا حـرب لمن حـاربتم وسلم لمن سالمتم » . وقال : أيضاً أخرجه ابن ماجه عن زيد بن أرقم » أهـ .

ب ـ الصواعق المحرقة (الفصل الثـاني) تحت عنوان : أحـاديث عن أهل البيت ـ =

ولا قـولـه (ص) : « اشتَـدَّ غَـضَـبُ الله عـلى مَـنْ آذاني فـي عِتْرتي » اهـ [(١٠١)] .

ولم يَشْفَعْ فيهم قولـه (ص) : « لا يؤمن عبد حتى أكـون أَحَبَّ إليه من نفسه ، وتكون عِتْـرَتي أحب إليه من عِتْـرَتِهِ ، وتكـون ذاتي أَحَبَّ إليه

= صفحـة ١٨٧ ـ « الحديث السادس عشر » قال ابن حجر : أخرجه (أي حديث : أنا سلم لمن سالمهم ، حرب لمن حاربهم) : الترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم » .

ج ـ الفقيه ابن المغازلي : المناقب صفحة ٦٤ ـ الحديث ٩٠ قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بسنده عن أبي هريرة ، قال : أبصر النبيُّ (ص) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : أنا حَرْبٌ لمن حاربكم ، وسلمٌ لمن سالمكم » أهـ .

د ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٩١ ـ الفصل الرابع عشر ـ في بيان أنَّ عليّاً أقرب الناس من الرسول وأنّه مولى من كان رسول الله مولاه » .

هـ ـ الإمام أحمد بن حنبل : المسند ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٤٤٢ .

و ـ ابن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ـ الجزء الثامن صفحة ٢٠٥ .

ز ـ الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٤٩ .

ح ـ الخطب البغدادي : تاريخ بغداد ـ الجزء السابع ـ صفحة ١٣٦ .

ط ـ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج ـ الجزء الثالث صفحة ٢٠٨ تحت عنوان (أخبار علي في جيشه . .) ١٩٦٥م طبعة ثانية .

(١٠١) راجع : أ ـ ابن حجر: الصواعق المحرقة صفحة ١٨٦ ـ تحت عنوان ـ الفصل الثاني (الحديث الأول) ، قال : أخرجه الديلمي عن أبي سعيد .

ب ـ ابن المغازلي : المناقب صفحة ٢٩٢ ـ الحديث ٣٣٤ وأخرجه في الصفحة ٤٢ الحديث ٦٤ . عن علي قال : قال رسول الله (ص) اشتدّ غضبُ الله تعالى وغضبي على من أهراق دمي ، أو آذاني في عترتي » وقال محقق كتاب المناقب في الهامش: أخرجه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ـ الجزء الخامس صفحة ٣٦٢ في ترجمة محمد بن الأشعث ، عن عبد الله بن عدي الحافظ المترجَم في تذكرة الحفّاظ صفحة ٩٤٠ ـ أهـ .

ج ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ٦ « الباب السادس والخمسون » ، ولفظه : « مَنْ آذاني في أهلِ بيتي فقد آذى الله » للديلمي .

من ذاته » اهـ[١٠٢] .

ولم يجدهم نفعاً رواية الفاروق عمر عن النبي أنه قال : « كل سببٍ وَنَسَب يَنْقَطِعُ يوم القيامة إلاّ سَبَبي ونسبي ، وكل وُلْدِ آدم فإنّ عَصَبَتَهُمْ لأبيهم ما خلا وُلْدِ فاطمة فأنا أبوهم » [١٠٣] .

وعن الطبراني . . وابن عباس : « إنّ الله عز وجل جعل ذريَّة كل نبي في صُلْبِهِ ، وإنّ الله تعالى جعل ذريَّتي في صُلْب عليّ بن أبي طالب » اهـ[١٠٣] .

---

(١٠٢) راجع : أ ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة (باب الحث على حبهم والقيام بواجب حقهم) صفحة ٢٣٠ ، ويقدم ابن حجر للحديث فيقول : أخرجه البيهقي (شيخ السُّنة أبو بكر أحمد بن حسين) وغيره » أهـ (مناقب الخوارزمي ص ٢٠٠ .

ب ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ٩٦ ـ (الباب الثامن والخمسون) ، أخرجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، عن أبيه ، وفيه زيادة (ويكون أهلي أَحَبَّ إليه من أهله) ، ويعلق الشيخ القندوزي على الحديث فيقول : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وأبو الشيخ في الثواب ، والديلمي في مسنده » أهـ .

ج ـ الشبلنجي : نور الأبصار (الباب الثاني في ذكر مناقب الحسن والحسين . . .) صفحة ١٢٦ أخرجه نقلاً عن الديلمي ، والطبراني ، وأبو الشيخ ابن حبّان ، والبيهقي » . وقال الشبلنجي الشافعي : « وعن النبي صلى الله عليه (وآله) : « حرمت الجنة على مَنْ ظلم أهل بيتي أو آذاني في عترتي . . الحديث » ـ الباب نفسه ، صفحة ١٢٣ .

د ـ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار (الباب الثاني في فضل أهل البيت) صفحة ١٢٣ .

(١٠٣) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ٩٢ و٩٣ ـ (آخر الباب السابع والخمسون) . قال صاحب الينابيع : اخرجه أبو صالح ، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ، والدارقطني وراجع الصفحة ١٣٥ ـ من الباب (التاسع والخمسون ـ الفصل الثاني) من الجزء الثاني من الينابيع فهناك روايات متعددة في هذا الشأن عن السيدة الزهراء ، وعن ابن عمر .

ب ـ الصواعق المحرقة صفحة ١٨٧ ـ فقد أخرجه عن ابن عمر بلفظ : « كل بني أنثى فإنّ عصبتهم لأبيهم خلا ولد فاطمة فإنّي أنا عصبتهم وأنا أبوهم » . =

ولم يَعْبَأْ خُطَّابُ الكبرياء بقول رسول الله : « والـذي نفسي بيده لا يُبْغِضُنا أَهْلَ البيتِ أَحَدُ إلاّ أَدْخَلَهُ الله النار » اهـ .

ولا قوله (ص) : « مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْبَيْتِ فهو مُنافق » اهـ[١٠٤] .

= وأخرجه ايضاً في الصفحة ٢٣٦ « باب خصوصيات أهل البيت » ، وأخرجه في الباب التاسع صفحة ١٢٤ ـ عن ابن عباس .

ج ـ إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار صفحة ١٤٤ ـ أخرجه من عدة طرق ، منها عن الطبراني مرفوعاً (أي إلى الرسول) : « إنّ الله عز وجلّ جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وإنّ الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب » . ويقول الشيخ الصبان في الصفحة ١٢٣ ـ « وروى أبو الشيخ عن علي قال : « خرج رسول الله مُغضَباً حتى أستوى على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أُناس يُؤْذونّني في أَهْلِ بيتي ، والـذي نفسي بيـده لا يؤمن عَبْـدٌ حتى يُحبُّني ، ولا يُحبّني حتى يُحبُّ ذُرِّيتي » وَيُعَلِّقُ الشيخ محمد الصبان على الحديث فيقول : ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : « صِلَةُ قرابةِ رسول الله أَحَبُّ إليّ من صلةِ قرابتي » أهـ .

د ـ النَّسائي : الخصائص صفحة ٢٥٣ ـ الحديث ١٣٨ قال : أخبرنا أحمد بن بكّار الحراني بسَنده . . عن محمد بن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله (ص) : « أمَّا أنت يا عليُّ فَخَتَني وأبو ولدي ، وأنت منّي وأنا منك » أهـ .

(١٠٤) راجع : أ ـ ابن حجر : الصواعق صفحة ٢٣٩ و٢٤٠ ـ (باب التحذير من بُغْضهم) ، وَيُعَلِّقُ ابن حَجَر على الحديث الأول فيقول : وَصَحَّ أنّه صلى الله عليه (وآله) وسلم قال : « والذي نفسي بيده . . . الحديث . . . أما الحديث الثاني فقد قَدَّمَ له بقوله : « وروى أحمد وغيره : « من أبغض أهل البيت . . . » الحديث .

ب ـ المحب الطبري : ذخائر العُقْبى صفحة ١٨ ـ (ذكر ما جاء في الحث على حُبِّهم والزَّجْرِ عن بُغْضهم) قال : وعنه ـ أي عن ابن عباس ـ قال : قال رسول الله : لو أنَّ رجُلاً صَفَّ بين الركن والمقام ، فَصَلّى وصام ، ولقيَ الله مُبْغِضاً لأهل بيت محمد دَخَلَ النار » أهـ .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله : « من أَبْغَضَ أهل البيت فهو منافق » أخرجه أحمد في المناقب .

ج ـ ينابيع المودة ـ الجزء الأول ، صفحة ٤٦ ـ الباب السادس ـ نَقْلاً عن عبد الله بن أحمد (بن حنبل) في زوائد المسند ، بسنده عن أبي سعيد الخُدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : « مَنْ =

ويرى السلطان البطر المتحدّي وحي السماء . . .

عليّ بن أبي طالب نَبْضاً حَيّاً في قلوب المؤمنين . .

وكوكباً دريّاً يتوقد في سماء الفضائل . . .

وقمة الجهاد الساطعة بأنوار الخلود في تاريخ الإسلام . . .

فيرتاع . . . ويفكر . . . ثم يُدبر . . .

حقّاً إنّ عليّاً هو كل ذلك الشموخ الغني بالشمائل الباسقات . . .

والسلطان يريد أن يخلو له وجه الناس . . . .

إذن فلا بُدَّ من تشويه رأس البيت النبوي بعد غياب رسول الله . .

فإذا هو يفرض (النيل) من عليّ وممن يواليه . . .

وتكْفَلَتْ سياسة الإرهاب والبطش بتنفيذ ما فرضت . . .

ويأتي ابن عباس مَنْ يقول له : إنّ قوماً يقعون في عليّ بن أبي طالب . . .

فَيَئِنُّ متوجِّعاً ، ويقول لابنه عليّ : أسرع بي إلى مجلس هؤلاء القوم قبل أن يتفرقوا . . .

إنّه يُريدُ أن يبلغهم حديثاً تَلَقَّفَهُ من فم رسول الله ، عساه يحجزهم عن المنكر الذي يسبحون في مستنقعه . . .

ويمضي به إليهم . . . فماذا حدث بينه وبينهم ؟؟ .

هذا الحافظ موفق بن أحمد البكري المكي (أخطب خوارزم) ـ الحنفي المذهب يطلعنا بأسانيده على ما حدث . .

قال : وأخبرني الإمام الأجل شمس الأئمة أخي أبو الفرج محمد بن أحمد المكي بسنده . . عن سعيد بن جبير ، قال : بلغ ابن

= أبغضنا أهل البيت أدخله الله النار » أهـ .

د ـ جلال الدين السيوطي : تفسيره « الدر المنثور » ـ ختام تفسير آية المودّة (من سورة الشورى) .

عباس أن قوماً يقعون في عليّ بن أبي طالب ، فقال لابنه عليّ بن عبد الله خُذْ بيدي ، فاذهبْ بي إليهم ، فأخذ ولده بيده حتى انتهى إليهم فقال : أيّكم السابُّ لله ؟؟

فقالوا : سبحان الله ، مَنْ سَبَّ الله فقد كفر . .

فقال : أيكم السابُّ لرسول الله ؟؟

فقالوا : سبحان الله . مَنْ سَبَّ رسول الله فقد كفر . .

فقال : أيكم السابُّ لعليَّ بن أبي طالب ؟؟

قالوا : قد كان ذاك .

فقال لهم : فاشهدوا إنّي لقد سمعت رسول الله يقول : « مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سَبَّني ، ومَنْ سَبَّني فقد سَبَّ الله ، ومَنْ سَبَّ الله كَبَّهُ الله يوم القيامة على وجهه في النار ، ثم وَلّى عنهم ، فقال لابنه علي : كيف رأيتهم ، فأنشأ يقول :

نظروا إليك بأعين مُحْمَرَّةٍ   نَظَرَ التيوس إلى شفار الجازر

قال : زِدْني فداك أبوك يا بني . فأنشأ يقول :

خُزْرَ الحواجب ناكسي أذقانهم   نَظَرَ الذَّلِيلِ إلى العزيز القاهر

قال : زدني فداك أبوك .

قال : ما أجد مزيداً .

قال : لكني أجد :

احياؤُهُم عارٌ على أمواتهم   والميِّتونَ فضيحةٌ للغابر . اهـ(١٠٥)

* * *

---

(١٠٥) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٨١ ـ (الفصل الرابع عشر) .
ب ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى صفحة ٦٦ « ذكر أنه من آذى علياً فقد آذى النبي ومن أبغضه » وأخرجه المحب الطبري في الرياض النضرة ـ الجزء =

وأخرج مسلم في صحيحه عبارات الحوار التي اسْتَمَرَّتْ بين سعد بن أبي وقاص ، وبين معاوية بشأن (الوقيعة) في عليّ . . . وفيها يَعْنُفُ سَعْدٌ على معاوية وَيَرْفُضَ مَطْلَبَهُ ، وَيُسَوِّغُ سَبَبَ رَفْضِهِ بأحاديث أَخَذَها مُبارَكَةً من فم رسول الله (ص)[١٠٦] .

وأخرج النسائي الحوار موجزاً في كتابه الخصائص .[١٠٧] .

وأخرجه المسعودي في تاريخه بتفصيل أدق وأوسع [١٠٨] .

وفي ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ، قال الشيخ سليمان القندوزي : « لأحمد والسِّتَّة إلَّا البخاري : من سَبَّ عليّاً فقد سَبَّني وَمَنْ سَبَّني فقد سَبَّ الله » اهـ[١٠٩] .

وَيُخْرِجُ (أخطب خوارزم) حديثاً فيه زيادة أربع كلمات في آخره

= الثاني صفحة ١٦٦ ـ مطبعة الاتحاد المصري ـ طبعة أولى .

ج ـ الشبلنجي : نور الأبصار ، صفحة ١٢١ ـ تحت عنوان (وَصيَّته للحسن والحسين) .

د ـ المسعودي : مروج الذهب ـ الجزء الثاني صفحة ٤٢٣ طبع دار الأندلس ـ طبعة أولى سنة ١٩٦٥ م .

هـ ـ الصواعق المحرقة : صفحة ١٧٤ و١٧٥ . تحت عنوان المقصد الخامس ، وفي الصفحة ١٧٥ قال ابن حجر : (وأخرج) أحمد عن أبي دجانة كان يقول : لا تسبوا عليّاً ، ولا أهل هذا البيت ، إن جاراً لنا قدم من الكوفة فقال : « ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق إنّ الله قتله يعني الحسين ، فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره » أهـ .

(١٠٦) راجع : صحيح مسلم ـ الجزء السابع صفحة ١٢٠ ـ (باب فضائل علي) .

(١٠٧) راجع : النسائي ـ الخصائص ، صفحة ٤٦ ـ الحديث التاسع ، واقرأ ما كتبه محقق الخصائص في الهامش .

(١٠٨) راجع : المسعودي : مروج الذهب ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٤ و ١٥ ـ تحت عنوان : بين سعد ومعاوية ـ طبع دار الأندلس ـ بيروت .

(١٠٩) راجع : أ ـ الشيخ القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني صفحة ١٣ ـ تحت عنوان « وفي الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي خاتمة حُفَّاظ مصر » .

ب ـ ابن أبي الحديد : شرح النهج ـ الجزء الثالث عشر ـ صفحة ٢٢٢ طبعة ثانية (١٣٨٧ هـ) .

وهي : « من فوق عرشه وكفر » . وإليك الحديث : (قال) : وأخبرنا الشيخ الزاهد أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي الخوارزمي بسنده . . عن أبي عبد الله الجدلي ، قال : دخلت على أمّ سَلَمة فقالت : أيُسَبُّ رسول الله فيكم ؟؟ .

فقلت : معاذ الله ، أو سبحان الله ، أو كلمة نحوها .

فقالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : « مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سَبَّني ، ومَنْ سَبَّني فقد سَبَّ الله من فوق عرشه وكفر » اهـ(١١٠) .

ذلكم هو حكم الله الحق . . .

أَنْطَقَ به نبيَّه الأمين . . .

« من سَبَّ عليّاً فقد سَبَّ رسول الله . . .

وَمَنْ سَبَّ رسول الله فقد سَبَّ الله . .

وَمَنْ سَبَّ الله فقد كَفَرَ . . . » .

* * *

ويطير ابن عباس إلى دمشق وظلمات الأسى تُهيمن على فؤاده الجريح . .

---

(١١٠) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٩١ ـ تحت عنوان (الفصل الرابع عشر) .

ب ـ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج ـ الجزء الثالث عشر صفحة ٢٢٢ ـ تحت عنوان (القول في إسلام أبي بكر وعلي) ، وفيه أنّ السيدة أم سلمة سألته : أيُسَبُّ رسول الله فيكم وأنتم أحياء ؟؟ قلت : أنّى يكون هذا ، قالت : أليس يُسَبُّ عليٌّ ومن يُحبه ؟؟ » أهـ .

ج ـ النسائي ـ الخصائص صفحة ١٦٩ ـ الحديث ٩١ ـ ، وراجع الأحاديث التي أوردها محقق الكتاب في الهامش .

د ـ الحاكم النيسابوري (ابن البيع) : المستدرك الجزء الثالث صفحة ١٢١ ـ تحت عنوان (مناقب علي بن أبي طالب) فراجعه ، ففيه زيادة بعض كلمات . . ورواه غيرهم كثير . . .

إنّه يود أن يواجهَ صاحبَ السلطان ، عساه يجعله يتبَصَّرُ فيما أوقَعَ فيه نفسه من تَهْلُكَة . . .

ويلتقي الرجلان : حاكم يترسَّمُ خُطَى هواه . . . وعالم ينهى عن اتباع الهوى الآثم . . . .

ويتحدث ابن عباس . . وأنين الألم يلوّن كلماته بنبضات حزن عميق . . .

ذَكَّرَ سَيِّدَ الشام بالآيات القرآنيَّة التي أنزلها الله على قلب نبيِّه في أهل البيت عامَّةً . . وبعليّ بن أبي طالب خاصَّة . . .

ذَكَّرَهُ بأحاديث الرسول في عليّ وفي أهل البيت صلوات الله عليهم . . .

ولكن . . .

ولكن سَيِّدَ الشَّام الذي طَغَتْ جاهليته على إسلامه . . .

يأخذه بِعُنْفٍ فرعوني . . . ويقول له بجفاء قاتم . . .

لا والله . لا أترك هذا الأمر . . . حتى . . .

هذا العلامة المعتزلي ابن أبي الحديد يُخْبرنا عما جرى بين ابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان . .

قال : « وروى العباس بن بكار الضِّبِّي » . قال : حدثني أبو بكر الهُذَلي ، عن الزُّهري . قال : قال ابن عباسٍ لمعاوية : ألا تَكُفُّ عن شَتْم هذا الرجل . . ؟؟

قال : « ما كنت لأفعل حتى يَرْبُوَ عليه الصغير ، ويهرم فيه الكبير » اهـ[111] .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة أحد علماء الأزهر المعاصرين :

---

(١١١) راجع : ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح نهج البلاغة ـ الجزء الثالث عشر ، صفحة ٢٢٢ ـ تحت عنوان (القول في إسلام أبى بكر وعلي وخصائص كلٍّ منهما) .

« ولقد لام كثيرون معاوية على ذلك العمل البالغ أقصى حدود الحقد ، ولقد أرسلت أم المؤمنين السيدة أم سَلَمَة تقول له : « إنّكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومن يُحبه ؛ وأشهد أنّ الله ورسوله يحبّانه »(١١٢) .

---

(١١٢) راجع : صحيح البخاري ـ الجزء الخامس صفحة ٢٢و٢٣ ـ باب : مناقب علي بن أبي طالب .

وأخرجه في الجزء الخامس نفسه صفحة ١٧١ ـ (باب غزوة خيبر) .

وأخرجه في الجزء الرابع صفحة ٦٥ ـ باب ما قيل في لواء النبي ـ .

وأخرجه في الجزء الرابع نفسه صفحة ٧٣ ـ (باب فضل من أسلم على يديه رجل) .

وأخرجه صحيح مسلم في الجزء الخامس صفحة ـ ١٩٥ ـ باب غزوة ذي قرد وغيرها ـ آخر الباب ـ .

وأخرجه في الجزء السابع صفحة ١٢٠و ١٢١ ـ (باب من فضائل علي بن أبي طالب) .

وأخرجه النسائي في الخصائص صفحة ٦٦ ـ ٦٨ ـ الحديث ٢١ و٢٢ .

وهذا الحديث متواتر ومتفق عليه ، وقد أخرجه أصحاب الصحاح جميعاً فراجع . . . وقد أورده الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي في كتابه : الفتنة الكبرى عليٌّ وبنوه ، وَمَهَّدَ له بقوله : فهو (أي علي) ابن عم النبي ، وأَسْبَقُ الناس إلى الإسلام بعد خديجة ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى مع النبي من الرجال ، وهو ربيبُ النبيِّ قَبْلَ أن يُظهِرَ دَعْوَتَهُ ، وَيَصْدَعَ بأمر الله .

أَحَسَّ النبيُّ أنَّ أبا طالب يَلْقَى ضيقاً في حياته ، فَسَعَى في أعمامه ليُعينوا الشَّيْخَ على النهوض بثقل أبنائه ، فاحتملوا عنه أكثر أبنائه وتركوا له عَقيلاً كما أَحَبَّ ، وأخذ النبيُّ علياً فكفله ، وقام على تَنْشِئَتِهِ وَتَرْبيته ، فَلَمَّا آثَره الله بالنبوّة كان عليٌّ في كَنَفِهِ لم يُجَاوِزِ العاشِرةَ من عمره إلاّ قليلاً ، فنستطيع أن نقول : إنّه نَشَأَ مع الإسلام .

وكان النبيُّ يُحَبُّهُ أشدَّ الحب، وَيُؤْثِرِه أَعْظَمَ الإيثار ، اسْتَخْلَفَهُ حين هاجر على ما كان عنده من ودائع حتى رَدَّها إلى أصحابها ، وأمره فنام في مَضْجعه ليلةَ ائتمرتْ قريشٌ بقتله ، ثم هاجر حتى لحق بالنبيِّ في المدينة ، فآخَى النبيُّ بَيْنَهُ وبين نفسه ، ثم زَوَّجَه ابنَتَهُ فاطمة ، ثم شهد مع النبيِّ مشاهدَه كلها ، وكان صاحبَ رايته في أيام البأس ، وقال النبيُّ في خيبر : «لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رَجُلاً يُحبُّ الله ورسولَه، ويُحبُّه الله ورسوله»، فلما أَصْبَحَ ، دَفَعَ الرَّايَةَ إلى علي ، وقال النبيُّ حين اسْتَخْلَفَهُ على المدينة يوم سار إلى غزوة تبوك : « أَنْتَ مني بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي » . وقال للمسلمين في طريقه إلى حجة الوداع : « من كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ من عاداه » . . . الخ .

(راجع : د . طه حسين : الفتنة الكبرى -٢- عليٌّ وبنوه ، طبع دار المعارف ـ مصر ، سنة ١٩٦١ م) .

إنّها رضي الله عنها تبني شهادتها الحقّةَ على :

١ ـ معرفتها بالله وبرسوله وبعلي . . .

٢ ـ أحاديث الرسول ، وخصوصاً قوله يوم خيبر : « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يَفْتَح الله على يَدَيْه ، يُحِبُّ الله ورسولَه ، وَيُحِبُّهُ الله ورسولُهُ » فأعطاها عليَّ بن أبي طالب[113] .

وقوله : يا عليٌّ لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق »[114] .

ولكنَّ السُّلْطَةَ التي نَبَذَتْ حكم الشُّورى الذي أَوْجَبَهُ الله في كتابه الحكيم . . .

---

(١١٣) وهذا الحديث متفق عليه ، وقد ذكرنا سابقاً عدداً من كتب الصحاح التي أخرجته ويُعَلِّقُ الأستاذ عبد الكريم الخطيب على هذا الحديث الذي أَوْرَدَهُ في كتابه « الإمام علي » فيقول : « فَحُبُّ عليٍّ علامَةُ صِحَّةٍ لإيمان المؤمن وسلامته ، إذ كان من رسول الله بمنزلة الأخ الذي يَحْمِلُ مَعَهُ عِبْءَ رسالته ، وَيَشِدُّ أَزْرَهُ فيها كما يقول الرسول الكريم : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي » . فَحُبُّ عليٍّ من حُبِّ رسول الله ، وحُبُّ رسول الله من تمام الإيمان بالله .

أمَّا مَنْ كان في قَلْبِه دَخَلٌ ، وفي صَدْره ضيقٌ وحَرَجٌ من دينِ الله ، فإنّه يَلْبَسُ الإسلام تقيَّةً ، ويأخُذُهُ مَظْهَراً ، ثم لا يجدُ ما يُنَفِّسُ به عن شَنآنه للإسلام ، واسْتِخْفافِهِ به ـ وهو مع هذا مَحْسُوبٌ في المسلمين ـ إلّا بُغْضَ مَنْ يُحِبُّهُ رسولُ الله ، وانتقاصَ مَنْ يُكْرِمه وَيُدْنيه منه ، ففي هذا النفاق عاشَ ويعيشُ أولئك الذين يُحادّون الله ورسولَه ، وَيُؤْذون أولياء الله ورسولَه أمَّا مَنْ خَلَصَ قَلْبُهُ من النِّفاق ، فإنّه لا يجدُ في قَلْبه إلّا الحبَّ الوثيقَ ، والولاء المكينَ لآل رسول الله وصحابته الذين صحبهم ، ورضيَ صحبتهم ، وفي مقدمة هؤلاء وهؤلاء جميعاً ربيبهُ ، وابنُ عمه ، وزوجُ ابنته ، ووالدُ ولديه : الحسن والحسين . . عليُّ بن أبي طالب كَرَّمَ الله وجهه ، وَأَكْرَمَنا بحُبِّهِ ، وحُبِّ آل بيت رسول الله وصحابته » أهـ .

(راجع : عبد الكريم الخطيب الشافعي المذهب : علي بن أبي طالب بقيَّةُ النبوّة وخاتم الخلافة ، صفحة ٥٩١ و٥٩٢ ـ طبعة ثانية سنة ١٣٩٥ هـ=١٩٧٥ م ـ طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان) .

(١١٤) راجع : ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ الجزء الحادي عشر صفحة ٤٤ ـ ٤٦ ـ تحت عنوان (ذكر ما مُنيَ به آل البيت من الأذى والاضطهاد ، طبعة ثانية سنة ١٣٨٧ هـ=١٩٦٧ م ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المصري) .

وَفَرَضَتِ الحكم فرعونياً . . أُمويّاً . . وراثيـاً . . ٱسْتَغْلَتْ على كل قول . . .

وَأَصَرَّتْ على موقفها إصراراً حَمَتْه بشفار السيوف . . .

ثمَّ زادت في صَـبِّ الأذى على أهــل الـبيـت (ع) ، فمـنعـت من التحدث بفضائلهم الرحمانية . .

وأرصَـدَتْ لمن يفعل ذلـك عـذابـاً جَسَـديـاً . . وَقَهْـراً نفسيّـاً . . وحرماناً من بيت مال المسلمين . . .

وأمـرت بوضـع أحـاديث عن رسـول الله تـرفـع أقـوامـاً . . وَتَضَـعُ أَقواماً . . .

وكـافأتْ واضعي الأحـاديث بمالٍ مسكـوبٍ . . وجـاهٍ ممـدودٍ . . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . .

وقد صَوَّرَ أبو الحسن المدائني في كتابه « الأحـداث » تصويـراً حيّاً القسوة البالغة التي كان يمـارسها الحكم المطلق ضدَّ أهـل البيت النبوي في تلك الحقبة من الزمن . .

ومــا علينـا لكي نستنــطق تلك الصـور إلاّ أن نُصْغيَ إلى ابن أبي الحديد يتلو على مسامعنا ما سَجَّله المدائني في كتابه المذكور . . .

قال : وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سَيْف المداينيّ في كتاب الأحداث ، قال : « كتب معاوية نُسْخَةً واحدةً إلى عُمّالـه بعد عـام الجمـاعة : أن بَـرئتِ الذمَّـةُ مِمَّنْ رَوَى شيئاً من فضـل أبي تُـراب وأهـل بيتـه ؛ فقامت الخُـطباءُ في كـل كـورة ، وعلى كـل منبـر ، . . . عليّـاً ، ويبرؤون منه ، ويقعون فيه وفي أهْل بيته ؛ وكان أَشَدَّ النـاس بَلاءً حينئـذٍ أَهْل الكوفة ، لكثرة مَنْ بها من شيعة علي عليه السلام ، فاسْتَعْمَلَ عليهم زياد بن سُمَيَّة ، وَضَـمَّ إليه البَصْرَةَ ، فكان يَتَتَبَّعُ الشِّيعَةَ وهو بهـم عـارفٌ ، لأنّـه كان منهم أيـام علي عليه السـلام ، فقتلهم تحت كل حَجَـرَ وَمَدَرَ ،

وأخافهم ، وقَطَعَ الأيديَ والأرجل ، وَسَمَلَ العيون ، وَصَلَبَهُمْ على جُذوع النَّخْل ، وَطَرَدَهُمْ ، وَشَرَّدَهُمْ مِنْ العراقْ ، فلم يَبْقَ بها معروف منهم .

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق : ألَّا يُجيزوا لأحَدٍ من شيعة عليٍّ وأهل بيته شهادةً . وكَتَبَ إليهم : أن انظروا مَنْ قِبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه ، وأهل ولايته والذين يَرْوون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسَهمْ وقَرِّبوهُمْ ، وأكرموهم ، واكتبُوا لي بكل ما يروي رَجُلٌ منهم ، واسْمَهُ ، واسْمَ أبيه ، وعشيرته .

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه إليهم معاوية من : الصِّلات ، والكساء ، والحباء ، والقطائع ، ويُفيضُهُ في العرب منهم والموالي ؛ فكَثُر ذلك في مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيءُ أَحَدٌ مَرْدودٌ من الناس عاملاً من عُمَّال معاوية ، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كَتَبَ اسْمَهُ وقَرَّبَهُ وَشَفَّعَهُ ، فلبثوا بذلك حيناً ؛ ثم كتب إلى عماله : إنَّ الحديثَ في عثمان قد كَثُرَ وفشا في كل مصر ، وفي كل وَجْهٍ وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا ، فادعوا الناسَ إلى الرواية في فضائل الصَّحابة والخُلَفاء الأولَين ، ولا تتركوا خَبَراً يَرويه أَحَدٌ من المسلمين في أبي تراب إلَّا وتأتوني بمناقض له في الصَّحابة ، فإنَّ هذا أَحَبُّ إليَّ ، وأَقَرُّ لعينيَّ ، وأدحضُ لحُجَّةِ أبي تراب وشيعته ، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله .

فَقُرِئَتْ كُتُبُهُ على الناس ، فَرُوِيتْ أَخْبارٌ كثيرةٌ في مناقب الصَّحابة مُفْتَعَلَةٌ لا حقيقَةَ لها ، وَجَدَّ الناسُ في رواية ما يَجْري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابِر ، وأُلْقِيَ إلى مُعْلِّمي الكتاتيب ، فعلَّموا صبيانَهم وَغِلْمانَهُمْ من ذلك الكثير الواسعَ حتى رَوَوْهُ وتعلَّموهُ كما يتعلَّمون القرآنَ ، وحتى عَلَّموه بَناتِهم ونسَاءَهم ، وَخَدَمَهُمْ وَحَشَمَهُمْ فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عمّاله نُسْخَةً واحدةً إلى جميع البلدان : « اُنْظُروا مَنْ نامَتْ عليه البيِّنةُ أنّه يُحبّ عليّاً وأهل بيته ، فامْحوهُ من الديوان ، وأسْقطوا عطاءَهُ ورزْقَهُ ، وَشَفَعَ ذلك بنُسْخَةٍ أُخرى : مَنِ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ، فنكِّلوا به واهدموا داره ؛ فلم يكن البلاءُ أَشَدَّ ولا أكثر منه في العراق ، ولا سيّما بالكوفة ، حتى أنَّ الرجُلَ من شيعة عليٍّ عليه السلام ليأتيه مَنْ يَثِقُ به ، فيدخل بَيْتَهُ ، فَيُلْقي إليه سِرَّهُ ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يُحَدِّثُه حتى يأْخُذَ عليه الأيْمانَ الغليظةَ لَيَكْتُمَنَّ عليه ، فَظَهَرَ حَديثٌ كثيرٌ موضوعٌ ، وَبُهْتَانٌ مُنْتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء ، والقُضاةُ والولاة ، وكان أعظم الناس بَلِيَّةً في ذلك القُرّاءُ المراؤون ، والمُسْتَضْعَفون الذين يُظْهرونَ الخشوعَ والنُّسك فيفتعلون الأحاديث ، ليَحْظَوْا بذلك عند ولاتهم ، ويُقَرِّبوا مجالسَهُمْ ويصيبوا به الأموال والضياعَ والمنازلَ ، حتى انتقلتْ تلك الأخبارُ والأحاديثُ إلى أيدي الديّانين الذين لا يَسْتَحِلّون الكذبَ والبهتانَ ، فقبلوها ، وَرَوَوْها ، وهم يظنون أنّها حَقٌّ ولو علموا أنّها باطلةٌ لما رووها ، ولا تَدَيَّنوا بها .

فلم يَزَلِ الأمر كذلك حتى ماتَ الحَسنُ بن علي عليه السلام ، فازْدادَ البلاءُ والفِتْنَةُ ، فلم يَبْقَ أَحَدٌ من هذا القبيل إلّا وهو خائفٌ على دَمه ، أو طريدٌ في الأرض .

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وَوُلِّيَ عبد الملك بن مروان ، فاشْتَدَّ على الشِّيعة ، وَوَلَّى عليهم الحجاجَ بْنَ يُوسُف ، فَتَقَرَّبَ إليه أَهْلُ النُّسُك والصَّلاح والذين ببُغْض عليٍّ وموالاة أعدائه ، وموالاة مَنْ يَدَّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم ، وأكثروا من الغَضِّ من عليٍّ عليه السلام ، وَعَيْبِهِ والطَّعْنِ فيه ، والشَّنآن له ، حتى أَنَّ إنساناً وَقَفَ للحَجّاج - ويُقال إنّه جَدُّ الأصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به : أيها الأمير !! إنَّ أَهْلي عَقّوني فسموني عليّاً ، وإنّي فقيرٌ بائس ، وأنا إلى صِلَةِ الأمير مُحتاج ،

فتضاحَكَ لـه الحجاج وقـال : لَلَطُفَ ما تـوسَّلْتَ به ، قـد وَلَّيْتُك مـوضعَ كذا » أهـ .

وَيُعَلِّقُ ابن أبي الحـديد على هـذا الخبر فيقـول : « وقـد روى ابن عَرَفَة المعروف بِنِفْطويه ـ وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ في تـاريخه ما يناسبُ هذا الخبر ، وقال : « إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصَّحابة آفْتُعِلَتْ في أيام بني أُميَّة ، تَقَرُّباً إليهم بما يَظُنُّون أَنَّهُمْ يُرغمـونَ به أُنوفَ بني هاشم » أهـ .

إنَّ ما دوَّنه قَلَمُ المدايني وثيقةٌ تاريخيَّة نَتَعَلَّم منها أن سياسَةَ عاهـل الشام كانت تَهْدُفُ إلى تقبيح مَنْزِلة علي بن أبي طالب وأهل بيته ليخلوَ له ولمن يأتي بعده من عباهلة الأمويين وَجْهُ الناس .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : « فإنّـا نُقرر أنَّ مـا ذُكر عن حـال آل البيت في العصر الأموي صادقٌ كل الصدق . . . وإنّه لَيَدُلُّ على مقدار ما كان يُكنُّهُ أولئك الحكام من حقد دفين لآل البيت » أهـ[١١٥] .

ويقـول : « وإنّـه يجبُ علينـا أن نُقـرر هنـا أن فقـهَ عليٍّ وفتـاويـه وأقضيته لم تُرْوَ في كُتُب السُّنة بالقدر الذي يتفق مع مدة خلافته ، ولا مع المدة التي كان منصرفاً فيها إلى الدرس والإفتاء في مدة الراشدين قبله ، وقد كانت حيـاته كلهـا للفقه وعلم الـدين ، وكان أكثـر الصحابـة اتصالاً بـرســول الله (ص) فقــد رافقَ الــرســول وهــو صبيٌّ قـبــل أن يُبْـعَـثَ عليه السلام ، واستمرّ معه إلى أن قبض الله تعالى رسوله إليه ، ولذا كان يجبُ أن يُذكر له في كتب السُّنَّة أضعاف ما هو مذكورٌ فيها .

وإذا كـان لنا أن نتعـرَّفَ السَّبَبَ الذي من أجله اختفَى عن جُمهـور المسلمين بَعْضُ مـرويَّاتِ عليٍّ وَفقْهِـه ـ فإنّـا نقول : إنّـه لا بُدّ أن يكـون

(١١٥) راجع الشيخ محمـد أبو زهـرة ـ شافعي المـذهب ـ: الإمام الصـادق ، صفحة ١١٢ ـ تحت عنوان (١ ـ السياسة) .

للحكم الأموي أَثَرٌ في اختفاء كثير من آثار عليٍّ في القضاء والإفتاء ، لأنّه ليس مَن المعقـول أن . . . عليّاً فـوق المنـابـر ، وأن يتْـركـوا العلمـاء يتحدثون بعلمه ، وينقلوا فتاويه وأقواله للناس ، وخصوصاً ما كان يتصـلُ منها بأساس الحكم الإسلامي » أهـ(١١٦) .

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب (من علماء الأزهـر الشريف) في كتـابـه : عليُّ بن أبي طـالـب : « لقـد ولي بنـو أميَّـة الملك ، وامْتَـدَّ ملكهم نحـو تسعين عامـاً ، كان أكبـر هَمِّهم فيها التَّعْفيَـةُ على آثـار عليٍّ وأهـل بيته ، واستخـدموا لهـذه الغايـة كُـلَّ سـلاح ، وتـوسَّلوا إليـه بكـل وسيلة ، وأجلبـوا عليه بكـل قـوة ، وإذا بهم وكـأنّهم إنّمـا يُـرسِّخـونَ في قواعد هذا البناء ، ويزيدونه عُلُوّاً إلى عُلُو ، وامتداداً إلى امتداد .

لقد أقام معاويةُ وخلفاؤُه من بعده من بني أُمَيَّـة منابـر يتناوبُ عليهـا الخطباء في سَبِّ علي ، وفي افتراء الأباطيل للنَّيْل منه ، والزِّرايـةِ عليه ، فما نالوا من ذلك مَنالاً ، ولا حوَّلوا أَحَداً عن حُبِّـه ، والولاء لـه ولآل بيته على تعاقُبِ الأزمان واختلافِ العصور .

يقـول أبو جعفـر الإسْكـافي في كتـابـه : نَقْضُ رسـالـة العثمـانيَّـة للجاحظ « فكانوا (الأمويون) لا يألون جُهْداً في طول ملكهم أنْ يُخْمِلوا ذِكْرَ عليٍّ عليه السَّلام وولده ويُطْفئوا نورهم ، ويكتموا فضـائلهم ومناقبهم وسوابقهم ويَحْملوا على سَبِّهم . . . على المنابـر فلم يَزَلِ السيفُ يقـطر من دمـائهم مع قِلَّةِ عَـدَدهم ، وكثرة عـدوِّهم ، فكانـوا بين قتيـلٍ وأسيـر وشـريـد ، وهـارب ومُسْتَخْفٍ ذليـل وخـائفٍ مترقب ، حتى أنَّ الفقيـه والمحدِّث والقاصّ ، والمتكلم ليَتَقَدَّم إليه ، ويُتَوَّعَدُ بغاية الإيعاد ، وأشدّ العقوبة ألَّا يـذكروا شيئـاً من خصائصهم ، ولا يُـرَخِّصوا لأَحَـدٍ أن يُطيفَ بهم ، وحتى بَلَغَ من تَقيَّةِ المحدِّثِ إذا ذكر حديثاً عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ كَنَّى عن ذكره ، فقال : قال رَجُلٌ من قريش ، وفعل رَجُلٌ

---

(١١٦) المصدر السابق صفحة ١٦٢ تحت عنوان : « الفقه في عصر الصادق » .

من قريش ، ولا يذكر عليّاً ولا يتفوه باسمه .

ثم إنّ جميع المختلقين قد حاولوا نقض فضائله ، ووجّهوا الحيل والتأويلات نحوها . . من خارجيٍّ مارق ، وناصبيٍّ حَنِق ، وناشىء معاند ، ومنافق مكذّب ، وعثماني حسود ، يعترض فيها (أي في فضائله) ويطعن ، ومعتزلي قد نظر في الكلام ، وأبصر علم الاختلاف ، وَعَرَفَ الشُبَه ، وموطن الطعن ، وضروبَ التأويل ـ قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتأويل مشهور فضائله ، فَمَرَّةً يَتَأَوَّلُها بما لا يُحْتَمَلُ ، ومَرَّةً يَقْصِدُ أن يَضَعَ من قدره بقياسٍ مُنتقص ، ولا يَزْدادُ مَع ذلك إلاّ قوةً ورفعةً ، ووضوحاً واستنارة » .

ثم يقول أبو جعفر أيضاً : « وقد علمتُ أنّ معاوية ويزيد ، ومن جاء بعدهما من بني مروان ، أيام ملكهم ، لم يَدَعوا جَهْداً في حَمْلِ الناس على شتمه ، و . . . وإخفاءِ فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

« روي عن عبد الله بن ظالم أنّه قال : لما بويع لمعاوية ، أقامَ المغيرةُ بن شعبة خطباء . . . عليّاً . . . . فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : « ألا ترون إلى هذا الظالم يأمر . . رجلٍ من أهل الجنّة » ؟؟ .

« وعن أبي بكر بن عبد الله الأصبهاني ، قال : كان لبني أميَّة دعيٌّ يقال له : خالد بن عبد الله (القسري) ، لا يزال . . . عليّاً ، فلما كان يوم الجمعة وهو يخطب الناس قال : والله ، إن كان رسول الله ليستعمله ، وإنّه ليعلم ما هو ، ولكنه كان خَتَنَهُ (أي صهره) . وقد نَعِسَ سَعيدُ بن المسيب ، ففتح عينيه ، ثم قال : ويحكم . ما قال هذا الخبيث ؟؟ .

رَأَيْتُ القبر ٱنصَدَعَ ، ورسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول : كَذَبْتَ . يا عدوَّ الله » .

وقال ابنٌ لعامر بن عبد الله بن الزبير لولده : يا بنيَّ !! لا تَذْكُرْ عليّاً

إلّا بخير ، فإنَّ بني أميـة . . . على منابـرهم ثمانين سَنَـةً ، فلم يَزِدْهُ الله بذلك إلّا رِفْعَةً .

إنَّ الدنيا لم تَبْنِ شيئاً قط ، إلّا رجَعَتْ عليه فهـدمته ، وإن الـدين لم يَبْنِ شيئاً قط وهدمه » .

ثم يقول أبو جعفر الإسكافي المعتزلي : « فحرصوا واجتهدوا (أي بنو أمية) في إخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترهـا ، وأبى الله إلّا أن يزيد أمره وأمر ولده استنارةً وإشراقاً ، وحبّهم إلّا شَغَفاً وشدةً ، وذكـرهم إلّا انتشـاراً وكثرةً ، وحجتهم إلّا وضـوحـاً وَقـوَّةً ، وفضلهم إلّا ظهـوراً ، وشـأنهم إلّا علوّاً ، وأقـدارهم إلّا إعـظامـاً ، حتى أصبحـوا بإهانتهم إيَّاهم أعزَّاءَ ، وبإماتتهم ذكـرهم أحياءً ، ومـا أرادوا به وبهم من الشر تَحَوَّلَ خيراً ، فانتهى إلينا من ذكر فضائله ، وخصائصِه ، ومزايـاه ، وسوابقه ، ما لم يتقدمْـهُ السابقـون ولا ساواه فيـه القاصـدون ، ولا لحقه الـطالبون . . ولـولا أنّها كـانت كالقِبْلَةِ المنصـوبة في الشُّهْـرَةِ ، وكالسُّنن المحفوظةِ في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حَرْفٌ واحدٌ ، إذ كان الأمرُ على ما وصفناه » أهـ(١١٧) .

وَيُعَقِّبُ الأستـاذ الخطيب على مـا أخذه عن أبي جعفـر الإسكـافي فيقول : « وشهادة الواقع ناطقةٌ لا تحتاجُ إلى تُرْجُمان »(١١٨) .

---

(١١٧) راجع : أ ـ رسالة أبي جعفر الإسكافي في نقض رسالته العثمانية للجاحظ . . صفحة ١٥ ـ (مطبوعة ضمن مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي) .

ب ـ ابن أبي الحديد : شـرح نهج البـلاغة ـ الجزء الثامن صفحـة ١٧ و١٨ تحت عنوان (عود إلى أخبار صفين) .

ج ـ ابن أبي الحديد : شـرح نهج البـلاغة ـ الجزء الثالث عشر من صفحة ٢١٩ ـ ٢٢٣ تحت عنوان (القول في إسلام أبي بكر) .

د ـ د . طه حسين : الفتنة الكبرى عليٌّ وبنوه صفحة ٩٢ ـ تحت عنوان الرقم (٢٤) والصفحة ٢١٩ تحت عنوان الرقم (٥١) .

(١١٨) راجـع : عبـد الكـريم الخـطيب : علي بن أبي طـالـب بقيَّـةُ النبـوة ـ وخـاتم الخـلافـة ـ صفحة ٥٩١ تحت عنوان (ثانياً بين الدين والدنيا) .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي عن واضعي الأحاديث عن رسول الله (ص) « وَبَلَغَ النِّفاقُ بهذا النفر من علماء المسلمين إلى وَضْع الأحاديث الشريفة في مدح بني أمية ، وَذَمٍّ بني أبي طالب » .

ثم يتساءل قائلاً : ولم لا ؟؟ .

لقد تجاسر هؤلاء المرتشون على الله تعالى ، فما يمنعهم من الجرأة على رسول الله ؟؟ » .

ثم يقول : « وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة ، كما اشْتَطَّ المزيفون في تأويل القرآن . .(*) .

ويقول في الصفحة ـ ٢٣٣ ـ من كتابه علي إمام المتقين ـ الجزء الثاني ـ : « لقد عَرَفَتِ الجاهليَّةُ صاحبات الرايات الحمراء اللائي يَبِعْنَ الأعراضَ واللذات ، وَعَرَفَتِ الأمّة في عهد معاوية أصحاب الأهواء الذين يبيعون ضمائرهم ، وَيُغْلونَ في الثمن ، ويبذلون عِرْضَهم العلميَّ، وشرفهم الدينيَّ مقابل الأموال ، والضياع ، والمناصب . . .

وهم شَرُّ سلف لشر خلف » .

ثم يتحدث عن إغراء معاوية لهم بالأموال ، والمناصب ، والمتاع ، وعن طمعهم بالحصول على تلك المشتهيات فيقول : « من أجل ذلك انطلق أهل الفتيا في بطانة معاوية يُخفون أحاديث ، ويضعون أحاديث نفاقاً لمعاوية ليزدادوا ثراءً » .

ويقول في الصفحة ـ ٢٣٤ ـ : « زعم علماء معاوية ـ وفي الحقِّ أنّهم كانوا علماء معاوية لا علماء الإسلام ـ زعموا ـ نفاقاً لمعاوية ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لمعاوية : « اللهم قِهِ العذاب والحساب وعلمه الكتاب » .

(*) راجع عبد الرحمن الشرقاوي المصري الشافعي المذهب : علي إمام المتقين ـ ج ٢ ص ٢٣٢ ـ الناشر مكتبة غريب ـ مصر .

ثم يقول : « وإمعاناً في نفاق معاوية زَيَّفوا حديثاً آخر : « آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين » أهـ .

وذلك رَدّاً على الأحاديث الشريفة الصحاح التي سمعها ثقاتُ الصحابة : « عليٌّ مني وأنا من علي ، أنا وليُّ مَنْ والاه وعدوٌّ من عاداه . . اللَّهُمَّ والِ مَنْ وَالاه ، وعادِ مَنْ عاداه » .

ثم يقول : « وغضب رواةُ الحديث من ثقاتِ الصحابة لهذا الاختلاق والبهتان ، فأغضى علماءُ معاوية عن الحديث الذي ينكر ولاية علي . . وسكتوا عن الأحاديث التي تمدحه . . . وروَّجوا للحديث الذي وضعوه في مدح معاوية .

ثم أذاعوا عن النبي أنّه قال : « مَنْ خَلَعَ يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له » واستندوا إلى هذا الحديث ليطالبوا الناس بالبيعة لمعاوية أميراً للمؤمنين ، بما أنّ أهل الشام بايعوه » .

وانتفض عبد الله بن عمر ، وهو في المدينة يعظُ الناس في مسجد رسول الله ، فَأَشْهَدَ الله والناس على تزييف أهل الفُتْيا من بطانة معاوية ، وقال : إنّه سمع هذا الحديث من رسول الله (ص) فما بالُ أهل الشام يحتجون به ، والحديثُ حُجَّةٌ عليهم وعلى ملكهم معاوية ، لا لَهُمْ .

إنّهم هم الذين خلعوا يَدَ الطاعة بعد أن بايع المهاجرون والأنصار عليّاً . . وقد لزمتهم الحُجَّةُ ، وَوَجَبَ عليهم أن يبايعوه » أهـ .

* * *

الفصـــــل الثامـــن

موقف جهابذة الفكر الإسلامي من حُكام المسلمين . . .
وإعلان ولائهم لأهل البيت . . .

ذلكم كان حال السياسة المترفة البطرة مع آل محمد . .

هي تريد ترسيخ حكم فرعوني يرثه الخَلَفُ عن السلف . . (١١٩) .

وبدا لها أن هذا الحكم غَيْرُ متيسِّرٍ لها إلاّ بجعـل دنيا مُلكهـا مقفرة من قدسيَّة أهل البيت ومناقبهم القرآنية .

---

(١١٩) يقـول الـدكتـور طـه حسين في كتـابـه « الفتنـة الكبـرى عليٌّ وبنـوه » صفحة ١٩٦ ـ تحت عنـوان (٤٦) : إنّ أمر الخـلافة ليس ملكـاً خاصّـاً للخليفة ، وإنّمـا هو ملك عـامٌّ لجمـاعـة المسلمين .

ويقـول في الصفحة ٢٢٦ ـ تحت عنـوان (٥٢) « وكذلـك اسْتَقَرَّ في الإسـلام لأول مـرة هـذا الملك الـذي يقوم على البـأس ، والبطش ، والخـوف ، والـذي يـرثـه الأبنـاء عن الآبـاء ، وأصبحتِ الأمَّةُ كأنّها ملك لصاحب السلطان ينقله إلى مَنْ أَحَبَّ من أبنائه ، كما ينقل إليه ما يملك من سـائل المال وجامده » .

ويقول في الصفحة ٢٢٧ : «تَحَدَّثَ البلاذري عن رواته أنّ سعد بن أبي وقاص رحمه الله دخـل على معاوية فقال : السلام عليك أيّها الملك . فضحك معاويةُ وقال : مـا كان عليـك يا أبـا اسحق رحمك الله لو قلت : يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أتقولهـا جذلان ضـاحكاً ؟؟ والله مـا أحِبُّ أنّي وُلِّيتُها بما وُلِّيتَها به » أهـ ـ فراجع ـ .

ويرى الصالحون من العلماء ما تصرفه سياسة (الحكم المطلق) من حِقْدٍ أَرْعَنَ عنيد لتغطّي بظلمات مطامحها واستكبارها أنوار الأئمة من أهل بيت النبوة والرسالة.

فيألمون . . .

يذهلـــون . . .

يبكـــون . . .

كيف تجرؤ السياسة الظالمة على مناصبة عليٍّ بن أبي طالب العداوة وقد « روى الناس كافَّةً أنّ رسول الله قال لعلي : « هذا وليّي وأنا وليُّهُ ، عاديتُ مَنْ عاداه ، وسالمتُ مَنْ سالمه » أو نحو هذا اللفظ ؟ .

كيف يفعلون ما يفعلون ، وهم يرون نبيَّ الهدى والرحمة يقول له : « عدوك عدوي ، وعدوي عدو الله عز وجل » أهـ[١٢٠] ؟ .

كيف يتطاولون على مقام علي ، وقد جاء رَجُلٌ من همدان يقال له بُرد يسأل عمرو بن العاص ، فيقول له : يا عمرو !! إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله (ص) يقول : « مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه » فَحَقٌّ ذلك أم باطل ؟؟ .

فقال عمرو : حَقٌّ . وأنا أزيدك ، إنّه ليس أَحَدٌ من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي . . . الخبر . . .[١٢١] .

---

(١٢٠) راجع : أ ـ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ـ الجزء الرابع ـ صفحة ١٠٧ ـ تحت عنوان (فصل في ذكر المنحرفين عن علي) .

ب ـ ابن المغازلي : المناقب صفحة ١٠٣ ـ الحديث ١٤٥ .

ج ـ القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٤ ـ نقلاً عن ابن عساكر .

د ـ المحب الطبري شيخ الشافعية : ذخائر العقبى صفحة ٦٥ (ذكر أنّه من آذى عليّاً فقد آذى النبي . . .) والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة جداً .

(١٢١) راجع : أ ـ ابن قتيبة : تاريخ الخلفاء (الإمامة والسياسة) ـ الجزء الأول صفحة ١٠٩ =

وهـذا الأصبغ بن نبـاتة يقـول : واجَهْتُ أبا هـريرة وقلت لـه : « يا صـاحب رسـول الله ، إنّي أُحَلِّفُـكَ بـالـذي لا إلـه إلاّ هـو عـالـم الغيب والشهـادة ، وبحَقِّ حَبيبـه المصْـطَفى عليـه وآلـه السـلام إلاّ أخبـرتَني : أشَهِدْتَ يوم غدير خم ؟؟ .

قال : بلى شهدته .

قلت : فما سَمِعْتَهُ يقول في علي ؟؟ .

قال سَمِعْتُهُ يقـول : « مَنْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مـولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

فقلت له : فإذاً أنت والَيْتَ عَدوَّهُ ، وَعادَيْتَ وَليَّهُ .

فَتَنَفَّسَ أبـو هـريـرة الصعـداء وقـال : إنّـا لله ، وإنّـا إليـه راجعون » أهـ[١٢٢] .

ـ طبعة ثالثة سنة ١٤٠١ هـ=١٩٨١ م . طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت .

ب ـ عبـد الفتـاح عبـد المقصـود : الإمـام علي بن أبي طـالب ـ الجـزء الأول صفحة ٦٦و٦٧ منشورات مكتبة العرفان بيروت » تحت الرقم (١٤) .

ج ـ ابن عبـد ربّه (مـالكي المذهب) : العقـد الفريـد ـ المجلد الثـالث ـ الجـزء الخـامس صفحة ٥٨ ـ طبـع سنة ١٣٧٢ هـ=١٩٥٣ م . تحقيق : محمـد سعيـد العـريـان المصـري . تحت عنـوان (فـضـائـل علي بـن أبي طالب . . .) .

د ـ تقي الدين المقريزي : الخطط المقريزية ـ المجلد الثاني صفحة ٢٢٠ ـ نقلاً عن المسند الكبير للإمام أحمد بن حنبل ـ منشـورات : دار إحياء العلوم ـ مطبعة الساحل الجنوبي ـ الشياح ـ بيروت .

هـ ـ د . طه حسين : الفتنة الكبرى عليٌّ وبنوه صفحة ٧٨ ـ تحت عنوان (٢١) .

(١٢٢) راجع : أ ـ أخطب خـوارزم : المناقب المـذكور صفحة ١٣٤و ١٣٥ ـ الفصل الثـالث في بيان قتال أهل الشام أيام صفين .

ب ـ أبو الحسين عبد الوهاب الكـلابي : المسند ـ صفحة ٤٤٣ و٤٤٤ مطبـوع في آخـر كتاب المنـاقب لابن المغازلي ، واقـرأ في الهامش : « إنّ أبـا هريـرة دخل المسجد ، فـاجتمع إليـه الناس فقـام إليه شابٌّ فقال : « أنشـدك الله سمعت رسول الله يقول : من كنت مـولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ من مـوالاه=

كيف يُبْغَضُ علي ، وقد قال رجل لسلمان : ما أشَدَّ حُبَّكَ لعلي !! .

قال : سَمِعْتُ رسول الله يقول : « مَنْ أَحَبَّ عليّاً فقد أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغض عليّاً فقد أبغضني » أهـ(١٢٣) .

كيف يُفْعَلُ ذلك بأهل البيت وهذه خطبة الرسول في حجة الوداع لا يزال روحها يعمر القلوب .. وَيَهزُّ المشاعر .. وَيُعَطِّرُ العواطف .

« أيّها الناس !!

إنّما المؤمنون إخوة ، ولا يحلّ لامريء مالُ أخيه إلّا عن طيب نفسٍ منه .

ألا هل بَلَّغْتُ ؟؟ .

اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فلا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا :

١ ـ كتابَ الله ..

= وعادِ من عاداه » ؟؟ .

فقال : أشهد سمعت رسول الله يقول : « من كُنْتُ مولاه فعلى مولاه . اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه .. » الحديث. أخذه مُحقق الكتاب عن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ، وأخرجه الهيثمي عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه .. وبعدأن أورد الحديث قال: رواه أبو يعلى ، وقال محقق الكتاب : أخرجه الحافظ الدمشقي في البداية والنهاية ـ الجزء الخامس ، صفحة ٢١٤ .

ج ـ ابن المغازلي : المناقب من صفحة ١٦ ـ ٢٧ ـ من الحديث (٢٣ ـ ٣٩) (باب) : قوله : من كنت مولاه فعليٌّ ...

د ـ الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الأول (الباب الرابع في حديث سفينة نوح ، وباب حطة بني إسرائيل ، وحديث الثقلين ، وحديث الغدير) من صفحة ٢٦ ـ ٣٩ .

(١٢٣) راجع : أخطب خوارزم : المناقب صفحة ٣٠ ـ (الفصل السادس في محبة الرسول لعلي) ـ وغيره ...

٢ ـ وَأَهْـل بَيْتي . .

أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ . اللَّهُمَّ اشْهَدْ . . الخطبة . .[١٢٤] .

لقد قَرَنَ (ص) بين كتاب الله وأهل بيته ، وَجَعَلَهُما وَحْدَةً لا تَتَجَزَّأ ، وأمر المسلمين بالتزام نهجهما الربَّاني المنزَّهِ عن الضلال . . .

إذاً فكيف يُعامَلُ أَهْلُ البيت (ع) هذه المعاملة الشريرة ؟؟ .

أليست الإساءةُ إليهم إساءةً مباشرةً لكتاب الله ما دام رسولُ الله قد نَصَّ على أنّهما صِنوان متلازمان لا يفترقان . . ؟؟ .

* * *

وأولئك الذين يضعون الأحاديث عن رسول الله ليغنموا رضى الحاكم الجائر طمعاً بعسل دنياه الأسود ـ هؤلاء ، هل نسوا أم تناسوا قول رسول الله : منْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ في النَّار » أهـ .

وما من ريب أنّهم يقرؤون قول الله سبحانه : ﴿ **لا تفتروا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ بعذابٍ وقد خاب من افترى** ﴾[١٢٥] .

وهم لا يجهلون أنّ الافتراء على رسول الله افتراءٌ على الله عَزَّ وَجَلَّ ؛ فما لهم عن الحُسْنى معرضون ؟؟ .

تلك كانت خواطر الصالحين من أرباب العلم . . والفكر . . على امتداد عصور التاريخ الإسلامي . .

كانوا يرون سياسة (الحكم المطلق) شرّاً مستطيراً يغزو

---

(١٢٤) ابن عبد ربه المالكي المذهب : العقد الفريد ـ المجلد الثاني ـ الجزء الرابع ـ صفحة ١٢٤ ـ تحت عنوان « خطبة الرسول في حجة الوداع » إصدار المكتبة التجاريّة الكبرى طبع سنة ١٣٧٢ هـ =١٩٥٣ م ـ تحقيق : محمد سعيد العريان المصري .

(١٢٥) سورة طه : ٦١ .

المجتمع . . ويوقد في قلوب أبنائه نار الغضب الممزوج بالأسى ، ولكن ، ماذا يفعلون ؟؟ .

هل يستطيعون أن يرفعوا أصواتهم ويقولوا للسياسة العابثة . . . المستهترة . . هذا منكر لا يرضاه الله ورسوله . . ؟؟

قلبوا الأمر ظَهْراً لبطْنٍ . . فرأوا أنّهم عاجزون عن الكلام خوفاً من حراب السياسة المصقولة بدماء الأبرياء . . . فاعتمدوا وسيلةً وجدوا فيها رضوان الله ورسوله . . .

ورأوا فيها لأهل بيت نبيّهم صادق حُبٍّ . . وناضر وفاء . . .

فأخذ السابقون منهم واللاحقون يُدوِّنونَ فضائل أهل البيت في مؤلفاتهم . . فمنهم مَنْ أفرد لذلك كُتُباً خاصة . . ومنهم مَنْ ذكرها فيما أَلَّفَ من كُتُب الحديث . . أو السيرة . . أو التاريخ . . في أبواب مُعَيَّنة . .

وقد فعلوا ذلك لتحقيق ثلاثة أمور :

١ ـ ليرضوا ربّهم ونبيّهم . . .

٢ ـ ليُنْصفوا أَهْل البيت من الظُّلم الذي تَجَرَّعوا غُصَصَهُ حَنْظَلاً صافياً . . وكيلا ينساهم الناس . . .

٣ ـ لتبقى مناقبُ أهل البيت وسيرتهم رحيقاً يُبْهِجُ الروحَ . . . وَيُورِّدُ العافية . . . ويسعد المجتمع . . .

وأنت حين تقرأ المقدمات التي افتتحوا بها كتبهم يتجلّى لك بهاء الحقائق التي ذكرناها ؛ هذا أحمد بن علي المقريزي الشافعي المذهب ، وأشهر مؤرخي مصر الإسلامية يقول في مقدمة كتابه « فضل آل البيت » :

« الحمد لله حَقَّ حمده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وآله وصحبه ، وأتباعه وجنده .

وبعـد ؛ فإنّي لمـا رأيتُ أكثر النـاس في حَقِّ آل البيت مقصِّرين ، وَعَمَّـا لَهُمْ من الحقِّ مُعــرضين ، ولمقــدارهم مُضَيِّعينَ ، وبمكــانتـهم جـاهلين ، أَحْبَبْتُ أن أقيد في ذلـك نُبْـذَةً تـدل على عـظيم مقـدارهم ، وتُرشد المتقي لله تعالى على جليل أقدارهم ، ليقفَ عند حده ، وَيُصَدِّقَ بما وعدهم الله ، وَمَنَّ به عليهم من صادق وعده .

والله سبحانه أسأل الهدايـة ، وأعوذ بـه من الضلال والغـواية ، إنّـه قريبٌ مجيب » أهـ[١٢٦] .

إنّنـا نرى المقـريزي يعجب كيف يتنكـر النـاس لأهـل البيت ، ولا يـولونهم مـا هم جديـرون به من : حب ، واحتـرام ، وإجلال . . . وهـو فيما كتبه لم يخرج عن هذا الأفق الذي تطلع إليـه في المقدمـة . . . فقد أورد آياتٍ قرآنيَّة آثَرَ الله بهـا أهل البيت على غيـرهم . . وأحاديث نبـويَّة مُتَّفَقاً عليها رفعتهم على أجنحة الفضائل الرحمانيَّة إلى السماك الأعلى، وكيف لا يكـونون كـذلك وهم الـذين أذهب الله عنهم الـرجس وطهـرهم تطهيرا ؟ .

ومع أنّه كان معتدلاً فيما كتبه فقد اتَّهَمَهُ جنود (سياسة القهر) بـأنّه تَشَيَّعَ . . .

هـذه التهمة كـانت وما تـزال تُـوجَّـه لكـل مُفكـر يُنصِفُ أهـل بيت النبوة . . .

حتى لكــأنَّ التشيُّـعَ = حب علي = جـريمـة . . بينمــا هــو إسُّ الإسلام . . . ورأسُ كل فضيلة . . . وعنوان كل محمدة . . . .

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبـد المقصود في كتـابه (الإمـام علي بن أبي طـالب ـ الجـزء الـرابـع) عن علي (ع) : « ذات مـرة أَحْكَمَ وَصْفَ

---

(١٢٦) راجع : المقريزي : فضل آل البيت ـ صفحة ١٧ ـ طبع دار الاعتصـام ـ مصر ـ طبعـة ثانيـة سنة ١٣٩٣ هـ =١٩٧٣ تحقيق وتعليق : محمد أحمد عاشور .

عواطفِ الناس نحوه فقال : « لو ضَرَبْتُ خيشومَ المؤمِن بسيفي هذا على أن يُبْغضني ما أَبْغَضَني ، ولو صَبَبْتُ الدنيا بجَمَّاتها على المنافق على أن يُحبَّني ما أَحبَّني ، وذلك أنّه قُضِيَ فانْقَضَى على لسان النبيِّ الأميِّ أنّه قال : « يا عليُّ لا يُبْغِضُكَ مؤمن ، ولا يُحبُّكَ مُنافقٌ » .

ويُعَقِّبُ على كلمات الإمام فيقول : « فَصَدَقَتْ قَوْلَتُه بِصِدْقِ ما سَبَقَها من نُبوءَةِ الرسول » أهـ(١٢٧) .

ومن أَصْدَقُ من رسول الله قيلا . . . ؟؟ .

والمقريزي رمى فيما كتب إلى إظهار حبّه لأهل البيت . . . وَحَضٍّ الناس على ولايتهم . . . وبالتالي إقامة روابط روحيَّة بين عامَّة المسلمين وأهل بيت نبيّهم ، فالنبي (ص) ما سأل المسلمين شيئاً إلاّ المودّة في القربى(١٢٨) .

يقول مُحَقِّقُ كتاب المقريزي الأستاذ محمد أحمد عاشور الكاتب المصري المعاصر في توضيح فكرة المقريزي وولائه لأهل البيت : « والذي لا شَكَّ فيه أنّ ميول المقريزي إلى أهل البيت كانت واضحةً ، ولكنها لم تُخْرِجهُ عن النصَفَةِ والعدالة ، وهو يَعْرِضُ لقضيَّةٍ من قضاياهم الكثيرة ، فإنّه لم يَبْنِ حُكْماً أَبْرَمَهُ في شيء من ذلك إلاّ على أساسٍ من قوانين العلم ، وأدلّة المنطق » أهـ .

ثم يتكلم عن قيمة الكتاب فيقول : « وبعد : فإنّ هذا الكتاب دليلٌ واضحٌ على تمتع المقريزي بعقليَّةٍ علميَّة مُنظَّمَةٍ استطاعت أَنْ تَجْمَعَ كميَّةً من الشُّعاعات المتفرقة هنا وهناك ، وأن يُكوِّنَ منها في براعةٍ

---

(١٢٧) راجع : أ ـ عبد الفتاح عبد المقصود : المجموعة الكاملة ، الإمام علي بن أبي طالب ـ الجزء الرابع ، الصفحة ٣ ـ تحت عنوان (١) منشورات مكتبة العرفان ـ بيروت .
ب ـ نهج البلاغة ـ الجزء الرابع ، صفحة ١٣ ـ مطبعة كرم ـ دمشق .

(١٢٨) يقول تعالى في الآية ٢٣ من سورة الشورى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجْراً إلاّ المودَّةَ في القُربى . . . ﴾ .

واستيعاب حزمةً من الضوء بهرت منّا الأبصار » أهـ[١٢٩] .

وأمّا عن اتّهامه بالتشيُّع ، فإنّ الأستاذ عاشور ينفيه عنه بقوله : « لكنّنا لدينا من النصوص والأدلة ما ينفي عن المقريزي صِبْغَةَ التشيُّع ، وما يُثْبِتُ أنّه صَدَرَ في حُبِّه لآلِ بيت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلّم عن عاطِفَةٍ صادِقَةٍ شأن كل مُسلم مُتَحَوِّطٍ لدينه ، لأنَّ حُبَّهُمْ نابعٌ من حُبِّ الرسول لهم . . . الخ » أهـ[١٣٠] .

* * *

وهذا مفكر إسلامي رفيع المستوى حنفي المذهب ، نقشبندي الطريقة هو : الشيخ سليمان القندوزي يؤلّف كتاباً من ثلاثة أجزاء ويُسَمِّيه « ينابيع المودة » يجمع فيه من فضائل أهل البيت ـ وخصوصاً الإمام علي ـ ما صَحَّ ثبوته عن الله ورسوله .

وهو في افتتاحيَّة الكتاب يَطْلُعُ على القارىء بآيتي : المودَّةِ والتَّطْهير وَيُعَلِّقُ عليهما . . . ثم يقدم كشفاً بأسماء أعلام المحدثين الذين ألفّوا كُتُباً خَصّوا بها عليّاً وأهل البيت ، . . وفي آخر الافتتاحية يُعلمنا أنّه قام بتأليف كتابه « طلباً لرضى الله ، وشفاعة رسوله ، وشفاعة أهل بيته ، وليكون معهم في جنات عدن بحديث : « المرء مع مَنْ أَحَبَّ » .

وخير ما نفعله هو : أن ننقل إليك من الافتتاحيَّة ما يَمُتُّ إلى موضوعنا بالسَّبب الأقوى .

قال : « إنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه لحبيبه ﴿ **قل لا أسألكم عليه أَجْراً إلّا المودَّةَ في القُربى ، ومن يقترفْ حَسَنَةً نَزِدْ له فيها حسْناً إنّ الله غفور شكور** ﴾ .

---

(١٢٩) راجع الصفحة ١٣ من الكتاب (فضل آل البيت ، أو : معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم) .

(١٣٠) راجع الصفحة ١٢ ـ من الكتاب المذكور « فضل آل البيت . . » .

وقال جَلَّ جلاله ، وتعالت آلاؤه : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ .

ثم يُظهِرُ لنا بإيجاز المعاني الرصينة النبيلة التي تندمج عليها الآيتان الكريمتان فيقول : « أَوْجَبَ الله مَوَدَّة قُربى نَبيِّه وأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وعليهم على جميع المسلمين ، وأنّه تعالى أراد تطهيرهم تطهيراً كاملاً ، لأنّه ابتدأ بكلمة : إنّما التي هي مفيدةٌ لانحصار إرادته تعالى على تطهيرهم ، وأكّدَ بالمفعول المطلق ، ولما كانت مَوَدَّتُهم على طريق التحقيق والبصيرة موقوفةً على معرفة فضائلهم ومناقبهم ، وهي موقوفةٌ على مُطالَعة كُتُب التفاسير ، والأحاديث التي هي المعتمد بين أهل السُّنَّة والجماعة ، وهي الكتبُ الصحاح السِّتَّة من : البخاري ، ومسلم ، والنَّسائي ، والترمذي ، وأبي داؤود باتّفاق المحدثين المتأخرين ، وأمّا السادس من الصحاح ، فابنُ ماجة ، أو الدارقطني ، أو الموطَّأ فبالاختلاف ، فجمع مناقب أهل البيت كثيرٌ من المحدثين ، وَألَّفوها كُتُباً مفردة منهم : أحمد بن حنبل ، والنَّسائي وسَمَّياه : المناقب .

ومنهم : أبو نُعيم الحافظ الأصفهاني ، وسماه الفرقان بنزول القرآن في مناقب أهل البيت .

ومنهم : الشيخ محمد بن إبراهيم الجويني الحمويني الشافعي الخراساني ، وسمَّاه فرائد السمطين في فضائل المرتضى والزهراء والسِّبطين .

ومنهم : علي بن عمر الدارقطني ، سَمَّاه مسند فاطمة .

ومنهم : أبو المؤيَّد موفَّق بن أحمد أخطب خطباء خُوارزم الحنفي سَمَّاه : فضائل أهل البيت (المناقب) .

ومنهم : علي بن محمد الخطيب الفقيه الشافعي المعروف بابن المغازلي سَمَّاه المناقب (مناقب الإمام علي بن أبي طالب) .

ومنهم : علي بن أحمد المالكي سَمَّاه : الفصول المهمة ، رحمهم الله .

وهؤلاء أخذوا الأحاديث عن مشايخهم بالسياحة والأسفار ، وبالجد ، والجهد في طلب الحديث من أهل القُرى والأمصار ، فكتبوا في كتبهم أسناد الحديث إلى الصحابي السامع الراوي بقولهم : حَدَّثنا ، أو أخبرنا فُلان ، مِثْلُ أَصْحاب الصِّحاح السِّتَّة .

ومنهم من جمع فضائل أهل البيت في كتاب مُفرد وسمَّاه المناقب ، ولكن لم يَظْهر اسْمُ المؤلِّف .

ومنهم من جمعها ، وكتب فيها كتاباً مفرداً آخِذاً عن كتب المفسرين والمحدثين المتقدمين ، كصاحب جواهر العقدين وهو : الشريف العلامة السَّمْهودي المصري ، رَفَعَ الله درجاته ، وَوَهَبَ لنا بركاته .

وصاحب ذخائر العُقبى ؛ وصاحب مودة القُربى ، وهو جامع الأنساب الثلاثة : مير سَيِّد علي بن شهاب الهمداني ، قَدَّسَ الله سرَّه ، ووهب لنا بركاته وفتوحه .

ومنهم من ذكر فضائلهم في كتبه من غير إفراد كتاب لها كصاحب الصواعق المحرقة وهو : المحدث الفقيه الفاضل الشيخ ابن حجر الهيثمي الشافعي ، الثقة ،والمعتمد بين علماء الشافعيَّة .

وصاحب كتاب « الإصابة » ، وهو الشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمهما الله .

وصاحب كتاب : جمع الفوائد الذي جمع فيه من الكتابين الكبيرين ـ أحدهما جامع الأصول الذي جمع فيه ما في الصِّحاح الستة للشيخ الحافظ : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الأثير الجزري الموصلي .

وثانيهما كتاب : مجمع الزوائد للحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي جمع فيه ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وأبي يعلى الموصلي ، وأبي بكر البزَّار ، ومعاجم الطبراني الثلاثة .

وصاحب كنوز الدقائق وهو الشيخ عبد الرؤوف المناوي المصري .

وصاحب الجامع وهو الشيخ جلال الدين السيوطي المصري .

ومنهم من جمع الأحاديث الواردة في قيام المهدي عليه الصلاة والسلام كعليٍّ القارىء الخُراساني الهروي وغيره » .

ثم يُعَرفنا هُوَّيَتَهُ الشَّخْصيَّة فيقول : « فالمؤلف الفقير إلى الله المنَّان سُليمان بن إبراهيم المعروف بخواجه كلَّان ابن محمد المعروف المشتهر ببابا خواجه ابن إبراهيم ابن محمد معروف ابن الشيخ السَّيِّد ترسون الباقي الحسيني البلخي القندوزي غفر الله لي ولهم ولآبائهم وأمهاتهم ولمن وَلَدوا بلطفه ومَنِّه أَلَّفَ هذا الكتاب آخِذاً من هذه الكتب المذكورة ، ومن كُتُب علماء الحروف مُلْتَجئاً إلى الله ، وَمُسْتَعِيذاً به من التعصُّب والجَهْل المركَّب ، وكَتْم الحَقِّ ، وإنكار الصِّدْق ، وإظهار الباطل ، وقبول ما لا طائل تحته ، وسائلاً متضرعاً ، مُلْتَجِئاً إلى الله الهادي أنّ يُلْهِمَنا الحقَّ والصِّدْقَ ، وَيَهَبَ لنا البصيرةَ والرُّشْد ، وَيَهْدينا صراطَه المستقيم بفضله العظيم ، وَمَنِّهِ العميم .

« اللهم أرِنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وَأَرِنا الباطل باطِلاً وارزقنا اجتنابَهُ ، يا مجيب ، يا قريب ؛ آمين ، يا رب العالمين بعزّ ذاتك ، وجميل صفاتك ، وباسمك الأعظم ، ورسولك الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، وسماه « ينابيع المودة » لذي القُرْبى ، وهم أهل العَبا ، ووسائل السعادة العُظْمى ، ومعادن البركات الكبرى ، طلباً لرضاء الله ، وشفاعة رسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، وشفاعة أهل

بيته ، وليكون معهم في جنّات عدن بحديث : « المرء مع مَنْ أحب » ، فالله تبارك وتعالى أكرم المسؤولين ، وأجود الجوادين ، وأرحم الراحمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ، ونعم النصير ، وَرَتَّبْتُهُ على مُقَدِّمَةٍ وأبواب » أهـ[١٣١] .

* * *

وهذا عالم آخر هو : الشيخ محمد الصبّان المصري الشافعي المذهب ، يتحدث إلينا في كتابه (إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى) عن الإمام علي بن أبي طالب ، وعن الأحاديث النبويَّة التي أبرزته بروزاً مُشْرِقاً بالضياء . . وجعلته فرداً بمحاسن لم يُشاركه فيها أَحَدٌ من الصحابة .

ثم يؤكّد لنا ـ فيما يرويه ـ أنّ الله أمر رسوله أن يُسْبغَ على عليٍّ ما يَليقُ به من جليل المناقب القرآنيَّة ليتدبَّرَ الجيل الصاعد والأجيال القادمة معاني ما طَيَّبَ الله ورسوله به عليّاً من آيات وأحاديث ، فيسلكون سبيله ، ويُخلصون له بالولاية ، وَيَلْزمونَهُ ،لأنّه مع « القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض »[١٣٢] .

ثم يرفع لنا النقاب عن الأسباب التي جَعَلَتْ أساتذة الحديث يسارعون إلى تدوين مناقب عليٍّ في كتبهم ، فإذا هي الصدقُ في الإخلاص للإسلام والمسلمين . . . وإذا هي الانتصار للحقِّ الذي يدور مع علي وأهل بيته صلوات الله عليهم .

والآن ، هَلُمَّ نَقرَأ معاً كلماته ؛ قال : « وفضائله (أي علي) كثيرةٌ شهيرةٌ حتى قال أحمد : ما جاء لأَحَد من الفضائل ما جاء لعلي » .

« وقال اسماعيلُ القاضي والنَّسائي ، وأبو علي النيسابوري : لم

---

(١٣١) راجع الافتتاحية من صفحة ٣ ـ٤ .

(١٣٢) الكلمات التي بين قوسين للرسول ، وقد تقدم الإشارة إلى مصادر الحديث .

يَرِدْ في حَقِّ أَحَدٍ من الصحابةُ بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي » .

« قال بَعْضُ أهل البيت : سَبَبُ ذلك ـ والله أعلم ـ أَنَّ الله تعالى أَطْلَعَ نَبيَّه على ما يكون بعده مما ابْتُليَ به علي ، وما وَقَعَ من الاختلاف لما آل إليه أمْرُ الخلافة ، فاقتضى ذلك نُصْحُ الأُمَّة بإشهار تلك الفضائل ، ليتمسَّكَ به مَنْ بَلَغَتْهُ فينجو ؛ ثمّ لمَّا وَقَعَ ذلك الاختلافُ والخروج عليه ـ نَشَر تلك الفضائل من سَمِعَها من الصَّحابة ، وَبَثَّها نُصْحاً للأُمَّةِ أيضاً . . . ثم لما اشْتَدَّ الخَطْبُ ، واشْتَغَلَتْ طائِفَةٌ من بني أُميَّةِ بتنقيصه وَسَبِّهِ على المنابر ، ووافقهم الخوارج لعنهم الله تعالى ، بل قالوا : بكفرِهِ ، اشْتَغَلَتْ جَهابِذَةُ الحُفَّاظ من أَهْل السُّنَّةِ بِبَثِّ فضائله حتى شاعَتْ نُصْحاً للأمة ، ونُصْرَةً للحق » أهـ[١٣٣] .



(١٣٣) راجع ؛ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين ـ مطبوع بهامش نور الأبصار ، صفحة ١٦٤ و١٦٥ ، تحت عنوان : الباب الثالث في الكلام على جماعةٍ من أهل البيت . ـ طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

الفصــــل التاســع

تحقيق علميّ بشأن الأئمة الإثنى عشر . . .

لمحـات عن الأئمة . . .

ذلك كان مـوقف جهابـذة الحديث ، وأعـلام الفكر الإسـلامي من أهل البيت صلوات الله عليهم .

لقـد كـانـوا مُـطْبقينَ على رَبْط قلوبهم وعقـولهم بهم على امتـداد العصـور إمـامـاً بعـد إمـام وعلى رأسهم الإمـام الأكبـر علي بن أبي طـالب (ع) ، رغم تشـدد (الحكم المـطلق) في بغضهم وتنفيـر النـاس منهم . . .

ورغم جَدِّه في إنزال العِقـاب فيمن يواليهم . . أو يـروي فضائلهم المحمديَّة . . الهاشميَّة . . .

ولقـد كثـرت الكتب التـي أُلِّفَـتْ في مـنـاقبـهم . . . ومـعـطار شمائلهم . . وجليل علومهم حتى أَرْبَتْ على السبعين كتاباً[١٣٤] .

ولا نجـد أحداً من رجـال الفكر ـ فقيهـاً كان أو عـالمـاً أو أديبـاً ؛ تـرجم لأعلام العلمـاء ، إلاّ ونراه قـد تَرْجَمَ لـلأئمـة الاثني عشـر من آل محمـد ، وَخَلَعَ عليهم أبْهَى حُلَلِ الثناء ، وأظهـرهم على حقيقتهم قمماً

---

(١٣٤) راجـع مقدمـة كتاب (أخـطب خوارزم) : المنـاقب ، طبـع سنـة (١٣٨٥ هـ) فقـد سَمَّى الكتب ومؤلفيها بالدقة التامة .

من الضياء الباهر في : الأخلاق . . . والعلوم . . والفضائل القرآنية . . والإنسانيَّة . . .

إنّهم ذريَّةُ رسول الله . . .

إنّهم أبناء أصحاب الكساء . . .

إنّهم أبناء أصحاب آية المباهلة . . .

إنّهم . . . وإنّهم . . وإنّهم . . .

ولمَّا وُجدَ من زبانية (الحكم الفردي المطلق) مَنْ يُشَكِّكُ في أنّهم هم الأئمة الاثنا عشر ، الذين تَحَدَّثَ عنهم رسول الله (ص) انبرى لهم المحققون من أَسَاطين الفِكْر يَرُدُّون عَلَيْهِم رَدّاً علميّاً يَعْصِفُ بظُلُماتِ الشَّكِّ ، ويُسْقِطُ افتراءاتهم . . .

إقْرَأْ متأنيّاً مُتَبصِّراً في الكلمات التاليات لأحَد العلماء المحقِّقِين ، قال : « إنَّ الأحاديث الدالّة على كَوْنِ الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر ، قد اشتهرت من طُرُق كثيرة ، فبشرح الزمان ، وتعريف الكون والمكان ، علم أنَّ مُرادَ رسول الله من حديثه هذا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لا يمكن أن يُحْمَلَ هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه ، لقلتهم عن : اثني عشر ، ولا يُمكنُ أن تحمله على الملوك الأمويَّة لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش إلَّا عمر بن عبد العزيز ، ولكونهم غير بني هاشم ، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه (وآله) وسَلَّمَ قال : « كُلُّهُمْ مِنْ بني هاشم ، في رواية عبد الملك ، عن جابر ، وإخفاء صوته (ص) في هذا القول يُرَجِّحُ هذه الرواية ، لأنّهم لا يُحسِّنون خلافة بني هاشم . . ولا يمكن أن تحمله على الملوك العباسيَّة لزيادتهم على العدد المذكور ، ولقلة رعايتهم آية : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجْراً إلّا المودة في القربى** ﴾ ، وحديث الكساء ، فلا بُدَّ أن يُحْمَلَ هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم ، وأجلّهم ، وأورعهم ، وأتقاهم ، وأعلاهم نَسَباً ، وأفضلهم حَسَباً ، وأكرمهم عند الله .

وكان علمهم عن آبائهم مُتَّصلاً بجدهم صلى الله عليه (وآله) وسلم ، وبالوراثة اللُّدُنيَّة ، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق ، وأهل الكشف والتوفيق » .

« ويُؤَيِّدُ هذا المعنى ـ أي أن مُرادَ النبي (ص) الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته ؛ وَيَشْهَدُ له ، وَيُرَجِّحُهُ حديثُ الثقلين ، والأحاديث المُتكرِّرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها .

« وأمّا قوله : كُلُّهُمْ يجتمع عليه الأُمَّة ، في رواية عن جابر بن سَمُرَة ، فَمُرادُهُ صلى الله عليه (وآله) وسلم أنّ الأمة تجتمع على الإقرار بإمامتهم كلّهم وقت ظهور قائمهم المهدي رضي الله عنه »أهـ[١٣٥] .

إنَّه رَدٌّ قاطع بلغ مُنتهى القوة ، سلك فيه هذا المحقق نهج الاستدلال المنطقي . . والتحليل . . والأمانة العلمية . . والتاريخية . . يزيده قوّة ما كتبه العلماء الذين ترجموا للأئمة الإثني عشر من أهل البيت صلوات الله عليهم .

وَيَحْسُنُ أن نُتحِفَكَ بلقطاتٍ خاطفات عن الأئمة التِّسْعَةِ من أبناء الحسين (ع) .

أمّا الإمامُ علي رأس الأئمة وولداه : الحسن والحسين فنكتفي بما تقدم من أقوال الله ورسوله والصحابة فيهم . . .

ويجب أن لا يغيب عنا أن الأئمة الاثني عشر من أهل البيت وَحْدَةٌ لا تتجزأ في : الطهارة . . . والعلم . . والتفوّق نفساً وكمالاً . . ألم يقل رسول الله (ص) : « كل نبيٍّ ذريتُه من صُلْبه وَذُرِّيتي من صُلْبِ علي بن أبي طالب » ؟؟ .

إنّهم من معدن جدّهم رسول الله مطهرون من الرجس بنص

---

(١٣٥) راجع الشيخ سليمان القندوزي : ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٠٥ و١٠٦ تحت عنوان (الباب السابع والسبعون) في تحقيق حديث « بعدي اثنا عشر خليفة » .

الرحمن الرحيم ، ولـذلك تـراهم نَسَقاً واحـداً رفيعاً فـريداً في الأخـلاق القـدوسية . . والشمـائل الـرحمانيـة . . والعلوم الـربـانيّـة . . والأعمـال الإنسانيَّة . . .

* * *

الإمام علي بن الحسين

فالإمام عليُّ بن الحسين (زين العـابدين) كـوكب يتوقـد ضياء في سماء الفضائل . . . إنّه خليفة أبيه الحسين (ع) .

يقول ابن حجر الهيثمي في الصواعق : « وزين العابدين هو الـذي خَلف أبـاه زهداً . . وعلمـاً . . وحُكي أنّـه كـان يصلي في اليـوم والليلة ألف ركعة . . وهو الذي قال فيه الفرزدق من قصيدة :

هـــذا ابن خيـــر عـبـــاد الله كلهـــم   هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم»[١٣٦]

وعرفه (منجد الأعلام) فقال : « علي بن الحسين رابع الأئمة عند الشيعـة ، ولد وتـوفي بالمـدينة ، يعتبـر المؤسس الثـاني للمـدرسـة في الإسلام ، تَمَيَّزَ بإنجازاته في تحريـر العبيد ، كمـا تَمَيَّزَ بـأدب الدعـاء ، أدعيته في الصحيفة السجادية » أهـ[١٣٧] .

وقال محمد بن اسحق : « كـان ناسٌ من أهـل المدينـة يعيشون لا يدرون من أين معاشُهم ومآكلهم ، فلما مـات علي بن الحسين فقدوا مـا كانوا يُؤتون به ليلاً إلى منازلهم » .

وكان يحمل جرابَ الخبز على ظهره في الليل ، يَتَصَدَّقُ به ، فلمـا غسلوه ، جعلوا ينظرون إلى سوادٍ في ظهره ، فقيل : ما هذا ؟؟ .

فقال : كان يحمـل جراب الـدقيق ليلاً على ظهـره ، يُعطيـه فقراء أهل المدينة ، ولما مات (ع) وجدوه كان يَقُوتُ أَهْلَ مئة بيت » .

---

(١٣٦) راجع ابن حجر : الصواعق ـ صفحة ٢٠٠ ـ تحت عنوان (وزين العابدين) .

(١٣٧) راجع منجد الأعلام : مادة علي . .

قال الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب « دُرَرُ الأصداف في مناقب الأشراف » : كان علي بن الحسين عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم ، كما أشار إلى ذلك في قوله رضي الله عنه :

يا رب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاسْتَحَلَّ رجال صالحون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حسنا »[١٣٨]

وقال محمد بن طلحة الشافعي : « هذا زين العابدين ، قُدْوَةُ الزاهدين ، وسَيِّد المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمتُه تشهد له أنّه من سُلالة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وَسَمْتُهُ يُثبت مقام قربه من الله زُلفى ، ونفثاتُه تُسَجِّلُ بكثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها ، دَرَّت له أخلاف التقوى فتفوَّقها ، وأشرقتْ لديه أنوار التأييد ، فاهتدى بها ، وَأَلِفَتْهُ أورادُ العبادة فأنس بصحبتها ، وحالفته وظائف الطاعة فتحلَّى بحليتها ، طالما اتَّخَذ الليل مطيةً ركبها لقطع طريق الآخرة . وله الخوارقُ والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة ، وثبتَ بالآثار المتواترة ، وشهد له أنّه من ملوك الآخرة » أهـ[١٣٩] .

وقال أحمد فهمي محمد : « كان علي زين العابدين أفضل أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأفقههم ، وأورعهم ، وأعبدهم ، وأكرمهم ، وأحلمهم وأفصحهم لساناً ، وأكرمهم إحساناً ، يَتَحَدَّبُ على الفقراء ، ويعين الضعفاء ، إلى هيبة في النفوس ، وجلالةٍ في

---

(١٣٨) راجع : أ ـ الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار من صفحة ١٥٣ ـ ١٥٧ ـ تحت عنوان (فصل في مناقب ذكر سيدنا علي بن الحسين) .

ب ـ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين من صفحة ٢٣٦ ـ ٢٤١ ـ تحت عنوان (وأمّا السيد علي زين العابدين) مطبوع بهامش نور الأبصار .

(١٣٩) راجع : محمد بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول ـ صفحة ٧٧ .

القلوب . . . » أهـ[١٤٠] .

فأنت ترى أنّ الإمام علي بن الحسين = زين العابدين (ع) يجمع إلى عبادته ، . . وعلمه الباسق . . . وقداسته حبّاً عجباً للمستضعفين . . وَحَدْباً أسمى على : الأرقاء . . والمحرومين . . .

إنّه يشتري العبيد من حُرّ ماله ، ثم يعتقهم من رق العبودية . . .

يقول عبد العزيز سيد الأهل المصري : « فهو ـ أي الإمام زين العابدين ـ يشتري العبيد ، لا لحاجةٍ به إليهم ، ولكن ليعتقهم وقالوا : إنّه أَعْتَقَ مئة ألف » أهـ[١٤١] .

وهو يحمل الطعام كل يوم في كيس ، ويدور ليلاً على بيوت المحرومين ، يقدم لهم صدقة وهو مُلَثَّمٌ كيلا يعرفوه ، وعند وفاته رأوا أَثَرَ الحمل في ظهره . . وقد تبين بعد وفاته أنّه كان يطعم مئة أسرة .

إنّها إنسانيَّةُ الإسلام تجلّت بأبهى صورها في فرع مُضيء من فروع شجرة النُبوَّة والرسالة . . .

إنّها عبادة ما عرفت الأرض أنضر منها بهجةً . . ولا أنبل منها مقصداً . . ولا أصفى منها نوراً . . .

وحَقّاً إنّه « سَيِّدُ العَابدين » كما قال جدّه الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ، وقد أجمع أهل السير أنّه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة » .

* * *

الإمام محمد الباقر

ويجيء بعد زين العابدين ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام

---

(١٤٠) راجع : أحمد فهمي محمد المصري : كتابه ـ زين العابدين ـ صفحة ٤ .

(١٤١) راجع : عبد العزيز سيد الأهل الكاتب المصري : كتابه ، زين العابدين ـ صفحة ٧ .

وللرسول مع حفيده الباقر حكاية طريفة طريفة . . .
هذه الحكاية تتلخَّصُ في تحيةٍ كريمة مباركة . . .
يُكَلِّفُ الرسولُ بحملها جابر بن عبد الله الأنصاري . . .
أحد كبار الصَّحابة ، وذلك قبل انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى بأعوام . .
تحيَّةٌ صاغها الرسول من رَيْحان النبوة المعطار . .
ثم أهداها لابنه الباقر وساماً أخضر . .
ولسان حاله المقدس يقول للناس . .
اجعلوا من ولدي الباقر وِجْهَةً لأرواحكم . . .
ودعوها تَنْهَلْ من سلسبيل مَعينه رحيق الحياة الأبدية . . .
هيَّا ، رافقني إلى ابن حجر الهيثمي . . .
ودعنا نُصْغ إليه كي يُحدثنا عن مكانة الإمام الباقر . . .
وَيَزِفَّ إلينا نبأ تسليم الرسول على حفيده . . .
تَمَهَّلْ ، هوذا ينطق فيقول : « أبو جعفر محمد الباقر ، سُمِّي بذلك من بَقَرَ الأرضَ : أيْ شَقَّها ، وأثار مخبَّآتها وكوامنها ، فلذلك هو أظهر من مُخَبَّآت كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام ، والحكم ، واللطائف ، ما لا يخْفى إلاّ على مُنطمس البصيرة ، أو فاسد الطويَّة والسَّريرة، ومن ثَمَّ قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، صفا قلبه ، وزكا عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ ، وَطَهُرَتْ نَفْسُهُ ، وَشَرُفَ خُلُقُهُ ، وَعَمَرَتْ أوقاتهُ بطاعة الله ، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تَكِلُّ عنه ألسنَةُ الواصفين ، وله كلماتٌ في السُّلوكِ والمعارفِ ، لا تحتملها هذه العجالة » .

وبعد ما قَدَّمَ إلينا هذا التعريف الساحر بشخصية الباقر ، ينقل لنا نبأ التحيَّة التي عَبَقَ بها طِيبُ النبوة فيقول : « وكفاه شَرَفاً أنَّ ابن المديني

روى عن جابر أنّه قال له وهو صغير : رسول الله يُسَلِّمُ عليك .

فقيل له : وكيف ذاك ؟؟ .

قال : كنت جالساً عنده ، والحسينُ في حجره وهو يُداعبه ، فقال : يا جابر يولد له مولود اسمه علي ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : لَيَقُمْ سَيِّدُ العابدين ، فيقوم ولده (أي زين العابدين ابن الحسين) .

ثم يولد له ولد (أي لزين العابدين) اسمه : محمد ، فإن أدركْتَه يا جابر فاقرأه مني السلام » أهـ(١٤٢) .

أمّا أبو نعيم فيقول في الحِلْية عن الإمام الباقر : « ومنهم (أي من أئمة أهل البيت) : الحاضر ، الذاكر ، الخاشع الصابر ، أبو جعفر محمد بن علي الباقر ، **كان من سُلالة النبوة** ، ومن جمع حسب الدين والأبوة ، تكلم في العوارض والخطرات ، وسفح الدموع والعبرات ، ونهى عن المراء والخصومات . . »(١٤٣) .

ويصف شمس الدين محمد بن طولون الإمام الباقر في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) ، فيقول : « وخامسهم (أي خامس الأئمة) « محمد الباقر » وهو أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، الملقب : بالباقر ، وهو والد جعفر الصادق » .

كان الباقر ، عالماً ، سيِّداً ، كبيراً ، وإنّما قيل له : الباقر ، لأنّه تَبَقَّرَ في العلم - أي تَوَسَّعَ ، والتَّبَقُّر : التَّوسُّعُ ، وفيه يقول الشاعر :

---

(١٤٢) راجع : أ - ابن حجر : الصواعق المحرقة ، صفحة ٢٠١ - تحت عنوان (وإرثه منهم عبادة وعلماً وزهادة (أبو جعفر محمد الباقر) .
ب - محمد بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول صفحة ٨٠ و ٨١ .
ج - اليعقوبي : التاريخ - الجزء الثالث - صفحة ٦٣ .
د - الشبلنجي : نور الأبصار ، صفحة ١٥٧ .

(١٤٣) راجع : الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء - الجزء الثالث صفحة ١٨٠ .

يـا بـاقـر الـعلم لأهـل الـتُّـقى   وَخَيْـرَ مَنْ لبَّى على الأجبـل »[١٤٤]

ويُعطينا منجد الأعلام لمحةً عن نشاطه الثقافي ـ الاجتماعي ، ونشر العلم .. فيقول : « الباقر محمد بن علي زين العابدين الإمام الخامس للشيعة ، ولدَ وتوفِّيَ بالمدينة ، تابَعَ تَوْسيع مَدْرَسَةِ أبيه ، وتخريج العلماء فيها من كل الأقطار الإسلاميَّة »أهـ[١٤٥] .

وَهُوَ يَحُضُّ الناس على طلب العلم ، والاستزادة منه ... وَيُبَيِّنُ لهم محاسِنَه الباهرة .. وفضائله المنيرة ، .. وما يَجْلُبُهُ للنّاسِ من خير فيَّاضٍ يُحَوِّل جدب الكون إلى جنات وارفات الظِّلال يَرْغَدُ فيها الْعَيْشُ .. وَتَعْذُبُ الحياة ...

لِنَسْتَمِعْ إليه يخاطب الناس جيلاً فجيلاً : « تعلموا العلم ، فإنّ تَعَلُّمَهَ حَسَنَة وطلبَهُ عبادة ، والمذاكرةَ فيه تسبيحٌ ، والبحثَ عنه جهاد ، وتعليمَه صَدَقَة ، وبذْلَه لأهله قُربة ، والعلم ثمار الجنة ، وأُنْسٌ في الوحشة .. يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة ، وللناس أئمة يقتدى بفعالهم ، ويصلي عليهم كل رطبٍ ويابس ... »[١٤٦] .

ويرجو منه الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يوصيه ...

فماذا قال له ؟؟ .

لقد طلب منه أن يعتبر الناس أسرة واحدة ، وأنّه هو ربُّ هذه الأسرة .. والأب الصالح يعدل بين أهله .. ويسعى مُخلصاً لينضّر قلوبهم بعبير المحبة .. والتعاون .. والتراحم .. وبذلك تَقَر العيون .. وتطيب النفوس ... ويوجد المجتمع السَّمْحُ الكريم .. إليك عباراته

---

(١٤٤) راجع : أ ـ ابن طولون : الأئمة الاثنا عشر ، صفحة ٨١ ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، طبع صادر ـ بيروت .
ب ـ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين ـ صفحة ٢٥٠ .

(١٤٥) منجد الأعلام : دار المشرق ـ الطبعة الثالثة عشرة ـ صفحة ١١٣ .

(١٤٦) راجع : المجلسي : بحار الأنوار ـ الجزء السابع عشر ، صفحة ١٧ و١٨ .

فتمتع بمحاسنها . قال له : « أوصيك أن تتخذ صغير الناس ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، وَصِلْ أخاك ، وَبِرَّ أباك ، وإذا صَنَعْتَ معروفاً فَرَبِّهِ » ـ أي أَدِمْهُ »أهـ[١٤٧] .

والأئمة من أهل البيت ذروة الذروة في العبادة ، يَتَحَدَّثُ إلينا الإمام الصادق عن عبادة أبيه الباقر فيقول : « كان أبي كثيرَ الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يُحَدِّثُ القوم ولا يُشْغِلُهُ ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلاّ الله .

وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ، ومن كان لا يقرأ أَمَرَهُ بالذكر » أهـ .

وكان (ع) يصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة » أهـ[١٤٨] .

ونرى نَفْسَ الباقر تتوهج بأنوار الحنان على البائسين . . .

ونراه يتألَّقْ رقة وعطفاً على العبيد . . .

فيشتري منهم ـ مع عسره المرهق ـ ما يستطيع . . .

ليذيقهم حلاوة الحرية الإسلامية . . والكرامة الإنسانيَّة . .

يقول الصادق : « دَخَلْتُ على أبي يوماً ، وهو يتصدق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار ، وَأَعْتَقَ أهل بَيْتٍ بلغوا أحد عشر مملوكاً » أهـ[١٤٩] .

« وحكَتّ سلمى مولاة أبي جعفر ، أنّه كان يدخل عليه بعض

(١٤٧) علي دخيل : أئمتنا ـ الجزء الأول ، صفحة ٣٦٠ ـ تحت عنوان (وصاياه) .

(١٤٨) المصدر السابق صفحة ٣٤١ ـ تحت عنوان عبادته ـ نقلاً عن أعيان الشيعة ، وصفحة ٣٤٢ نقلاً عن المشرع الروي .

(١٤٩) راجع شيخ الإسلام محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ـ الجزء الحادي عشر ، صفحة ٨٦ .

إخوانه ، فلا يخرجون من عنده ، حتى يُطعمهم الطعام الطيِّب ، ويكسوهم في بعض الأحيان ، ويُعطيهم الدراهم .

« قالت : فكنت أكلِّمه في ذلك لكثرة عياله ، وتوسُّط حاله ، فيقول : يا سلمى !! ما حَسَنَةُ الدنيا إلّا صلة الإخوان والمعارف فكان يصل بالخمسمائة درهم ، والسِّتمائة إلى الألف » أهـ(١٥٠) .

ألا ما أصفاك روحاً ، وأنداك كفاً ، وأعظمَكَ خُلُقاً يا أبا جعفر !! .

تُمْسِكُ اللُّقْمَةَ عن أهل بيتك لتضعها قَطْرَةَ دم حارَّة في كبد فقير أَهْزَلَهُ البؤس . . .

أو كساءً يَسْتُر جَسَدَ مسكين عَرَّاهُ الحرمان . . .

إنّك من الذين خَصَّهم الله بقوله : ﴿ **وَيُؤثِرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَة** . . ﴾(١٥١) .

وإنّك كما قيل عنك : « لم يَظْهَرْ عن أَحَدٍ من وُلْدِ الحَسَن والحسين من علم الدين والسُّنَنِ ، وعلم القرآن والسير ، وفنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر .

روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، وسارت بذكر علومه الأخبار ، وأُنْشِدَتْ في مدائحه الأشعار ، فمن ذلك ما قاله ابن أمين الجهني من قصيدة يمدحه فيها :

إذا طلب الناسُ علم القرآ - نِ ، كانت قريشٌ عليه عيالا

(١٥٠) راجع : أ - الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار ، صفحة ١٥٩ .
ب - محمد بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول - الجزء الثاني - صفحة ٥٣ .
ج - ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة - صفحة ١٩٧ - وغيرهم . . وغيرهم . . .

(١٥١) سورة الحشر : الآية التاسعة .

وإن قيـل : أين ابْـنُ بِنْـتِ النَّبـ ـ ـيٍّ، نلت بذاك فروعاً طوالاً»(١٥٢)

نُـجُـومٌ تَـهَـلَّلُ لِـلْمُـدْلـجـ ـين، جبـالٌ تُـوَرِّثُ علمـاً جبـالا »

* * *

الإمـام الصـادق

ويستوي الإمام الصادق على مقعد الإمامة بعد وفاة والـده : محمد الباقر . .

وينظر في أوضاع المجتمع العربي ـ الإسلامي دارساً مُمحِّصاً . . .

فيتبين له أنّ سياسة (الحاكم الفرد) قد أبعدت جماهيـر المسلمين عن مفاهيم الإسلام . . . وروحانيته . . .

وأنّـه لا سبيـل إلى إحيـاء تلك المفـاهيم وتـطعيم النفـوس بهـا إلاّ بالعلم . . .

فوسَّعَ المدرسة العلميَّة التي أنشأها جده . . . ورعاها أبوه . . ودعا الناس إليها . . .

فأقبل طلاب العلم من كل فج عميق ينتسبون إليها . . وينهلون من ينـابيع سليـل النبوّة والـرسالـة شرابـاً طهورا . . . ونمـا عدد طـلابهـا . . وتصاعد في النمو حتى بلغ الأربعة آلاف . . .

وكم نكون ناعمي البال حينٍ نصغي إلى (منجد الأعـلام) يحدثنـا عن الصادق . . ومدرسته . . وحَضِهِ طلابه على التأليف . . .

فيقـول : « الصادق (جعفـر بن محمد البـاقر) ، الإمـام السـادس للشيعة ، وإليه يُنسَبُ المذهبُ الجعفري الشيعي ، وعليـه مُعْظم الشيعـة ولد وتوفي بالمدينة . كانت مَدْرسَتُهُ امتداداً لمدرسة أبيه الباقر ، ونجحت نجـاحاً كبيـراً في نشر الثقـافة الإسـلامية ، وبلغ عَـدَدُ المنتمين إليها في

---

(١٥٢) راجع : أ ـ الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار ، صفحة ١٥٨ .

ب ـ الشيخ المفيد : الإرشاد ـ صفحة ٢٦٢ ـ طبعة ثالثة ـ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

المدينة أربعة آلاف من كل الأقطار الإسلامية ، وكان لها فَرْعٌ كبيرٌ في الكوفة . . من أعظم إنجازات الصادق دَعْوَتُه للتأليف والتدوين ، وكان قبله قليل الحدوث ، وبلغ ما ألف تلاميذه أربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف »أهـ[١٥٣] .

ولكن ، ما هي العلوم التي برع فيها الصادق ، وكان فيها فَرْد عصره ، ومن نورها أفاض على طلابه ؟؟ .

هذا الشيخ محمد أبو زهرة أحد علماء الأزهر المعاصرين يتحدث إلينا عنها فيقول : « إنّ الإمام جعفر الصادق كان قوة فكريةً في هذا العصر ، لم يكتفِ بالدراسات الإسلاميَّة ، وعلوم القرآن ، والسُّنَّةِ ، والعقيدة ، بل اتَّجَهَ إلى دراسة الكون وأسراره ، ثم حَلَّقَ بعقله الجبار في سماء الأملاك ، ومدارات الشمس والقمر والنجوم ، ثم علم وحدانية الخالق من إبداع المخلوق ، ومن تَعَدُّد الأشكال والألوان .

وإنّه ، وإن كان قد دَرَسَ الكون وأصل الكون ، وخاضَ مع الفلاسفة الذين كانوا يشككون الناس في اعتقادهم ، مُتَتَبِّعينَ مَنْ سَبَقَهم من مشركي اليونان ـ قد عنيَ عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانية .

وإذا كان تاريخ الفلسفة يُقرر : أنَّ سُقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان ، فالإمام الصادق ، قد درس السماء والأرض والإنسان وشرائع الديّان ، ولدراسته للكون والإنسان فَهِمَ الأخلاقَ الإنسانيَّةَ على وجهها وما يقوّم الإنسان ، وما يهديه ، وفهم أثر الدين فيه ، وفهم الطبائع والغرائز وما يُهَذِّبُها . . . الخ »[١٥٤] .

---

(١٥٣) راجع : أ ـ المنجد في الأعلام : دار المشرق ش م م ، بيروت ـ الطبعة الثالثة عشرة ـ مادة ـ صادق .

ب ـ عبد الحليم الجندي مستشار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر : الإمام جعفر الصادق ـ صفحة ٢٠٧ ، طبع القاهرة (١٣٩٧ هـ) .

(١٥٤) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ـ صفحة ١٠١ و١٠٢ ـ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي .

ويقـول عن علمه في الـطب : « وللإمـام الصـادق آراءٌ في تكـوين الإنسان وطب الأجسام ، فلم يقتصر على طب الأرواح بكلامـه الحق بل تصـدَّى لطب الأجسـام ، وكما عـالج القلوب المنحـرفة ، عـالج الجسم المنحرف » أهـ[155] .

وَيَتَحـدَّثُ ثانيـة عن علمه فيقـول : « إنّ الإمام الصـادق كان مُلمّـاً بالعلوم الكونية . . والطبيعية » أهـ[156] .

ويعطينا صاحب كتاب : الإمام الصادق علم وعقيدة لمحات البـرق عن حياة الصادق العلمية . . وتأثيره في العلماء . . وخلقه المحمدي . . ومدرسته فيقول : « كانت حياة الإمام الصادق إشعاعاً لا ينقطع يصـوغ به العلماء ، ويشيع بـه حُبَّ المعرفـة ، كما كـانت حياتـه إشعاعـاً لا ينقطع يصوغ به الحبَّ سخاءً في اليد ، وسَعَـةً في الصدر ، ونُبْـلاً في النَّفْس ، ونَقَاءً في الضمير ، لقد أخرجت مـدرسته رجـالاً خالـدين كأبي حنيفـة ، وهو من تَعْلَمُ من بين صفوة الرجال » أهـ[157] .

ويقول : « وكان جعفـر الصادق من أولئـك الذين عـاش القرآنُ في نفوسهم ، وبدا في أقـوالهم وأعمالهم ، يمشي فيهم على قـدميه ويعمـل فيهم بيديه ، ويفكر فيهم بعقله » أهـ[158] .

ونرى الشيخ أبا زهرة يلوِّحُ لنـا بيده ويـطلب إلينا أن نعـود إليه مَـرَّةً أخرى . . .

ماذا يُريد منا عالم الأزهر الشريف ؟؟؟ .

ها . يبدو أنّه يود أن يقول لنا شيئاً آخر عن الإمام الصادق . . .

إذاً فَلْنَدْنُ منه . .

---

(١٥٥) المصدر السابق ـ صفحة ١٨٤ .

(١٥٦) المصدر السابق ـ صفحة ٢٥٠ .

(١٥٧) عثمان لاوند اللبناني : الإمام الصادق علم وعقيدة ـ صفحة ١٧ .

(١٥٨) المصدر السابق ـ صفحة ٢٣ .

هوذا يَهُمُّ بالكلام . .

بـل هوذا يَنْـطِقُ فيقول : « إنّ الإخـلاصَ من مثل الصـادق هـو من مَعْـدِنِهِ ، لأنَّـهُ من شَجَرَة النُّبـوَّةِ ، وإذا لم يكن الإخلاص غـالبَ أحـوال عِتْـرةِ الـنبـيِّ ، وأحـفـاد إمـام الـهـدى عـلي ، فـفـيـمـن يـكـون الإخلاص » ؟[159] .

ثم يقول : « أَضْفَى الله تعالى على جعفر الصادق جلالاً ونوراً من نوره لكثرة عبادته » أهـ[160] .

أمّا الدكتور عبد الرحمن الكيالي ـ الحلبي ، فيحكي لنا عن صفات الصادق النفسيَّة والأخلاقيَّة .

أمْعِن النظر في عباراته التي تقول: « وكان الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق نموذجاً كاملاً جامعاً لمحامـد الرسـول وآل بيته ، وَصَفْـوَةً لامعة لبنيه ، وأئمة أهل البيت من بعده ، وكلهم كـانوا يُمثلون حقـائق الإسلام ظاهراً وباطناً » أهـ[161] .

والأستاذ خير الدين الزركلي ـ الـدمشقي ـ صاحب الأعـلام يصف الصادق فيقول : « الإمام الصادق من أجلاَّء التابعين ، وله منزلةٌ رفيعة في العِلم ، أخـذ عنه جمـاعة ، منهم الإمـامان : أبـو حنيفة ومـالك ، وَلُقِّبَ بـالصـادق لأنـه لم يُعْـرَفْ عنـه الكـذب قط ، وكـان جـريئاً ، صَـدَّاعـاً بالحق » أهـ[162] .

---

(159) راجع : محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ، صفحة 76 و77 .

(160) المصدر السابق ، صفحة 85 .

(161) راجع : الدكتـور عبد الـرحمن الكيـالي الحنفي المـذهب : رسـالتـه في الإمـام الصـادق ـ صفحة 14 .

(162) راجع : أ ـ الزركلي : الأعـلام ـ المجلد الثاني ، صفحـة 126 ـ طبعة خامسة سنـة 1980 ـ دار العلم للملايين .

ب ـ الألوسي : التحفة الاثني عشرية ـ صفحة 8 .

ج ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد السادس ـ مادة ـ ج ـ .

علـم الكيميـاء

وهل تعلم أنّ للإمام الصادق جولاتٍ بكراً في علم الكيمياء ؟؟ .

وهل تعلم أنّ جابر بن حيان الكيمائي العربي المشهور كان تلميذ الصادق ولسانه الناطق في هذا العلم ؟؟؟ .

هذا الدكتور زكي نجيب محمود يقول في رَدِّ الزعم القائل بأن (جعفر) الوارد ذكره في رسائل جابر هو : جعفر البرمكي : « لكنَّ الشيعة تقول ـ وهو القول الراجح الصدق ـ إنّما عنى به جعفر الصادق .

ثم يُعَلِّقُ على كلماته « هو القول الراجح الصدق » فيقول : « ونقول : إنّه مرجح الصدق ، لأنّ جابراً شيعيٌّ ، فلا غرابة أن يَعْتَرِفَ لإمام شيعي » .

ثم يقول: «هذا إلى وفرة المصادر التي لا تتردد في أن جعفر المشار إليه في حياة جابر ونشأته هو : جعفر الصادق ، فيذكر حاجي خليفة جابراً مصحوباً بعبارة : « تلميذ جعفر الصادق »أهـ(١٦٣) .

ويقول الدكتور محمد يحيى الهاشمي ـ الحلبي : « إنَّ أهمية

= د ـ ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج ـ الجزء الأول ـ الصفحة ٦ طبع دار الفكر ـ بيروت سنة (١٩٥٤) .

هـ ـ عبد الرحمن بن محمد الحنفي البسطامي : مناهج التوسل ـ صفحة ١٠٦ .

و ـ نقيب حلب محمد حمزة بن زهرة : غاية الاختصار ـ صفحة ٦٢ .

ز ـ أبو زكريا الحافظ البغدادي : تهذيب الأسماء واللغات ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ يذكر أسماء الذين رووا عن الإمام الصادق .. وينتهي إلى القول : « قال عمرو بن المقدام : « وكنت إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمد علمت أنّه من سلالة النبيين » .

ح ـ محمد علي اسبر : سطور مضيئة عن الإمام الصادق من صفحة ١٩ ـ ٣٧ ـ طبع دار الأصالة ـ بيروت سنة (١٩٨٠) .

(١٦٣) راجع : أ ـ زكي نجيب محمود : جابر بن حيّان ـ أعلام العرب ـ ٣ ـ صفحة ١٧ ـ ١٨ ـ الناشر مكتبة مصر ـ ٣ (الفجالة) .

ب ـ عبد الحليم الجندي : الإمام الصادق ـ صفحة ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ مصدر سابق .

العلاقة بين الإمـام الصادق ، وبين جـابر بن حيّـان ، أو بالأحـرى علاقـة الإمام بالكيمياء هي عَلاقةٌ ذات شأن ، وهـا أنا أقـدم الطبعـة الثانيـة لهذا الكتـاب ، ليطّلع عليهـا قُرّاءُ العـربيّـة للتمعُّن والاعتبـار ، وهي من روح الإمام ، ومهداةً إلى روحه العظيمة » أهـ(١٦٤) .

ويقـول العـلامـة بـطرس البستـاني في دائـرة المعـارف : « وَلُقِّبَ بـالصادق لصـدقه في مقـالته ، وفضله عـظيم ، وله مقـالات في صناعـة الكيمياء » أهـ(١٦٥) .

ويقـول ابن خلكـان في معجمـه التـاريخي « وفيـات الأعيـان » : « وجعفر بن محمد أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإماميَّة ؛ كـان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي ـ الـطرسوسي ، قد ألَّفَ كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائـل جعفر الصـادق ـ أي في الكيمياء ـ وهي خمسمائة رسالة » أهـ(١٦٦)

وجاء في تعريف شمس الدين بن طولون الحنفي للإمـام الصادق : « أبو عبد الله جعفـر الصادق ، من سـادات أهل البيت ، وَلُقِّبَ بـالصادق لصـدقه في مقـالته ، وفضله أشهـر من أن يُذكـر ، وله كـلام في صناعـة الكيميـاء ، وكـان تلميـذه أبـو مـوسى جـابـر بن حيـان الصـوفي ـ الطرسوسي » أهـ(١٦٧) .

وتنقل دائرة المعارف الإسلامية عن جابر بن حيان : « ويقول جابـر

---

(١٦٤) راجع : محمد يحيى الهاشمي : الإمام جعفـر الصادق مُلهم الكيميـاء ـ صفحة ١٠ ـ طبعـة ثانية .

(١٦٥) راجع : بطرس البستاني : دائر المعارف ـ مادة جعفر ـ الجزء السادس ـ صفحة ٤٧٨ .

(١٦٦) راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٠٥ ـ (باب الجيم) .

(١٦٧) راجع : ابن طولون : الأئمة الاثنا عشر ـ صفحة ٨١ ـ ٨٣ ـ طبع بيروت سنة (١٣٧٧ هـ) . تحقيق : د . منجد .

إنّه تَلَقّى علومه من سَيّدِه جعفر الصادق ، ويردها جميعاً إلى أستاذه هذا الذي يُسَمّيه مَعْدِنَ الحكمة ، وَيُصَرِّحُ بأنّه لم يَبْقَ له ـ أي لجابر ـ إلّا جَمْعُها وترتيبها »[١٦٨] .

* * *

يبقى أن نعلم أنّ الصادق كان يجمع إلى علوم : الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والكونيّات ، والكيمياء ، والطب ، وفلسفة علم الكلام . . الخ .

هذه هي العلوم التي كان يُدَرِّسُها لطلاب العلم في مدرسته ـ الجامعة . . . ليقوموا بدورهم بنشرها بين أبناء الشعب ـ وبذلك ينهض المجتمع في معارج الرقي المدني والحضاري ، إلى أَجَلِّ مرتبةٍ يحلم بها الطموح الإنساني . . .

أقول : يبقى أن نعلم أنّه كان يجمع إلى تلك العلوم . . عاطفةً رحمانيةً يَتَوقَّدُ فيها نور الحب ، والحنان الأخضر على جماهير الضعفاء والمحرومين . .

ويتجلّى فيها ربيع الإنسانية الرحيمة بأمجد ، وأشهى ، وأقدس حُلله . . .

أُنْظُرْ إليه يَخْرُجْ من داره في ليلةٍ ظلماء ، وينطلِقْ في سِكَكِ المدينة المنورة . .

كان المطر يترشرشُ من السَّماء ناعماً وَقْعُهُ . . خَفيفاً ظِلُّه . . .

ويراه أحد أصحابه ماضياً في إحدى الطرق لا يَلْتفتُ يميناً ولا يَسَاراً . . .

---

(١٦٨) راجع : دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد السادس ـ صفحة ٢٣١ ـ مادة ـ جابر بن حيان .

فيوشوش لنفسه : إلى أين يمضي الإمام في هذه الليلة السوداء ؟؟ .

ويُسَدِّدُ بصره إليه . . وَيَدْلُكُ عينيه . . ويتساءل : ماذا أرى ؟؟ .

الإمام يحمل شيئاً ثقيلاً على ظهره يجعله وئيدَ الخُطى . . .

ما هذا الذي يحمله ، وَيُمْسِكُ به بكلتا يديه . . ؟؟ .

وَيَدبُّ وراءه . . .

وفجأةً يَسْمَعُ سُقوط جِسْم ثقيلٍ . . ويرى الصادق ينحني عليه ، وَيَسْمَعُهُ يقول : « اللهم رُدَّهُ علينا » فَيُسْرِعُ لنجدته ، وَيَبْدَهُهُ بالتحيَّة .

فيقول له : أَمُعَلَّى أنت ؟؟ .

ـ نعم يا سيدي . .

ـ ساعِدْني . .

وينظر المعلى بن خنيس إلى الأرض ، فإذا جرابٌ مُمَدَّدٌ على الأرض ، وقد تبعثرتْ بعض محتوياته في دائرة ضَيِّقَةٍ . . ويمد يده يتلمَّسُ . . فإذا خُبْزٌ قد تناثر على الأرض . .

إذاً فالإمامُ يحمل جراباً من الخبز . . ولما أعياه ثِقْلُهُ . . انفَلَتَ من يَدَيْه . . .

وبعدما جمعا الخُبز يتوسَّلُ إليه المعلى أن يحمل عنه الجراب . . فيرفِضُ . . ويطلب منه أن يُساعِده في رفعه إلى ظهره . . ثم يَقْبَلُ أن يَصْحَبَهُ في رحلته السِّرِّية . . وما يزالُ في سيره التَّعِب حَتَّى ينتهي إلى « ظُلَّةِ بني ساعدة » حيث الضعفاء والمحرومون . . فيرى الجميع قد استحوذ عليهم النوم ، فيضع الجراب عن ظهره بتأنٍّ ، ثم أخذ يتحركُ بخفةٍ بين هؤلاء الذين ناموا يَحْلُمونَ ببُلْغَةِ العيش . . .

ما أرشق يديه وهما تَدُسَّان لكل واحدٍ الرغيفين والثلاثة . . .

وبعـدمـا أتى على آخـرهـم . . وأصْبَـح الجـــرابُ فـارغ الفؤاد . . انصرف . .

لقد أدَّى مهمته الإنسانية القدوسيَّة . . .

ما أشد بهجته . . !! .

إنّها بهجةٌ عذراء نابعةٌ من فَرْحَةِ هذا البائس الذي يَسْتَيقظُ ، فيجـد بين يديه من الطعام ما يطفىء جمرة جوعه الأرعن . . .

وفي الطريق يقول الإمام للمُعَلَّى : « صَدَقـةُ اللَّيْلِ تُـطفىء غَضَبَ الرَّبِّ ، وتمحو الذَّنْبَ ، وَتُهَوِّنُ الحِسَابَ » أهـ(١٦٩) .

ونتساءل اليوم : هـل كان أهـل الحاجـة يعرفـون ذلك البَـرَّ الرحيم الذي يُقَدِّمُ لهم ما يُقَدِّمُ تحت ستار الظلام ؟؟ .

يُجيبنا على هذا السؤال الشيخ محمد أبـو زهرة فيقـول : « كان إذا جـاء الغَلَسُ يحملُ جـراباً فيـه : خُبْـزٌ ، ولحم ، ودراهم ، فيحمله على عاتقه ، ثم يَذْهَبُ إلى ذوي الحاجة من أهل المدينة وَيُعـطيهم ، وهم لا يعلمـون من المعطي حتى مـات ، وتكشَّفَ مـا كـان مستـوراً ، وظهـرت الحاجة فيمن كان يعطيهم » .

ثم يقول : « وجاء في حِلْية الأولياء : « كان جعفر بن محمد يُعطي حتى لا يُبْقِيَ لعياله شيئاً » .

وَيُعَلِّقُ على أعمال الصادق الإنسانية فيقول : « وإنَّ السخاء بالمال يَدُلُّ على مقدار قـوة الإحساس الاجتمـاعي ، وإن سَتْرَهُ يـدلّ على مقدار قوّة الوجدان الديني ، ومـلاحظة جـانب الله وحده ، وليس ذلـك بعجيب ممن نشأ مثل نشأة الإمام الصادق »(١٧٠) .

---

(١٦٩) راجع : مرتضى المطهري : قصص الأبرار صفحة ٧٣ ترجمة جعفر بهاء الـدين ، طبع دار التعارف ـ لبنان .

(١٧٠) راجع : أ ـ الشيخ محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ـ صفحة ٨٠ ـ تحت عنوان : سخاؤه . =

وَثَمَّةَ مكرمةٌ فضلى يُضيفها الصادق إلى مكارمه التي لها بداية ، ولا يكاد يكون لها نهاية هي : أنّه كان يدفع من ماله ليصلح بين المتخاصمين .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : « وكان الإمام الصادق يأمر بعض أتباعه أن يمنع الخصومات بين الناس بتحمل ما يكون فيها من الخسائر » أهـ(١٧١) .

ويعطينا السيد محمد الحسين المظفري مثالاً على ذلك فيقول : « تشاجر أبو حنيفة سائق الحاج (اسْمُهُ سعيد بن بيان) مع خَتَنه في ميراث ، فمرّ عليهما المفضل بن عمر ، وكان وكيلاً للصادق في الكوفة ، وبعد ساعةٍ من وقوفه عليهما ، أمرهما بالمجيء معه إلى الدار ، وأصلح أمرهما بأربعمئة درهم ودفعها من عنده ، وبعد اسْتيثاق كل منهما من صاحبه ، قال لهما : أما إنّها ليست من مالي ، ولكنَّ أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام ، أمرني إذا تنازع رجلان في شيء أن أُصلح بينهما ، وأفتديهما من ماله ، فهذا مال أبي عبد الله » أهـ(١٧٢) .

العدل الاجتماعي (الاشتراكية)

وَيَنْفُسُ عندي أن أَسْقيَكَ نُطْفَةً عَذْبةً من فكر الإمام الصادق ، تجعل وِجْدانَكَ الروحيَّ والاجتماعي يَنْضُرُ إكباراً له وَحُبّاً .

لقد أفتى أن تكون الأرض التي فتحها المسلمون ملكاً لجماهير الشعب . . .

= ب ـ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ـ المجلد الأول ـ صفحة ٦٦٠ و٦٦٤ ـ مطابع مؤسسة جواد للطباعة والتصوير سنة (١٤٠٣ هـ =١٩٨٣ م) .

(١٧١) راجع الشيخ محمد أبو زهر : الإمام الصادق . صفحة ٨١ .

(١٧٢) راجع : محمد الحسين المظفري : الإمام الصادق ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٦١ ـ منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ، سنة ١٣٦٩ هـ =١٩٥٠ م) .

أُدْرُسْ جـوابه لـرجل أتـاه يسألـه عن « الأنفال » من قـوله تعـالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال . . . الآية ﴾ . . [173] .

فقال : « هي : القُرى التي خَرِبَتْ وانجلى عنها أَهْلُهـا ، وما كـان للملوك ، والأرضـون الموات ، والآجـام ، وبـطونُ الأودية ، والمعـادن - هذه جميعها ملكٌ للأمّة » أهـ[174] .

وسُئِلَ عن السَّواد - سواد العراق ما منزلته ؟؟[175] .

فأجابَ : هو لجميع المسلمين ، لمن هو اليوم ، ولمن يَـدْخُلُ في الإِسْلام ، ولمن يُخْلَقُ بَعْدُ » أهـ[176] .

وما دامت الأرض مُلْكاً لـلأمّة ، فـإنّه ينهى عن شـرائها ونَقْلهـا من الملكيَّة العامَّـة إلى الملكيَّة الخـاصَّة التي تسـاعد على نشـوء طبقيَّة رأس المال ، . . .

رَوِّحْ خـاطـرك بقـولـه : « لا تشتـروا أرض السَّـواد ، فـإنّهـا فَيْءٌ للمسلمين » أهـ[177] .

إنّ ما ينطبق على أرض العراق ، ينطبق على غيره من البلدان التي فتحها المسلمون . . .

ومتى كـانت الأرض مُلْكـاً للشعب ، فـإنّ وسـائـل الإنتـاج . .

---

(173) سورة الأنفال الآية الأولى .

(174) راجع : أ - الفيض الكاشاني : الصافي في تفسير القرآن - الأنفال .
ب - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن .

(175) سواد العراق : ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القُرى والرساتيق (الوسيط - ج 1) .

(176) راجـع : أ - السيـد محمـد بـاقـر الصـدر : اقتصـادنـا - صفحـة 402 - طبعة ثـالثة - بيروت 1969 .
ب - الحـر العاملي : الـوسائـل - المجلد السابـع عشر ، صفحـة 436 - طبع دار إحياء التراث العربي .

(177) راجع : الصدر : اقتصادنا المذكور .

والصناعات . . وغيرها تَبَعٌ لها . . أي إنّها تصبح ملكاً للشعب(١٧٨) .

ذلكم شيءٌ عن الإمام الصادق عليه السلام . .

لقد كان حركة ثوريَّةً علمية . . اقتصاديَّة . . كَسَت المجتمع العربي الإسلامي حلّة خضراء من عبقرية الحضارة . . وكانت واحدةً من الركائز التي ارتفع عليها بنيان الحضارة في العالم . . .

كل ذلك بفضل ما نشرته مدرسته الجامعة . . وعلومه المتنوعة ـ تلك المدرسة التي أكبر جهودها وعطاءها المستشرق (رونلدسن) الذي يقول : « ومن الوصف الذي نقرؤه عن إكرام جعفر الصادق في بستانه الجميل في المدينة ، واستقباله الناس على مختلف مذاهبهم ، يظهر لنا أنّه كانت له مدرسَةٌ شبه سُقراطيَّة(*) .

وقد ساهم تلاميذه مساهمةً عُظمى في تقدم علميْ : الفقه والكلام ، وصار اثنان من تلامذته وهما : « أبو حنيفة ، ومالك » فيما بعد من أصحاب المذاهب الفقهيَّة . وأفتوا في المدينة أنّ اليمين التي أُعطيت في بيعة المنصور لا تُعتبر ، ما دامت أُعطيتْ بالإكراه .

وَيُرْوى أنَّ تلميذاً آخر من تلامذته هو (واصل بن عطاء) رئيس المعتزلة ، جاء بنظرياتٍ في الجدل مما أدَّى إلى إخراجه من حلقة تدريس الإمام جعفر ، وكان جابر بْنُ حَيَّان الكيماويُّ الشهير من تلاسذته أيضاً » أهـ(١٧٩) .

أمّا الأستاذ عبد الحليم الجندي فإنّه يقول عن مذهب الإمام

---

(١٧٨) راجع : محمد علي اسبر : هل قرأت أبا ذر ـ من صفحة ٣٥ إلى ٧١ ـ حيث تقرأ بحثاً ضافياً عن اشتراكية الإسلام ، ومقارنتها بالاشتراكيات العالمية ـ طبعة ثانية ـ دار الأصالة ـ بيروت ١٩٨٥ .

(*) سُقراطيَّة نسبة إلى الفيلسوف اليوناني سقراط مؤسس علم الأخلاق .

(١٧٩) راجع : الأستاذ عبد الحليم الجندي المستشار في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية ، صفحة ٢١٩ ـ طبع القاهرة سنة ١٣٩٧ هـ =١٩٧٧ م .

الصادق ومدرسته ومدى تأثيرها في تطور الفقه الإسلامي . . والسياسة . . والمجتمع . . . والاقتصاد . . : « والمذهبِ يحمل اسم جعفر ، لأنّه صاحبُ مدرسة ، سُقيتْ منه السنة الصحيحة ، ومصادر الفقه العظيم ، والمنهاج السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي الذي نَهَجَهُ تابعوه ، وروى ذلك كلّه الآلاف وروى عنهم أمثالهم »(١٨٠) .

ثم يذكر (أمْريجو فسيوتشي) و(كريستوفر كولمبس) مكتشفي القارة الأمريكيَّة ، وتقدير تاريخ العالم لهما ويبدو أنّه حينما مَرَّا في خاطره يتذكر الإمام علي بن أبي طالب وحفيده الصادق . . .

ولكن هل يصح أن يقارن بين ما قدمه مكتشفا أمريكا من فائدة للناس . . وبين ما قدمه عليٌّ وجعفر من خيرٍ عظيم للعرب خاصَّةً . . . وللإنسانيَّة قاطبة ؟؟؟ .

إنّنا نراه بعد استقصاء فكري دارس ممحص يقول : « ولسنا في مقام مقارناتٍ برجال ، فعليٌّ وجعفر فوق المقارنات » .

ولماذا هما أسمى من أن يُقارنا بالآخرين ؟؟ .

استمع إليه يجيب على هذا السؤال قائلاً : (وذلك) « بما قَدَّموا للعالم كله ـ وسيطه وحديثه ـ من عناصر الحضارة التي نقلت العالم من جهالات العصور القديمة ، وظلمات العصور الوسطى ، إلى الحضارة المعاصرة ، على عجلات التّقدّم ، يحركها العلم الصحيح ، والاجتهاد الذي لا يتوقف » .

ثم يتحدث عن علوم أئمة أهل البيت . . وتلقيحها للعقول المتفوقة حتى أثمرت فكراً إنسانيّاً بهيَّ الإشراق ، . . ومدنيَّةً وارفةَ الظِّلال . . دَعْ ذهنك يَغُصْ في عُباب قوله : « وكَسْبُ الأمم من علم الأئمة ، كاقتران أصحاب الكشوف بكشوفهم ، وأرباب الابتكارات بفتوحهم ، ليسَ

(١٨٠) المصدر السابق ـ صفحة ١٨٨ .

صِدْفةً، ولا مَحْضَ جزاء، وإنّما هو توفيقٌ من الله للإنسانية وللناس لتكريم أمم، ورجال، فتحوا أرض الله لعبده، أو مكّنوهم من أَنْعُم السماء، أَوْ سُنن الأنبياء، ليشجعَ الشجعان، ويستمر ضَوْءُ الفكر الإنساني في إشراقه، حَفْزاً للعزائم، وظهوراً للعلم»(١٨١).

ثم يذكر لنا أسماء علماء نابهين كشفوا عن بعض أسرار الطبيعة بتجاربهم العلمية.. وجهودهم المتواصلة.. فَقَدَّموا بذلك للعالم منافع كبيرةً وكثيرة.. بَيْدَ أنّه يرى أنّ كل ما اكتشفوه يبدو هزيلاً أمام ما قَدَّمه الصادق للإسلام... وللجماعة البشريّة... استمع إليه يقول: «ومنذ القرن الميلادي الماضي يُطلقُ العلماء أسماء الرجال الذين يَسَّرُوا للناس أسرار الطبيعة على مقاييس الطبيعة: الوات نسبة إلى «Watt» والفرد نسبة إلى «Faraday» والأمبير نسبة إلى «Ampera» والفولت نسبةً إلى «Volta» والأهم نسبة إلى «Ohm» والميجاهرتز نسبة إلى «Hertz» ورونتجن نسبة إلى «Rontigen» وهم: إنجليزيان، وفرنسي، وإيطالي وثلاثة من الألمان.

ثم يخلصُ إلى القول: وأين تجربَةٌ أو تجاربُ، أو كشَفٌ أو كشوف من شريعةٍ بتمامها، وإمام في الصَّدْرِ من أئمتها، وَطَّأ نصوصَها، وأَصَّلَ أصولها، وَقَعَّدَ القواعدَ لها، وأقام عليها دولاً باقيةً بقاءَ الزمن، ومجتمعات خالدة بخلود الإسلام، يُنْسَبُ فيها المذْهَبُ إلى صاحبه، فيكون المذهب الجعفري، أو المذهب «الإمامي» المنسوب إلى الإمام جعفر، وإلى القول: بإمامَة الأئمَّة الإثني عشر» أهـ(١٨٢).

* * *

الإمام الكاظم

فإذا تجاوزنا آفاق الصادق الرحبة مَدَّ الفكر.. طلع علينا كوكبُ

---

(١٨١) المصدر السابق ـ صفحة ١٨٨.

(١٨٢) المصدر السابق ـ صفحة ١٨٩.

زاهِرٌ في توقده هو ولده : الإمام موسى الكاظم .

وَلسْتُ أرى أزكى ولا أنقى من أن أنقل إليك رأيَ أحد نابهي علماء المذهب الشافعي في الكاظم وهو : كمال الدين بن طلحة .

لقد كوَّن هذا العالم رأيه في الكاظم بعد ما درس حياته الفُضلى بكل دقائقها وأبعادها ، ثم ما لبث بعد هذه الدراسة الواعية أنْ جَهَرَ بما رآه متجسّداً فيه . . .

إليك كلماته يُلقيها عليك متأنياً . . فتأملها . . فإنّ ضياء الصدق ينضرها حَرْفاً . . حرفاً . .

قال : « هو الإمام الكبير القدر ، العظيم الشأن ، الكثير التَّهَجُّد ، الجادُّ في الاجتهاد ، المشهور بالعبادة ، المواظبُ على الطاعات ، المشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً أو قائماً ، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً ، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعيَ « كاظماً » .

كان يُجازي المسيء بإحسانه إليه ، ويُقابل الجاني بعفوه عنه ، ولكثرة عبادته كان يُسَمَّى بـ (العبد الصالح) وَيُعْرَفُ في العراق بـ (باب الحوائج إلى الله) لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به ، كراماته تحارُ منها العقول ، وتقضي له بأن له عند الله قَدَمَ صِدْقٍ لا تزال ولا تزول » أهـ(١٨٣) .

أمّا العالم الصوفي عبد الوهاب الحنفي الشعراني فيقول عنه : « أحد الأئمة الاثني عشر ، وهو ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، كان يُكنَّى بـ (العبد الصالح) لكثرة عبادته واجتهاده ، وقيامه الليل ، وكان إذا بلغه

---

(١٨٣) راجع : أ ـ كمال الدين بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول ـ صفحة ٨٣ .

ب ـ المؤرخ الحنفي أحمد بن يوسف القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ـ صفحة ١١٢ .

ج ـ سبط ابن الجوزي ـ حَنَفيّ المذهب : تذكرة الخواص ـ صفحة ١٩٦ .

عن أحد يؤذيه يبعث إليه بمال »(١٨٤) .

الإمام الكاظم . . والخليفة هرون الرشيد

هرون الرشيد العباسي يَتَرَبَّعُ على عرش « خلافة » المسلمين . . .

وهو والإمام الكاظم أبناء عم ـ كلاهما هاشمي . . .

ولكن الكاظم من ذريَّةِ رسول الله . . .

وهذا يؤرِّقُ صاحب الجلالة هرون الرشيد . . .

ويجعل هواجس كثيرة تتفجرّ في خاطره متلاحقة . . .

يوشوش لنفسه : جدّي العباس ، وأخواه : عبد الله والد الرسول ، وأبو طالب والد علي ، ثلاثتهم من أبناء عبد المطلب بن هاشم . . وأبناؤهم أبناء عم . . .

إذاً فكيف يقول أبناء علي : إنّهم ذريَّةُ رسول الله . . .

ويُنَقِّبُ « خليفة المسلمين » في حروف هذا القول ، فلا يلوح له فيه ـ حسب قناعاته الملكيَّة ـ ومضةٌ واحدةٌ من نور الصواب . . .

وَيُرْسِلُ ابتسامةً هازئة ويقولُ مُتَهَكِّماً : أليس عَجَباً أن يؤمن حتى علماء المسلمين بما يقوله الأئمة من أبناء علي . . .

ولكن ، كيف ؟؟ ولماذا ؟؟ .

إنّها عقدة تتمطى في ذهن الرشيد لم يجد لها حَلاًّ . . .

نفسه توسوس له من ثنايا أَلقِ السُّلطة وكبريائها أنّه فوقهم شَرَفاً . . ونباهةً . . .

---

(١٨٤) راجع : أ ـ عبد الوهاب الشعراني : طبقات الأخبار المعروف بطبقات الشعراني الكبرى ـ صفحة ٣٣ .

ب ـ الذهبي (محمد بن أحمد): ميزان الاعتدال ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٠٩ .

أمّا كونُهم ذريَّة رسول الله ، فهذا شرف أصيل جليل يُقَصِّرُ عن اللحاق به هو وشجرةُ سلطانه الممتدة أغصانها إلى آفاقٍ بعيدة . . . بعيدة . . .

ويتأفَّفَ صاحب الصولجان . . .

إنّه يُريد أن يرى الناس روابي ، وهو الجبل الشامخ الراسخ الأركان الذي تنحسر الأبصار دون قمته . . وتنبت في أغوار نفسه خاطرةٌ طريَّة . . .

ثم تنمو ، ويخضرّ عودها . . ويصلب . . .

لماذا لا يطلب برهاناً من الإمام موسى الكاظم يثبت فيه أنّهم ذُرِّيَّة رسول الله . . .

وتلطف عنده الخاطرة المتوثبة الفتيَّة . . . ، ويهتف : سيرى الكاظم نفسَه عاجزاً عن إثبات ما يقول . . . وبذلك يظهر للمجتمع الإسلامي كله زَيَفُ هذا الادعاء . . .

وتنحل عقدته النفسيَّة التي تنزُّ بين الحين والحين غَمّاً يخزه بأشواك الألم . . .

ويغدو ـ بعد ذلك ـ سَيِّد العالم كُلِّه سُلطاناً . . وَشَرَفاً . . وعلوّاً في الأرض . . .

لِنَطْرُقْ باب الشيخ مؤمن بن حَسَن الشَّبَلَنْجي الشافعي . . وَنُصْغِ إليه يحكي لنا عن مكانة الإمام الكاظم وعمّا دار بينه ، وبين الخليفة العباسي ـ هرون الرشيد في : كونهم ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله .

هوذا يقول : « . . . الكاظم هو الإمام الكبير القدر ، الأوحد ، الحجة ، الحبر ، الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائماً ، المسَمَّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروفُ عند أهل

العراق بباب الحوائج إلى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسِّلين به ، ومناقبُه رضيَ الله عنه كثيرة » .

ثم ينقل لنا ما جرى بين الرشيد والكاظم فيقول : « سأله الرشيد يوماً فقال : كيف قلتم نحن ذُرِّيَّةُ رسول الله وأنتم بنو علي ، وإنّما يُنْسَبُ الرجل إلى جدّه لأبيه ، دون جَدّه لأُمّه » ؟؟؟ .

وَيُدْرِكُ الإمام الكاظم الغاية التي يرمي إليها الرشيد . . .

فإذا هو يلجأ إلى كتاب الله يستنطقه . . .

فيشهد له على ما يقولون . . .

« قال الكاظم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريًا ويحيى وعيسى . . . ﴾ .

ثم قال للرشيد : « وليس لعيسى أب ، وإنّما أُلحق بِذُرِّيَّةِ الأنبياء من قبل أُمّه ، وكذلك أُلْحِقْنا بِذُرِّيَّةِ النبي (ص) من قبل أمنا فاطمة » .

ويحني الخليفة رأسه لكتاب الله ، وهو يشهد لبني فاطمة أنّهم من ذريَّة رسول الله ، بيد أنّ الإمام يعاجله بآية ثانية من كتاب الله تشهد أنّهم أبناء الرسول .

قال له : « وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين » .

ولم يترك للخليفة مُتَنَفَّساً ليسأله عن تلك الزيادة ، بل قال : « قال الله عَزَّ وجل : **﴿ فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل ﴾** ، ولم يَدْع صلى الله عليه (وآله) وسلم ، عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، ونحن

الأبناء » أهـ[١٨٥] .

الكاظم الغلام ، وأبو حنيفــة

وهـذا أبو حنيفـة إمام المـذهب الحنفي المعـروف يَقْـدمُ المـدينـة حَاجّاً . . ويطيبُ له أن يلقى الإمام الصادق ويأخذ منه أجوبة على بعض الأسئلة الفقهيَّة ، . . ولكنه يواجه في صالون الـدار غلامـاً ، فيجلس إليه ويسأله . . ويُجيبُ الغلام بطلاقة أذهلت أبا حنيفـة ، وجعلته يستغني عن لقاء الإمام الصادق (ع) .

إليك الإمام السيد محسن الأمين يَسْرُدْ علينا ما حَدَثَ بين الغلام ، وأبي حنيفة ، بلسان أبي حنيفة .

قـال أبو حنيفـة : « حَجَجْتُ في أيام أبي عبـد الله الصّادق ، فلمـا أتيتُ المـدينـةَ دخلتُ داره ، فجلسْتُ في الـدهليـز أنتـظر إذنـه إذ خـرج صبيٌّ ، فقلت : يا غلامُ !! أين يضع الغريبُ الغائطَ مِن بلدكم ؟؟ .

قـال : على رسلك ، ثم جلس مستنـداً إلى الحـائط ، ثم قـال : تَـوَقَّ شـطوطَ الأنهـار ، ومسـاقِط الثمـار ، وأفنيـةَ المسـاجـد ، وقـارعـةَ الـطريق ، وتـوارَ خَلْفَ جـدار ، وَشِـلْ ثـوبَـكَ ، ولا تَستقبـلْ القبلةَ ولا تستـدبرهـا وَضَعْ حَيْثُ شئت ، فـأعجبني مـا سمعت من الصَّبيِّ ، فقلت له : ما اسمك ؟؟ .

---

(١٨٥) راجع : أ ـ الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشـافعي : نور الابصـار ـ صفحة ١٦٤ ـ تحت عنـوان (فصـل في ذكـر منـاقب سيـدنـا مـوسى الكـاظم بن جعفـر الصادق . . .) .

ب ـ الشيخ محمد بن علي الصَّبَّان الشافعي المـذهب : إسعاف الـراغبين في سيرة المصطفى بهامش نور الأبصار ، صفحة ٢٤٦ ـ تحت عنوان (ولنذكر طَرَفاً من الكلام عن الإمام موسى الكاظم) .

ج ـ الإمام السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ـ المجلد الثـاني ـ صفحة ٨ ـ طبع دار التعـارف ـ بيروت سنـة ١٤٠٣ هـ =١٩٨٣ م ـ فراجعـه ففيه زيـادة عمّـا أورده : الشبلنجيُ والصبَّان .

قـال : أنـا مـوسى بن جعفـر بن محمـد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

فقلت : يا غلام !! مِمَّن المعصية ؟؟ .

فقـال : إنَّ السَّيِّئاتِ لا تخلو من إحـدى ثلاث : إمّـا أن تكـونَ من الله وَلَيْسَتْ منـه ، فلا ينبغي للربّ أن يُعَـذِّبَ العبد على مـا لا يرتكب ؛ وإمَّا أن تكونَ منه ومن العبد ، وَلَيْسَتْ كذلك ، فلا ينبغي للشريك القويِّ أن يظلم الشريكَ الضعيف ، وإمّا أن تكـون من العبد ، وهي منـه ، فإن عفا فبكرمِهِ وجودِهِ ، وإن عاقبَ فبذنب العبد وجريرته .

قال أبو حنيفة : فانصـرفت ، ولم أَلْقَ أبا عبـد الله ، وٱسْتَغْنَيْتُ بما سمعت » أهـ[١٨٦] .

أرأيتَ الإمام الكاظم ؟؟ .

يُجيبُ على أسئلة أبي حنيفة وهو غـلام إجـابـات أثـارتْ إعجـابـه وتركته ينصرف عن لقاء الإمام الصادق . . .

ألا تـراهُ يُشارك يحيى بن زكـريـا في قـول الله : ﴿ وآتينـاهُ الحكم صَبيّاً ﴾ ؟؟ .

وَيَشُبُّ الكاظم يوماً بعد يوم ، كما يشب الهـلال حتى يكتمل بـدراً فيَّاضاً بـالنور . . فيـاضاً بـالعطاء . . إمـام عصره . . حلمـاً ، وعلماً . . وفقهاً . . وعبادة . . بعد غياب أبيه الصادق .

وقد شهد له بذلك أعلام العلماء في كل مكان وزمان . . .

فهـو : « الإمام الكبيـر القـدر ، الأوحـد ، الحجـة ، السـاهـر ليله قائماً ، القـاطع نهـاره صائمـاً . . له منـاقبُ باهـرة ، انتزع قمَّـةَ الشرف وعلاها ، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها » أهـ[١٨٧] .

---

(١٨٦) المصدر السابق ـ صفحة ٦ .

(١٨٧) راجـع : أ ـ أحمد بن يـوسف القـرمـاني ـ الحنفي المـذهب : أخبـار الـدول وآثـار الأول ـ =

وهـو : « من أئمة أهـل البيت . . كبير القـدر . . . كثيـر العلم . . وفي كـل يـوم يَسْجُـد لله سَجْـدَةً طـويلة بعـد ارتفـاع الشمس إلى الزوال » أهـ[١٨٨] .

وهـو : « سَيِّدٌ من سـادات بني هـاشم ، وإمـام مُقَـدَّمٌ في العلم والدين » أهـ[١٨٩] .

وهو : « أول من كتب في الفقه . . . »[١٩٠] .

وهو : « . . . الوارث لأبيه علماً ومعـرفة وكمـالاً وفضلاً . . وكـان أعبد أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأسخاهم »[١٩١] .

أمّا الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشّافعي فيقول : « كان موسى الكـاظم أعبد أهـل زمانـه وأعلمهم ، وأسخاهم كفّـاً ، وأكرمهم نَفْسـاً ، وكان يَتَفَقَّدُ فُقَراءَ المدينـة ، فيحمل إليهم الـدراهم والدنـانير إلى بيـوتهم ليـلاً ، وكذلـك النفقات ، ولا يَعْلمـون من أي جهةٍ وصلهم ذلـك ، ولم يعلموا بذلك إلّا بعد موته »[١٩٢] .

وَيُطلعنا الخطيبُ البغداديُّ (أبو بكر أحمـد بن علي) ـ الشافعي ـ الأشعـري يُـطْلعُنـا كغيـره من كتـاب التـراجم على حلم الإمـام مـوسى

= صفحة ١١٢ .

ب ـ الفقيه المالكي المذهب ابن الصباغ : الفصول المهمة ، صفحة ٢١٧ .

(١٨٨) راجع : الفقيه الشافعي محمد أمين السويدي : سبائك الـذهب في معرفـة أنساب العـرب ـ صفحة ٧٣ .

(١٨٩) راجـع : د . زكي بن عبـد السـلام بن مبـارك : شـرح زهـر الآداب ـ الجـزء الأول ـ صفحة ١٣٢ .

(١٩٠) راجع : د . محمد يـوسف المصـري : الفقـه الإسـلامي مـدخـل لـدراسـة المعـامـلات ـ صفحة ١٦٠ .

(١٩١) راجـع : الفقيـه الحنفي البغـدادي ـ محمـود بن وهيب القـراغـولي : جـوهـرة الكـلام ـ صفحة ١٣٩ .

(١٩٢) راجـع : الشيخ مؤمن الشبلنجي : نـور الأبصار ـ صفحـة ١٦٦ ـ تحت عنوان (ذكـر مناقب سيدنا الكاظم) .

الكاظم . . وعلى أنّه كان يَعيشُ أنفاسَ القرآن ، . . . فإذا آذاهُ أَحَدٌ من الناس أَخْبَثَ أذىً بَعَثَ إليه بِصُرَّةٍ فيها أَلْفُ دينار .

أما قال تعالى : ﴿ آدْفَعْ بالتي هي أَحْسَنُ ﴾ ؟؟ .

وَيُخْبِرُنا أنّه كان عليه السلام يُعطي حتى الغِنى . . .

دَعْني أُبهِجْ نَفْسَكَ بكلماتِ صاحب تاريخ بغداد المحدِّثِ والمؤرخ قال : « كان ـ الإمام الكاظم ـ سَخيّاً ، كريماً ، وكانَ يَبْلُغُهُ عن الرجل أنّه يُؤْذيه ، فَيَبْعَثُ إليه بِصُرَّةٍ فيها أَلْفُ دينار ، وكان يصرُّ الصُّرَرَ : ثلاثمائة دينار ، وأربعمائة دينار ، ومائتي دينار ، ثم يُقْسِمُها بالمدينة . . .

وكان يُضْرَبُ المثَلُ بِصُرَرِ موسى بن جعفر ، إذا جاءت الإنْسَانَ الصُّرَّةُ فَقَد اسْتَغْنَى » أهـ[193] .

والآن ، وبعد هذه اللقطات الكريمات عن الإمام الكاظم يَسَعُنا أن نتساءل : ما هي العناصر التي تَكَوَّنَتْ منها شَخْصيَّته الفَذَّةُ . . ؟؟ .

يجيبنا على هذا التساؤل التاريخ من خلال شهادات أساطين الفكر الإسلامي أنّ شخصيته تكوَّنَتْ من :

١ ـ العلـم . . .

٢ ـ العبـادة . . .

٣ ـ الحلـم . . .

٤ ـ الزهـد . . .

٥ ـ السـخاء . . .

---

(١٩٣) راجع : أ ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ـ الجزء الثالث عشر ـ صفحة ٢٨ .
ب ـ عبد الله بن أسعد اليافعي : مرآة الجنان ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٩٤ .
ج ـ عبد الجبار الجومرد : هرون الرشيد ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٨٨ .
د ـ علي محمد علي دخيل : أئمتنا ـ الجزء الثاني من صفحة ٦٤ ـ ٧٠ ـ تحت عنوان (كلمات العلماء والعظماء في الكاظم) .
هـ ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة ـ صفحة ٢٠٣ ـ تحت عنوان (منهم موسى الكاظم) .

٦ ـ الحدب على المحرومين من الفقراء والمساكين حَذْباً سُداهُ وَلُحْمَتُهُ الإيثارُ على النفس . . .

فما أَمْجَدَ هذه الشخصيَّة المحمديَّة ـ العلويَّة ، وما أقدسَها ؛ لا سيَّما وقد أنجبت الإمام علي الرضا .

* * *

الإمـام الرّضـا

يُعرِّف أحمد بن حجر الهيثمي الإمام علي الرضا ابن الإمام الكاظم فيقول : « عليٌّ الرضا ، وهو أنبههم ذكراً ، وأَجَلُّهُمْ قدراً . . . الخ »(١٩٤) .

أمّا الجويني (إبراهيم بن محمد بن المؤيد أبي بكر) شيخ خراسان الشافعي الصوفي ، فقد وصف الإمام الرضا في الباب التاسع والثلاثين) من كتابه فرائد السمطين ، فقال : « مُظهر خفيَّات الأسرار ، وَمُبْرِزُ خَبيَّات الأمور الكوامن ، منبع المكارم والميامن ، ومنبع الأعالي الحضارم والأيامن ، منيع الجناب ، رفيع القباب ، وسيع الرحاب ، هتون السحاب ، عزيز الألطاف ، غزير الأكناف ، أمير الأشراف ، قُرَّة عين آل ياسين وآل عبد مناف ، السيد ، الطاهر ، المعصوم ، والعارف بحقائق العلوم ، والواقف على غوامض أسرار السر المكتوم ، والمخبرُ بما هو آتٍ وعمَّا غَبَرَ وَمَضى ، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال ، ولذا لُقِّبَ بالرضا علي بن موسى ، صلوات الله على محمد وآله ، خصوصاً عليه ، ما سَحَّ سحاب وهمى ، وطلع نباتٌ ونما . . الخ »(١٩٥) .

---

(١٩٤) راجع : أ ـ ابن حجر : الصواعق المحرقة ـ صفحة ٢٠٤ ـ تحت عنوان (علي الرضا) .
ب ـ المؤرخ ابن خلكان الحنفي المذهب قاضي القضاة في دمشق : وفيات الأعيان وأبناء الزمان ـ ج ٢ ـ ص ٤٣٢ .

(١٩٥) راجع : إبراهيم بن محمد الجويني : فرائد السمطين ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٨٧ .

فَأَنْتَ ترى شيخ خراسان يصف الإمام علي الرضا بأنّه لشدة صفاء نفسه النورانية . . وصدقه النقيِّ في إخلاصه لله ، يُطلعه على أسرار الكون . . .

والإمام الرضا لا يقارف سيئةً صغيرة كانت أو كبيرة ، مع قدرته على ذلك ، ولذا ، فهو « سَيِّدٌ طاهر ، معصوم » . . .

أمّا العلوم ، فهو يعرف حقائقها مَعْرِفةَ إحاطة ـ ما دَقَّ منها . . . وما جَلَّ . . .

ويأتي خريج الأزهر ، ورئيس محكَمة الحقوق في بيروت ، يوسف إسماعيل النَّبْهاني الشافعي المذهب ، فيرسم لنا صورةً تتجلَّى فيها مناقب الإمام علي الرضا عليه السلام . . .

إنّه مرجع أئمة المسلمين . . .

وإنّه الضياء الذي يهدي المسلمين إلى : موارد العزة والكرامة . . .

وإنّه لكذلك حقّاً ، لأنّه غُصْن ناضر من شجرة النبوّة المباركة . . .

وإنّه إليه ينتهي العلم ، والعرفان ، وكمال المروءة . . .

من أجل ذلك ، فهو إمام جليل ، باذخ المكانة ، راسخ البنيان . . .

فَكِّرْ في عباراته التي يُلقيها إليك رُطباً جَنيّاً . . .

قال : « عليٌّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق ، أَحَدُ أكابر الأئمة ، ومصابيح الأمَّة ، من أَهْلِ بيت النبوَّة ، ومعادن العلم والعرفان ، والكرم ، والفُتُوَّة ، كان عظيم القَدْر ، مشهور الذكر ، وله كراماتٌ كثيرة . . . » أهـ[196] .

---

(١٩٦) راجع : أ ـ يوسف اسماعيل النبهاني : جامع كرامات الأولياء ـ المجلد الثاني ـ =

أمّا الفقيه المصري عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المذهب ، والذي تولّى مشيخة الأزهر حيناً من الزمن فإنّه يكمل الصورة التي رسمها النبهاني لمناقب الرضا : فهو يخبرنا أن :

الإمام كان يشتري العبيد الذين أَذَلَّهم الحرمان . . ويعتقهم . . ليعيد إليهم حريتهم . . وكرامتهم الإنسانية ، وقد بلغ مجموع العبيد الذين أعتقهم ألفاً .

ويعرفنا أنّه كان كثير الصلاة . . فهو من الذين مدحهم الله بقوله : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . . إليك نَصَّ عباراته فَتَمَهَّلْ في قراءتها .

قال : « كان رضيَ الله عنه كريماً جليلاً ، مُهاباً ، مُوَقَّراً . . .

ويقال : إنّ عليّاً الرضا أَعْتَقَ ألف مملوك ، وكان صاحب وضوء وصلاة ، ليله كله يتوضَّأ . . ويُصَلِّي . . ويرقد ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، ويرقد ، وهكذا إلى الصبح ، قال بعض جماعته : ما رأيته قطّ إلّا ذكرتُ قوله تعالى :﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾[197] .

وَيُحَدِّثنا علي جلال الحسيني أحد رجال القضاء البارزين في مصر عن علم الرضا وسخائه فيقول : « كان أعلم الناس في وقته وأسخاهم »[198]

ويُعطينا كُلٌّ من عبد الله عفيفي خريج الأزهر ودار العلوم في مصر ، وإمام الملك فؤاد الأول ، والأديب الدمشقي خير الدين الزركلي

= صفحة ١٥٧ .

ب ـ محمد أمين السويدي : سبائك الذهب ـ صفحة ٧٣ .

ج ـ سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ـ صفحة ٢٠١ .

د ـ القرماني الدمشقي : أخبار الدول ـ صفحة ١١٥ .

(١٩٧) راجع : عبد الله الشبراوي الشافعي : الإتحاف بحب الأشراف ـ صفحة ٥٨ .

(١٩٨) راجع : علي جلال الحسيني : الحسين ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٠٧ .

صورة عامة زاهية الضياء عن الإمام .

يقول عبد الله عفيفي : « علي بن موسى الرضا عميد هذا البيت وزعيمه ، والإمام المرتضى من آل البيت »(١٩٩) .

ويقول الزركلي : « علي بن موسى الكاظم . . الملقب بالرضا . . ومن أجلّ السادة أهل البيت وفضلائهم . . . أحبّه المأمون العباسي ، فعهد إليه بالخلافة من بعده ، وَزَوَّجَهُ ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وَغَيَّرَ من أجله الزيّ العباسي الذي هو السّواد ، فجعله أخضر ، وكان هذا شعار أهل البيت . . . » أهـ(٢٠٠) .

وَيَطْلُعُ علينا الكاتبُ عبد القادر أحمد اليوسف بمعاني ما كتبه كبار العلماء والفقهاء في الإمام الرضا ، ولكن بعبارات محكمات يُعانقُ فيها المعنى المبني معانقة النور للنور .

أَنْعِم النظر في قوله : « وتاريخ الإمام حافلٌ بجلائل الأعمال ، فمن عِلْمٍ لا يُدْرَكُ مداه ، وعِصْمَةٍ متوارثة ، وقُدْسيَّةٍ لا تُضارعها قدسيَّةٌ في عصره ومن بعده إلاّ من انْحَدَرَ من صُلْبه من الأئمة المعصومين .

فهو عَلَمُ الهُدى في زمانه ، وَمَثَلٌ أعلى في : التقوى ، والورع ، والحلم ، والخلق ، والأخلاق ، وما عساني أذكر عن حياة وَصيٍّ من أوصياء الله ، وما عسى قلمي أن يكتب في تعريفه ، أو لم يكن ذكر اسمه هو التعريف الكامل ؟؟؟ .

فَذِكْرُهُ قَبَسٌ من نور الله ، يهدي المستجير به نحو السَّبيل الأقوم ، المؤدِّي للصالح العام .

إنَّ حياةَ الإمام بأجمعها مكرَّسَةٌ لإعلاء شأن المسلمين بالإسلام ،

---

(١٩٩) راجع : عبد الله عفيفي : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٩٣ .

(٢٠٠) راجع : خير الدين الزركلي : الأعلام ـ المجلد الخامس ـ صفحة ٢٦ .

فما من عَمَل صَدَرَ عنه ، إلاّ وكان مُنْطَلِقاً من عقيدةِ الإيمان ، مُسْتَهْدِفاً صَلاَحَ النَّاس ، وَمُنْتهياً لما فيه رضى ربِّ العالمين » أهـ(٢٠١) .

حَقّاً كانت حياةُ الإمام كُلُّها عاملاً فاعلاً في تقوية وتثبيت ركائز الإسلام . . وجلب الخير للمجتمع . . .

وما عليك لكي تُنَوِّرَ عقلك بقيم الرضا الأصيلة . . .

وتعرف مدى تأثيره الروحي والأخلاقي والاجتماعي في أبناء عصره . . .

إلاّ أن تقرأ سيرةَ حياته . . ومناظرته للزنادقة والخوارج الذين كثروا في عصره بعد تعريب فلسفة اليونان وغيرهم . . . لترى علماً مكتنزاً بلعاب جَدِّه رسول الله (ص) . . .

وخُلُقاً علويّاً ساحراً . . .

وإكراماً للفقراء والمساكين مقروناً بحب وحنان أغنى به الله أبناء علي والزهراء . . .

تَأَمَّلْ فيما نَقَلَه الشَّبَلَنْجي الشَّافعي عن إبراهيم بن العباس الذي كان له مكانة مسؤولة في الخلافة العباسيَّة أيام : المأمون ، والمعتصم ، والواثقْ والمتوكل .

قال الشبلنجي : « قال إبراهيم بن العباس : ما رأيتُ الرضا سُئل عن شيء إلاّ علمه ، ولا رأيت أَعْلَمَ منه بما كان في الزمان إلى وَقْتِ عصره . وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء ، فيجيبه الجوابَ الشافي ، وكان قليل النوم ، كثير الصوم ، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، ويقول : ذلك صيامُ الدهر . وكان كثير المعروف والصدقة ، وأكثر ما يكون منه ذلك في الليالي المظلمة . وكان جلوسُه في الصيف

---

(٢٠١) راجع : عبد القادر أحمد اليوسف : الإمام الرضا ولي عهد المأمون ـ المقدمة ـ صفحة ١ .

على حصير ، وفي الشتاء على مِسْح . . . الخ »[٢٠٢] .

وأنت بلا شك تُحبُّ الشِّعْر ، ولا سيَّما إذا جاء من شاعر أَقَرَّ له تاريخ الأدب العَربي بالتَّفَوُّق . . . إنّه أبو نواس الشاعر المجدد الرائع . . وهو يَتَحَدَّثُ في شعره عن أهل البيت ، عن طهارتهم ، . . . عن وجوب الصلاة عليهم . . عن نسبهم الزاكي . . . عن علومهم . . عن معرفتهم بأسرار كتاب الله . . .

وهو في كلماته الشعرية النَّفيسَة ينطق بلسان الطَّبَقَةِ التي تحمل الفكر الإسلاميَّ الصحيح في عصره . . .

رافقْني إلى كتاب نور الأبصار، وَهَيَّا نَقْرَأْ معاً قول الشَّبَلَنْجي الشَّافعي : « نَظَر أبو نواس إلى عليٍّ بن موسى وقد خرج من عندِ المأمون على بَغْلَةٍ فارهَةٍ، فدنا منه وَسَلَّمَ عليه وقال : يابْنَ رسُول الله ، قُلْتُ فيك أبياتاً أحِبُّ أن تَسْمَعَها مني .

فقال له : قُــلْ .

فأنشأ أبو نوّاس يقول :

مُطَهَّرونَ . نقيَّاتٌ ثيابُهم
تَجْري الصَّلاةُ عليهم كُلَّما ذُكروا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلويّاً حينَ تَنْسِبُهُ
فما لَهُ في قديم الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
أولئك القَوْمُ : أَهْلُ البَيْتِ عِنْدَهُمُ
عِلْمُ الكتاب ، وما جاءَتْ به السُّورُ » أهـ[٢٠٣]

ويمضي الإمام الرضا ليخلفه في الإمامة ابنه محمد الجواد .

* * *

---

(٢٠٢) راجع : الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار ، صفحة ١٧٠ .

(٢٠٣) راجع : أ ـ المصدر السابق صفحة ١٦٨ . =

ويتفحص الأستاذ خير الدين الزركلي حياة الأئمة من أهـل البيت ، وينـظر في سيـرة حيـاة الإمـام محمـد الجـواد التي لم تمتـد إلاّ خمسَـة وعشـرين عـامـاً ، ثم يـوازن بَيْنَـهُ وَبَيْنَ مَنْ سَبَقَـهُ ، فَيَتَجَلى لـه ، أنّ الجـواد في هذه الفترة القصيرة من العمر يوازي آباءه الأطهـار : عبقريـة في علم . . وَتَفَرُّداً في خُلُق . . . ورأفَةً ورحمةً بجماهير الفقراء والمساكين . . وكأني به ـ بعد هذه الجولـة الفكريـة ـ يُرَدِّدُ قـول الله : ﴿ **إنّها ذُرِّيَّـةٌ بَعضها من بعض** ﴾ ، ثم يُمسِـكُ بقلمه فيكتب : « كـان ـ أي الجواد ـ رفيـع القَـدْرِ كأسلافه ، ذكيّاً ، طَلْقَ اللسان ، قويَّ البديهة »[٢٠٤] .

ويقـول المؤرخ صلاح الـدين الصفدي (خليـل بن أيبك) الحنفي المـذهب في كتـابـه (الـوافي بـالـوفيـات) : « وكـان محمـد بن علي ـ الجواد ، من سَرَوات آل بَيْت النبوَّة ، زوَّجَهُ المأمونُ ابْنَتَهُ » .

ثم يـذكر لنـا عطايـاه لفقـراء المـدينـة فيقـول : « وكـان يَبْعَثُ إلى المدينة في كل عام بأكثر من ألف ألف درهم ، تـوفي ببغداد شـابّاً طَـرِيّاً بعد وَفاةِ المأمون سَنَة عشرين ومائتين » . . .

ثم يقول : « وكان من الموصوفين بالسَّخاء ، ولذلك لُقِّبَ الجواد ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر »[٢٠٥] .

= ب ـ عبد اللطيف المشتهري : مبعـوث الأزهر بسـوريا (الـلاذقية) : سَيِّـدُ الشباب الإمـام الشهيد الحسين ص ٣٢ . طبعـة ثانيـة سنة ١٣٧٩هـ ؛ ولكنـه أورد الأبيات الثلاثة في حادثة جَرَت مع سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام مـع اختلافٍ في بعض الكلمـات . وإليك الأبيـات كمـا جـاءت في كتـاب مبعوث الأزهر ـ مشتهري :

مُـطهَّـرونَ نَـقيَّـاتٌ جـيـوبُـهـمُ ... تجْـرِي الصَّلاةُ عليهم أينمـا ذكـروا
وأنْـتُـم أنـتـم الأعـلون عـنـدكـم ... عِلْمُ الكتـاب ، وما جَـاءَتْ بِهِ السُّـورُ
مَنْ لم يـكنْ عـلويّـاً حيـن تَنْـسِبُـه ... فَمَـالَـهُ في جَميـع النَّـاسِ مُفْتَخَـرُ

(٢٠٤) انـظر : خيـر الـدين الـزركلي : الأعـلام ـ المجلد السـادس ـ صفحـة ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ طبعـة خامسة (١٩٨٠ م) .

(٢٠٥) انظر : أ ـ صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ـ الجزء الرابع ـ صفحة ١٠٥ . =

وَيُوجِّه سبط ابن الجوزي (يوسف بن قِزْ أوغلي)(*) الحنفي المذهب من خلال تنقيبه في حياة الأئمة من أهل البيت ـ يُوجِّهُ ضوءاً آخر كاشفاً عن حياة الإمام الجواد ومناقبه فيقول : « وكان على منهاج أبيه في : العلم ، والتقى ، والزهد ، والجود »[٢٠٦] .

* * *

رأينا الصفديَّ يقولُ : « زوجه المأمون ابنته » .

ولكن ، لماذا زوجه ابنته ؟؟؟ .

إنّ للمأمون تجربةً مع والده الإمام الرضا . . جعلته يزوجه إحدى بناته ، ويتخذه وليّاً للعهد ، لما لمسه فيه من علمٍ محمدي . . . وخُلُقٍ علوي . . . وذكاء هاشمي . . ثم حولت السياسة الخادعة التجربة إلى فاجعةٍ ملونةٍ بالقسوة . . . والمرارة . . . ثم ينصرف المأمون بعدها إلى التَّقَلُّبِ في أحضان تَرَف السلطان وزهوه . . .

وفي يوم يُعِدُّ نَفْسَهُ للخروج إلى نُزْهَة صَيْد ينسى معها شيئاً من متاعب كرسيِّ الملك . . .ويمضي في طريقه . . موكباً ملكيّاً مهيباً . . ينتزع من الناظر إليه كلماتِ الإعجاب والإكبار . . .

ويمر الموكب المتألِّقُ برواء العظمة بغلمان يلعبون ، فيجفلون . . . هاربين . .

= ب ـ محمد بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول ـ صفحة ٨٧ .
ج ـ علي بن محمد بن أحمد نور الدين الصباغ المالكي المذهب : الفصول المهمة لمعرفة الأئمة ـ صفحة ٢٥٧ .
د ـ محمود بن وهيب البغدادي الحنفي المذهب : جوهرة الكلام ـ صفحة ١٤٧ ـ ، قال بعدما ذكر اسمه ، وكنيته ، وألقابه ، ونقش خاتمه : « وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً » أهـ .

(*) (قِزْأوغلي) : كلمة تركية معناها : ابن البنت ، أي السبط .

(٢٠٦) راجع : أ ـ سبط ابن الجوزي : تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة ـ صفحة ٢٠٢ .
ب ـ الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار ـ صفحة ١٧٧ و ١٧٨ .

ولكن ، هـوذا غـلام واحـدٌ يقف غيـر آبِـهٍ بجـلال المـوكب وفخامته . . .

وينظر المأمون صاحب الصولجان إلى هـذا الغلام الـذي لم يَتَخَطَّ بساط التاسعة من العمر مستغرباً . . .

ويقول في نفسه لِمَ لَمْ يَفرَّ كأترابه ؟؟ .

بل يبدو عليه ، وكأنّه لا يرى شيئاً يثير اهتمامه . . .

ويـدنو الخليفـة من الغلام ويـدنو ، ثم يقـول له : « ألا فَـرَرْتَ مع الصبيان . . . ؟؟ .

وَيُجيبه الغلام بلهجَةٍ هادئة مُطْمئنـة : « يا أميـر المؤمنين . لم يكن بـالطريق ضيقٌ فـأوسِّعَهُ عليـك ؛ وليس لي جُرْمٌ فـأخشاك ؛ والـظن بـك حَسَنٌ أنك لا تضر مَنْ لا ذنبَ له »أهـ .

وتتفتح براعمُ الدهشة في وجه المأمون . . .

ماذا يقول هذا الغلام الواقف أمامه شامخ الجبين ؟؟ .

كلامٌ ساحِرٌ . . . أعارته الحكمة نقاءها . . وسدادها . . .

تطرب له القلوب . . . وتأنس به الأرواح . . . .

وينـظر في وجه الغـلام فيـرى وسـامـة الـربيـع مشـرقـة في وجهـه المصباح . . .

ويتأمَّل في كلماته الذكيّات العطرات . . .

فيضطرب فؤاده . . ويراه يحنو بإعجابٍ عليه . .

بل هو يشعر أنّ حُبَّ هذا الغلام قد استقرّ في قلبه استقـرار الشـذا في مباسم الورود . . .

فصاحةٌ . . وشجاعةٌ . . . وذكاء متوقِّدٌ . . وطلعة باهرة . . .

مَنْ يكونُ هذا الغلام ؟؟ .

ابن مَنْ هــو . . ؟؟؟ .

ويسأله : « ما اسْمُكَ واسم أبيكَ ؟؟ .

فَيُجيبُه : أنا محمد بن علي الرضا . . .

إذاً هذا ابن علي الرضا وليُّ عهده . . .

وهذا لعابُ جده رسول الله يُرطِّبُ لسانه . . .

وتلك شجاعةُ جده علي بن أبي طالبْ تُروِّي قَلْبَهُ . . .

وماذا يمكن أن يقول الخليفة العباسي في هذا الموقف ؟؟ .

جملة واحدة استطاع أن يَتَفوَّه بها . . .

قــال للغــلام : رَحِـمَ الله أبــاك « وســاق جــواده ، ومضى إلى مقصده » .

ويبتعـد الخليفة الصَّيَّـادُ عن العمران ويبتعـد ، وفجأةً تُنَفِّـرُ كـلاب الصيد دُرَّاجَةً ، فَيُرسل الخليفـة الباز المـدلَّلَ الـذي معه على الـدُّرَّاجة ، وتغيبُ الـدُّراجة الهـاربة وراء الأفق ، ويغيب البـازُ معها . . . ثم يعـود ، ولكنـه لا يحمل الـدراجة بـل يحمل في منقـاره سمكـةً صغيـرةً مـا زالت الحياة تتردد فيها ؛ فيعجب من ذلك . . . ويسـأل نفسه : من أين حَصَـلَ الباز على هذه السمكة الصغيرة ؟؟ .

ويرجع الخليفة من صيده ، فيـرى الصبيان على حـالهم ، ومحمد عنـدهم ، فَفَرُّوا إلاّ مُحَمَّـداً ، فدنـا منه وقـال له : « يـا محمد ؛ مـا في يدي ؟؟ .

فقـال : يا أميـر المؤمنين : إنّ الله تعـالى خَلَقَ في بحـر قـدرتـه ، سَمَكاً صِغاراً تَصيدُه بازاتُ الملوك والخلفاء ، كي يُختَبَرَ بهـا سُلالـة بَني المصطفى كرامةً له » .

ومرة ثانيةً تتمشّى رَعْشَةُ الـدهشة في قلب المـأمون ، ويقـول له : « أنت ابن الرضا حَقّاً ، وأخذه معه ، وأَحْسَنَ إليه وبالغ في إكرامه » .

ثم ماذا كان ؟؟ .

وَيَتَـدرَّجُ الإمامُ في سُلَّم الـزمـان عـامـاً . . . فعـامـاً . . حتى يبلغ أَشُدَّهُ . .

أمّا المأمون فقد كان يلاحقه بمجهر مـراقبةٍ حَسَّـاس . . فلم يَرَ في نهج حياته خيط ظلام . . بل رأى حَياةً وضيئة كبسمات الصباح . . .

إنّهـا شمائـلُ أهْلِ البيت الـذين أَذْهَبَ الله عنهم الـرجسَ وطَهَّـرَهُمْ تطهيرا . . .

ويبدو له رأيٌ ، يعقد عليه عَزْماً صُلْباً لا تزعزعه المكاره . . . .

ذلك الرأيُ هو : أن يزوج محمداً ابنته أم الفضل . . .

وأين يجد لابنته كفؤاً مثل حفيد رسول الله ؟؟ .

ويُعْلن عن عزمه . . . فيعارضه العباسيون أجمعون . .

ولعلّك تسأل : لماذا يعارضون المأمون وهو سيدهم ؟؟ .

إنّ السياسة هي التي ألهبت فيهم روح المعارضة . . .

هم يـرون أنفسهم سـادة المجتمـع ـ بـأيـديهم مقـاليـد السُّلطة الحاكمة . . .

وإنّهم ليخشـون أن يعهد المـأمون بـولايـة العهـد لـلإمـام الجـواد بعده . .

فيخسَـرون السُّلْطَة التي جعلتهم ينعمون ببـارد العيش . . . ومفاتن الوجاهة وكبريائها . . .

ولكن المأمون يُصرُّ على تنفيذ رغبته . .

ويبسط لهم العذر فيقول : إنّي إنّما أُزوِّجُه ، لأنّه يفوق ـ مع سنّه ـ كافَّةَ أهل الفضل ، علماً . . . ومعرفةً . . . وحلماً . . .

بيد أنّ العباسيين يجحدون أن يكون الجواد فوق الناس علماً . . وفَضْلاً . . .

وبعد جدالٍ وتنازعٍ في الأمر . . . يتفقون أن يعقدوا مجلسَ اختبار . . يحضره الخليفة ، وخواصُّ الدولة؛على أن يتولّى سؤال الجواد قاضي قضاة الدولة « يحيى بن أكثم » .

ويتصل رجال المعارضة بيحيى ، ويعدونه ـ إن هو قَطَعَ محمد الجواد ، وَخَجَّلَهُ ـ أن يُقَدِّموا لَهُ آلافَ الدنانير وثمين التحف والهدايا . . .

وينعقد المجلس . . .

الخليفة في صدر المجلس . . . وحوله أرباب الدولة . . وبين يديه قاضي القضاة يحيى بن أكثم . . . ويحضر الإمام الجواد ، فيأمر المأمون له بفراشٍ حَسَن ، يَجْلسُ عليه .

مجلسٌ مَهيب . . . واختبار صَعْبٌ ، . . . وإنّ يحيى ليرجو أن يَقْطَعَ الجوادَ ، وينالَ المال . . . والجوائز . . .

وَلْنَتْرُكْ صاحبَ نور الأبصار يَقُصُّ علينا ما جرى في ذلك المجلس . .

قال : وسأل يحيى الجواد مسائلَ ، فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه . . .

فقال له الخليفة : أَحْسَنْتَ يا أبا جعفر ، فإن أردْتَ أن تسألَ يحيى ولو مسألةً واحدة . . .

فقال يحيى : يسأل ، فإن كان عندي جوابٌ أَجَبْتُ به ، وإلاَّ اسْتَفَدْتُ الجواب ، والله أسأل أن يُرشدني للصواب » .

كان يحيى بن أكثم يوَدُّ أن يُحْرِجَ الإمام مُحَمَّد الجواد ، فيما وَجَّهَ إليه من أسئلةٍ وَعْرَةٍ مُعَقَّدَةٍ . . سَهِرَ اللَّيالي لإعدادها . . . كان هَمَّهُ أن تزدادَ مكانتُه عند المأمون سموّاً . . ويغدو علاَّمة الدَّوْلة العباسيَّة في عصره . . ويظفر بالنفائس الكثيرة التي وَعَدَهُ بها العباسيُّون . .

ولكن الجواد أجاب على الأسئلة بطلاقة ، كأنّما كانت مكتوبةً أمامه في لوحٍ محفوظ . .

وتبدو ظلمات الحزن والألم في وجُوه العبَّاسيين . . .

لقد اجتاز الجواد الاختبار بكفاءةٍ يعجز عنها إلاّ الكُمَّلُ من أبناء رسول الله . . .

وَحَبَطَ ما دَبَّروا وَبيَّتوا . . ولم يَبْقَ لهم حُجَّة يَتَوَسَّلونَ بها أمام سَيِّدهم المأمون . .

وَيُسَعِّرُ آلامهم أن الخليفة طلب من الجواد أن يَسْأل يحيى بن أكثم . . .

فيتأففون . . .

إذا عجز يحيى عن الجواب ، فماذا تكون الحصيلة ؟؟؟ .

إنَّ الحصيلة ستكون شهادةً مُقَدَّسَةً للجواد أنّه قَيِّمُ الإسلام . . . وإمام المسلمين ومرجعهم الأسمى . . . وَسَيَنْشَأُ عن عجز يحيى عن الجواب أن يُزَوِّج المأمون ابنته للجواد . . .

فهو شديد الإعجاب به ، وإعجابُهُ مقرون بالإجلال ، وبقناعةٍ مُطلقةٍ أنّه يعلو كافَّةَ أهل الفضل علماً . . . ومعرفة . . . وها هو الجواد يُثبت ذلك . . .

ولم يَبْقَ لأن يستويَ عَلَماً نورانياً على قمة الرئاسة العلميَّة إلاّ أن يعجز قاضي القضاة عن جواب السؤال الذي يطرحه عليه . . .

وَتَتَوَقَّدُ نارُ الحسد في قلوب بني العباس ؛ ولكن ماذا يفعلون ؟؟ .

إنّ المـأمون يَحْتَضِنُ الجـوادَ ، وذلك يُغِـلُّ أيديهم عن القيـام بأي عمل . . .

كان صدى هذه الخواطر السَّريعَـة يتردَّدُ في قلوب العبـاسيين حرارةً موجعة . . .

والآن مـا عليهم إلّا أن يُصْغـوا إلى يحيى وهـو يُجيبُ على السؤال الذي ألقاه عليه محمد الجواد . . .

وينـظرون في وجهـه ، فـإذا هـو عـابسٌ قـاتم تُـدغـدغُــه روعـةُ الذهول . . . والخوف . . .

مالـــــه ؟؟ .

أيَعْجَزُ عن الجواب ، وهو قاضي قُضاة الدولة ؟؟؟ .

لِمَ هو ساهِمٌ لا ينطق . . . ؟؟ .

ولكن ، هوذا تتحرك شفتاه . . .

فيُرهفون السَّمع . . كُلُّهُمْ آذان صاغيةٌ . . وقلوبٌ مُتَفَتِّحةٌ لاستماع الجواب . . .

وإذا قاضي القضاة يقول بصوتٍ مُرْتَجف : « لا أدري ، فإن رأيتَ أن تُفيد الجواب ، فذلك » .

وَيُجيب الإمام على السؤال الذي نَتَبَيَّنُهُ في الجواب فيقول : « هذه أمَـةٌ لِرَجُـلٍ نـظر لهـا شَخصٌ في أول النهـار بشهْـوةٍ ، وذلـك حَـرامٌ عليـه ، فلمـا ارتفـع النهارُ ابتـاعها من صـاحبها فَحُلَّتْ لـه . فلما كـان وقت الـظهـر ، أعتقهـا ، فحرمت عليـه ، فلما كـان وقت العصر تـزوجها ، فحلّت لـه ، فلما كان وَقْتُ المغرب ظاهَرَ منها فحرمت عليه ، فلمـا كان وَقْتُ العَشـاء كَفَّـرَ عن الظّهـار فحلت له ، فلمـا كان نصف الليـل طَلَّقها طَلْقـةً واحدةً

فحرمت عليه ، فلما كان وَقْتُ الفجر راجعها ، فحلّت له » .

فأقبل المأمون على مَنْ حَضَرَ من أهل بيته ، فقال : هل فيكم أَحَدٌ يَسْتَحْضِرُ أن يُجيبَ على هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟؟» .

وبماذا يُجيبونَ على سؤال الخليفة الذي أزهـرت البهجة في عينيـه ووجهه ؟؟ .

« قالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . .

فقال : قد عرفتم الآن ما تنكرون » .

وظهر في وجه القاضي يحيى الخجل والتغيُّر ، وعرف ذلك كل من في المجلس .

فقـال المـأمـون : الحمـد لله على مـا مَنَّ عليَّ بـه مِنَ السَّـداد في الأمر ، والتوفيق في الرأي . . .

وأقبل على أبي جعفر وقال : إنّي مُزَوِّجُـكَ ابنتي أم الفضل ، وإن رُغم لـذلـك أنـوفُ قـومٍ ، فـاخـطب لنفســك ، فقـد رَضيتـكَ لنفسي وابـنـتي . . . . الـخ » . . . فـخــطب وزوجــه ابـنـتــه فـي احـتـفــال مهيب . . . [٢٠٧] .

* * *

وإذا كان الإمام الجواد قد رحل عن هذا العالم ، وعمره الزمني لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنةً . . .

فإنّ عمره العلمي حَلّق في أرفع طبقات النضج البشري عُلوّاً . . .

أمّـا منازعُـه الأخلاقيـة ، فقد كـانت : قرآنيـة . . . محمديَّـة . . . علويَّة . . . كآبائِهِ البهاليل . . .

---

(٢٠٧) المصدر السابق ـ صفحة ١٧٧و١٧٨ ـ و١٧٩ .

وأمّـا حُنُوُّه على المستضعفين من الـرجال والنسـاء والولـدان ، فقد كان مسلسلاً من ينـابيع الحنـان الرحمـاني .. ولم يَغِبْ عن عالمـه حتى أطلع للإسلام ابنه الإمام علي الهادي الكوكب العـاشر من كـواكب الأئمة الذين خَصَّهُمُ الله بالطهارة . . .

وَمَيَّزَهُمُ بإدراك الشَّيْءِ بحَقيقته . . .

وجودة استعداد الذهن للاستنباط . . .

ومعرفةِ أفضلِ الأشياء بأفضلِ العلوم . . .

وجَعَلَ من قلوبهم جنان الرحمة .. صلوات الله عليهم . . .

* * *

الإمـام علي الهـادي

وكما صرف أحرار الفكر الإسلامي همتهم لدراسـة حياة الأئمـة من آل محمد قبل الإمام الهادي ، وصَرَّحوا بـاعتقادهم فيهم ، فقـد انصرفـوا إلى دراسة حياة الهادي ، وأعلنوا عقيدتهم فيه . . .

يقول الأستاذ خير الدين الزركلي : « أبو الحسن العسكـري ـ علي الملقب بالهادي ابن محمد الجواد ، عاشر الأئمة الاثني عشر . . . وأحد الأتقياء الصلحاء . . . »[٢٠٨] .

ويقول ابن حجر الهيثمي : « علي العسكري ، سُمِّيَ بذلك ، لأنّه لمّا وُجِّه المتـوكل لإشخـاصه من المـدينة المنـورة إلى (سُرَّ مَنْ رأى) ، وأسكنه بها ، وكـانت تُسمَّى العسكر ، فَعُرِفَ بالعسكـري ، وكان وارثَ أبيه علماً وسخاءً . . . »[٢٠٩] .

---

(٢٠٨) راجع : خير الدين الزركلي : الأعلام ـ المجلد الرابع ـ صفحة ٣٢٣ .

(٢٠٩) راجع : أ ـ ابن حجـر الهيثمي : الصـواعق المحـرقـة ـ تحت عنـوان ، علي العسكـري ـ صفحة ٢٠٧ . =

ويقـــول الفقيـه والمؤرخ عبــد الحي بن العماد العكــري الحنبلي المـذهب : « أبو الحسن ـ علي بن محمـد ابن الرضـا علي ابن الكـاظم مـوسى بن جعفـر الصـادق العلوي الحسيني المعـروف بـالهـادي ، كـان فقيهاً ، إماماً ، مُتَعَبِّداً . . . »[٢١٠] .

ويتحدث إلينا الأستاذ عبد الوهاب البدري عن تَفَقُّدِ الهـادي أحوال المحرومين والمصابين ، واليتـامى . . والأرامل . . . ليـلاً . . ونهاراً . . يعطيهم من المال مـا ينهض بسَدِّ حـاجاتهم . . . فيقـول : « وبقيَ الإمامُ الهادي يتنقل في مجالس سامراء :

يواسي ذا المصاب . . .

ويساعد المحتاج . . .

ويرحم المساكين . . .

ويُشفق على اليتيم . . .

وَيَـدْلِفُ ليلاً إلى الأرامـل والثُّكالى ، وثـوبُـه كُلُّهُ صُـرَرٌ ، فينشـرهـا عليهم » .

ويـرسم لنـا صـورة عن عمله الشـاق في أرضـــه ليستقيم لـه أمْــرُ معـاشه ، ثم يَعْـرِضُها علينـا فيقـول : « يـذهـبُ نهـاره إلى عمله ، فيقف

= ب ـ الشيخ مؤمن الشبلنجي الشافعي : نور الأبصار ، صفحة ١٨١ .
ج ـ محمود بن وهيب البغدادي : جوهرة الكلام ـ صفحة ٤٠ .
د ـ المؤرخ عبـد الملك بن حسين المكي العصـامي : سمط العـوالي في أبنـاء الأوائل والتوالي الجزء الرابع ـ صفحة ١٣٧ .
هـ ـ عبد الله الشبراوي الشافعي : الإتحاف بحسب الأشراف ـ صفحة ٧٦ .
و ـ الفقيه الباحث محمـد أمين السويـدي العباسي البغـدادي الشافعي المـذهب : سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب ـ صفحة ٥٧ .

(٢١٠) راجـع : أ ـ العمـاد الحنبلي : شـذرات الـذهب في أخبـار من ذهب ـ الجـزء الثـاني ـ صفحة ١٢٩ .
ب ـ شمس الدين محمد بن طولون : الأئمة الاثنا عشر صفحة ١٠٧ .
ج ـ علي جلال الدين الحسيني : الحسين ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٠٧ .

تحت الشَّمْس يَعْمَلُ في مزرعته حتى يتصَّبَب ٱلْعَرَقُ من جسمه » .

ويذكر عبادته ، وإخلاصه في العبادة لربِّه عندما يجيء اللَّيْلُ ، فيُرينا إيَّاهُ راكعاً ، خاشعاً . . ساجداً على الرمل والحصى . . متوسِّلاً إلى الذات الأحديَّة . . وقد اشتعل قلبه بنار الوجد . . . فيقول : « وعندما يُقبل الليل ، يَتَّجهُ إلى رَبِّه ساجداً ، راكعاً خاشعاً ، ليس بين جبينه الوضاح ، وبين الأرض سوى الرَّمْل والحَصَى . . وإنَّهُ يُرَدِّدُ دُعاءَه المَشْهُورُ :

إلهـــــي !!
مُسيءٌ قد وَرَدَ . . .
وفقيرٌ قد قصَدَ . . .
لا تُخَيِّبْ مَسْعَاهْ . . .
واغْفِرْ له خَطاياهْ . . .(٢١١) .

* * *

كان للأئمة من أهل البيت منزلة مهيبةٌ عند حكام المسلمين ، رغم ما كانوا يُبَيِّتون لهم من كيدٍ تزول منه الجبال؛ بيد أنَّ هذه المهابَة كانت غافيةً في صميم العقل الباطن . . . وإذا حَدَث ما يجعلها تتوهَّجُ باليقظة في ساعة ما . . . امْتَدَّ عُنفوان الأنانية ، وكبرياء السُّلطان إلى ذلك التوهُّجَ فأخمد شُعلته . . .

تَشَهِّي الحكم المطلق ، وجعله قيصريّاً يرثه الأبناء عن الآباء . . .

ورواسبُ الجاهلية الوثنية من : طبقيَّة . . . وعائلية . . وفرديَّة . . هي التي كانت مستحوذة على عقول ونفوس الحكام . . وهي التي كانت تجعلهم يسيرون وَفْقَ رغباتها . . وشهواتها . . .

---

(٢١١) راجع : أ ـ عبد الوهاب البدري : الإمام العاشر علي الهادي ـ صفحة ٥٩ .
ب ـ الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ـ الجزء الحادي عشر ـ صفحة ١٥ .

كانت نفوسهم منطويةً على تلك الـرواسب انطواءً حَجَبَ عنهـا نور الإسلام . . .

وكـانت تلك الرواسب تتفجـر عنـدمـا يجلس أحـدهـم على أريكـة السُّلطة الماردة . . .

وكــان الأئمـة من أهــل البيت (ع) الهـدف الأول ، والضحــايــا البريئة . . . لسياسة الحكم المطلق . . وسياسة رواسب الجاهليَّة . . .

كـان الحكام يخشـون على حكمهم القيصري من أهـل البيت كما ذكرنا سابقاً .

أهل البيت طهرهم الله من الرجس . . .

ولهم مؤهلاتهم العلميَّة الفذّة الساطعة . . .

ذلك ميراث جدهم رسول الله ، ورثوه إماماً عن إمام . . .

ولهم أخلاقهم الرحمانية ـ القرآنية . .

وهم ذُرِّيَّةُ نبي الهدى والرحمة . . .

هــذه المنــاقب الغُــر جَعَلَت الحكــام قلقيـن على صــولـجــان الحكم . . .

بل كانت تريهم الأئمة في ذروة الفضائل الباذخة . .

وتُريهم ذواتهم قابعين في الحضيض .

فيتمطّى الحَسَدُ . . ويُبرز مخالبه السوداء . . .

وتبرز سياسة « الملك العقيم » . . .

وإذاً فلا مَفَرَّ من العمل لإبعاد الأئمة عن مقعد السلطة . . .

وبالرغم من حرارة الكيد الذي كانوا يواجهـونهم به . . فـإنّه كـان لهم في عقولهم الباطنة ـ كما قلنا ـ جذوة إكبـار يُغطيها تراب الحسد . .

وظلام الأنانية . . ودليلنا على ذلك أنّ أحدهم كان يستدعي الإمام ـ لوِشايةٍ سياسيَّة ـ ، وَقَلْبُهُ يَغْلي بضرام الشرّ عليه، ولكن ، ما أن يَرى الإمام يَدْخُلُ عليه ، حتى يُجلسَهُ إلى يمينه . . ثم ينتهي الأمر بأن يخلع عليه حُلل التكريم . . ويُعيده متوجاً بالتقدير . . مُشَيَّعاً بالاحترام . . .

وأمامي الآن رسالة كتبها المتوكل الخليفة العباسي المشهور بعدائه لأهل البيت (ع) إلى الإمام علي الهادي فاقرأها متأنياً . . متأمِّلاً . . . دارساً . . .

تقول رسالة المتوكل : « بسم الله الرحمن الرحيم . . .

أمّا بعد : فإنَّ أمير المؤمنين عارفٌ بقَدْرِكَ ، راعٍ لقرابتك ، موجبٌ لحَقِّكَ ، مؤثر في الأمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاحُ حالك وحالهم ، وتثبيت عزك وعزهم ، وإدخال الأمر عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضى الله ، وأداء ما افترضه الله عليه فيك وفيهم .

وقد رأى أمير المؤمنين صَرْفَ عبد الله بن محمد عمّا يتولّاه من الحرب والصلاة ، إذ كان على ما ذكرتَ من جهالته بحقك واستخفافه ، ولما رماكَ به ، وعزاكَ إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، ولما تَبَيَّنَ له من صدق نيتك ، وحُسْنِ طويتك ، وسلامةِ صَدْرِك ، وإنّك لم تُؤَهِّلْ نفسك بشيءٍ مما ذكره عنك ، وقد وَلّى أمير المؤمنين ما كان يليه عبد الله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله لمحمد بن فضل ، وَأَمَرَهُ بإكرامك ، واحترامك ، وتوقيركَ ، وتبجيلك ، والانتهاء إلى أمرك ورأيك ، وعدم مخالفتك ، والتقرّب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك .

وأمير المؤمنين مشتاقٌ إليك ، ويُحبُّ إحداثَ العهد بقربك ، والتَّيَمُّن بالنظر إلى ميمون طلعتك المُباركة ، فإن نَشَطْتَ لزيارته ، والمقام قِبَلَه ، وفي جهته ما أَحْبَبْتَ ، حَضَرْتَ أنت ومن آخْتَرْتَهُ من أهل بيتك . . على مُهْلَةٍ وطمأنينة ، تَرْحَلُ إذا شِئْتَ ، وتنزل إذا شِئْتَ ، وتسير

كيف شئت ، وإن أَحْبَبْتَ ، وحَسُنَ رأيك أن يكون يحيى بن هرثمة بن أعين . . مولى أمير المؤمنين ـ في خدمتك وَمَنْ مَعَهُ من الجند ، يَرْحلون لرحيلك ، وينزلون لنزولك ، فالأمر إليك في ذلك .

وقد كتبتُ إليه في طاعتك وجميع ما تحب ، فاسْتَخِرِ الله تعالى ، فما أَحَدٌ عند أمير المؤمنين من أهل بيته وولده وخاصّته أَلْطَفَ منزلةً ، ولا أَحْمَدَ أَثَرَةً ، ولا هو أَنْظَرُ إليهم ، وأبَرّ بهم ، وَأَشْفَقُ وأَسْكَنُ إليهم منك إليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » أهـ[٢١٢] .

ذلك هو كتاب المتوكل العباسي إلى الإمام الهادي ، فأنت تراه يقول له فيه ، إنّه يُجلُّه ، ويُجل أهل بيته . . . وهو إنّما يفعل ذلك طلباً لرضى الله ، وأداء حقّه ، وحقّ أهل البيت الذي فرضه الله عليه : « يبتغي بذلك رضى الله ، وأداء ما افترضه الله عليه فيك وفيهم . . . » .

ويقول له : إنّه صَرَف عن إمرة المدينة عبد الله بن محمد ، لأنّه لم يَرْعَ حَقَّ الإمام الهادي ، وولّى مكانه محمد بن فضل وأمره أن يُطيعه .

ثم يطلب منه أن يُوافيه إلى (سامرّاء) كونه مشتاقاً إليه . . . الخ . . . .

ليس قصدنا أن ندرس كتاب المتوكل دراسة سياسيّة . . . ولكن القصد أن نؤكد أن الحكام كانوا يعرفون مكانة أهل البيت من الإسلام . . .

ويعرفون مكانتهم من جدهم نبي الإسلام . . .

غير أنّ رغبة التفرّد بالسلطة . . . وفرض الحكم قيصريّاً . . . كان يضغط تلك المعرفة . . . ويرغمها على الاختباء في زوايا العقل الباطن حيث تستقر هناك تتحين الفرص للظهور حيناً . . بعد حين . . .

وأنت ترى المتوكل ـ مع اعترافه بمنزلة الإمام الهادي الشاهقة ـ

---

(٢١٢) راجع : ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة ـ صفحة ٢٦٥ .

يظهر نفسه أنّه سَيِّدُ العرشِ العباسي . . . فقد أورد كلمة « أمير المؤمنين» ثماني مرات في هذه الأسْطُر القليلة . . .

ثم يُري الإمام أنّه صاحب الجند . . وأنّه يعزل . . وَيُوَلّي . . . إذاً فهو : الآمر . . الناهي . .

وإنّي لأجزم أن نفسَهُ كانت تُريه الإمام الهادي نبراسَ العلم . . والهدى . . والجلال الروحاني الأصيل . .

وأنّها كانت تُقَرْقِرُ في مسامع قلبه : إنّ أمير المؤمنين الحق يتجلّى في الإمام الهادي الذي يعمر خلايا حياته ضياء الإسلام . . والذي هو مرجع علماء المسلمين العارفين في كل معضلةٍ علميَّةٍ . . . أو فقهيَّة . . .

ولا بُدَّ أنّه كان يضيقُ ذَرْعاً بحديث نفسه . . . فيتأفف . . . ويقول باستعلاء : كلّا . أنا أمير المؤمنين . . . أنا أمير المؤمنين . . أنا . . . وهذا قائم سيفي بيدي . . . فيسكن كل شيء . . . إلّا اضطراب جوارح المتوكل العباسي . . .

* * *

قلنا : إنّ أحرار المسلمين كانوا مُخلصين في حبهم لأهل بيت نبيِّهم . . .

ولقد كانت غصة هؤلاء المسلمين الأحرار جارحة أعمق ما تكون الجراح . .

وذلك حين كان يغدر الحكام بالأئمة من أهل البيت صلوات الله عليهم . .

ويأتي أبناءَ المدينة المنورة خَبرٌ يقول : إنّ المتوكل العباسي أرسل وزيره يحيى بن هرثمة ليحمل إليه الإمام الهادي . . . فتتعالى صيحاتُ جماهير الشعب من كل فج مستنكرةً عَمَلَ المتوكل . .

إنّهم يخافون أن يغدر به ، كما هو شأن الحكام مع آبائه الأئمة . . .

وكيف لا يستنكرون مسلك حاكم سامرّاء ؟؟ .

إنّ إحسان الإمام الهادي إليهم لا حدود له . . .

فهو ينفق من علمه على طلاب وأساتذة المعرفة . .

وهو يُنفق من ماله على جماهير الناس بلا حساب ، ولا سيما المحرومون .

وهو متفانٍ في العبادة . . . فمن بيته . . .

إلى العمل في أرضه . . .

إلى مسجد جدّه رسول الله . . .

وما دام الهادي كل هذا الألق الإسْلاميّ ـ الإنساني ، فلماذا يتعرض له سَيِّدُ « سامرَّاء » بالأذى ؟؟ .

ولكي نعرف مستوى غضب أبناء المدينة . . . نترك يحيى بن هرثمة يتحدث إلينا عن إعصار الغضب الذي عَصَفَ بأهل مدينة الرسول . . . ثم ماذا كان موقفه من الإمام بعدما رآه وَفَتَّشَ بيته . . .

قال : « . . . فَذَهَبْتُ إلى المدينة ، فلما دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سَمِعَ الناس بمثله خوفاً على علي (الهادي) وقامتِ الدنيا على ساق ، لأنّه كان مُحْسناً إليهم ، ملازماً للمسجد ، لم يكن عنده ميلٌ إلى الدنيا ، فَجَعَلْتُ أُسَكِّنُهُمْ ، وأحلف لهم أنّي لم أومَرْ فيه بمكروه ، وأنّه لا بأس عليه .

ثم فَتَّشْتُ منزله ، فلم أجد فيه إلّا مصاحفَ ، وأدعية ، وكُتُب العلم ، فَعَظُمَ في عيني ، وَتَوَلَّيْتُ خِدْمَتَهُ بنفسي وَأَحْسَنْتُ عشرته » .

ثم يذكر ابن هرثمة ما واجهه من أحداث بعد وصوله بالإمام إلى

العراق فيقول : « فلما قدمتُ به بغداد ، بدأت بإسحق الطاهري ، وكان والياً على بغداد ، فقال لي : « يا يحيى !! إن هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمتوكل مَنْ تعلم ، فإن حَرَّضْتَهُ عليه وقتله ، كان رسول الله خَصْمَكَ يَوْمَ القيامة » .

فقلت له : والله . ما وَقَعْتُ منه إلاّ على كل أمر جميل » .

أرأيت كيف ينظر رجل الفكر الحرّ إلى الإمام الهادي عليه السلام .

هو من ذُرِّية رسول الله المطهرة . . .

وإذا قتله المتوكل المعروف بعدائه المجنون لأهل البيت بتحريضٍ من ابن هرثمة . . .

فإنّ رسول الله يكون خصمه يوم القيامة . . .

ومن يكون رسول الله خصمه فهو حطبٌ لنار جهنم . . .

وحينما يصل سامراء ، وينقل إلى وصيف القائد التركي خبر مقدمه بالإمام الهادي ، يهدر في وجهه : حذارِ أن يُمَسَّ بأذىً . . . ثم يُحَمِّلُهُ مسؤوليةَ أيِّ ضَرَرٍ يَقَعُ على الإمام ، لِنُصْغِ إلى يحيى يقص علينا نبأ ما حصل بينه وبين وصيف .

قال ؛ « ثم صِرْتُ به إلى « سُرَّ مَنْ رأى » فَبَدَأْتُ بوصيف التركي ، فَأَخْبَرْتُهُ بوصوله .

فقال : « والله لئن سَقَطَتْ منه شَعْرَةً لا يُطَالَبُ بها سواك ، فعجبتُ كيف وافق قَوْلُهُ قَوْلَ إسحق . . . ويدخل يحيى على المتوكل فيسأله عن الهادي . . . فيخبره أنّه فَتَّش داره . . . وأنّه لم يجد فيها مالاً ، ولا سلاحاً . وأنّ أهل المدينة قد استقبلوه بهياجٍ صاخب . وأنّه بلغ من الزهد والورع قمةً جعلته فوق كل مُغرياتِ الدنيا . . .

لِنَسْتَمِعْ إلى ابن هرثمة يقول : « فلما دخلْتُ على المتوكل سألني

عنه ، فأخبرتُهُ بحسْن سيرته . . وسلامة طريقه . . وورعه ، وزهادته ، وأنّي فَتَّشْتُ داره ، فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم ، وأن أهل المدينة خافوا عليه »[٢١٣] .

تلكم فقرات عن الإمام الهادي نختمها بشهادة رجلين لهما وزنهما العلمي والاجتماعي هما : أبو عبد الله الجنيدي ، ويزداد الطبيب .

يقول أبو عبد الله الجنيدي ، ويقسم بالله على صدق ما يقول : « والله تعالى ، لهو خَيْرُ أهل الأرض ، وأفضل مَنْ برأه الله تعالى »[٢١٤] .

وقال يزداد الطبيب : إذا كان مخلوقٌ يعلم الغيب فهو »[٢١٥] .

* * *

الإمام الحسن العسكري

ما أن غاب وجه الإمام الهادي عليه السلام حتى خَلَفَهُ في مقعد الإمامة ولده الحسن العسكري . .

وماذا عسى أن نقول فيه وهو والد المهدي المنتظر (ع) ؟؟ .

إنّنا لا نجد في ذاكرتنا من الألفاظ ما يفيه بعض حقّه .

وإذاً ، فلنترك طائفة من أعلام الفكر الإسلامي يعرضونه كما استخلصت دراساتهم سيرة حياته التي لم تتجاوز الثمانية والعشرين عاماً . . .

هذا خير الدين الزركلي الكاتب الدمشقي المعاصر يقول عنه : « . . . وكان على سُنَن سلفه الصالح : تُقىً . . ونُسْكاً . . وعبادةً . . . » .

---

(٢١٣) راجع : سبط ابن الجوزي : تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة ـ صفحة ٢٠٢ .
(٢١٤) راجع : أبو عبد الله الجنيدي : مآثر الكبراء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٩٦ .
(٢١٥) راجع : محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ـ الجزء الثاني عشر ـ صفحة ١٣٧ .

هكذا كان كآبائه الأئمة الميامين . .

إنّهم يستوون جميعاً في حظيرة قُدْس قوله تعالى : ﴿ ذُرِيَّةً بَعْضُها من بعض ﴾ .

ثم يتحدث إلينا الزركلي عن مكانته في المجتمع . . . ـ تلك المكانة التي كانت لها السيادة على قلوب الناس جميعاً فيقول : « قال صاحبُ الفصول المهمة : « لما ذاع خبر وفاة الحسن ارْتَجَّتْ « سُرَّ مَنْ رأى = سامرَّاء » ، وقامَتْ صَيْحَةٌ واحدةٌ وعطلت الأسواق ، وغلقت الدكاكين » . وفي نور الأبصار : « . . . فكانت (سر من رأى) يومئذٍ شبيهةً بالقيامة »(٢١٦) .

أمّا الفقيه الشافعي عبد الله جمال الدين الشبراوي أحد شيوخ الأزهر السابقين ، فإنّه يرى الأئمة من أهل البيت كلًّا واحداً مترابطاً . .

فهم معادن العلم . . .

لا يوازيهم أحد من الناس . . .

وقد أراد كثير من الحكام أن يَغُضَّ من شأنهم . . .

ولكن الله يرفعهم . . . ويخذل الحكام . . .

ثم يبتهل إلى الله أن يُميتَهُ على حُبِّهم . . .

اقرأ كلماته المعجونة بماء الصدق والإخلاص . .

قال : « . . . ويكفيه شرفاً أن ٱلْمَهْدِيَّ المنتظر من أولاده ، فَلِلَّهِ دَرُّ هذا البيت الشَّريف ، والنَّسبَ الخِضَمِّ المُنيف ، وناهيكَ به من فخار ، وَحَسْبُكَ فيه من عُلُوٍّ مقدار ، فهم جميعاً في كرم الأُرومة ، وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون ، ولسهام المجد مقتسمون .

« فيا له من بيتٍ عالي الرُّتبة ، سامي المحلَّة ، فلقد طاول السِّماك

---

(٢١٦) راجع : أ ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ـ المجلد الثاني ـ صفحة ٢٠٠ + الشبلنجي الشافعي نور الأبصار ـ ص ١٨٥ .

ب ـ علي جلال الحسيني ـ الحسين ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٠٧ .

عُلىً ونُبْلاً ، وسَما على الفرقدين مَنْزِلةً وَمَحَلاً ، واسْتَغْرَقَ صفاتِ الكمال ، فلا يُسْتَثْنَى منه : بغير ، ولا بإلاَّ .

« انتظم في المجد هؤلاء الأئمة انتظامَ اللآلي ، وتنافسوا في الشرف فاستوى الأوَّلُ والتالي .

« وكم اجتهد قومٌ في خَفْضِ منارهم والله يَرْفَعُهُ ، وركبوا الصَّعْبَ والذلولَ في تشتيتِ شملهم والله يَجْمَعُهُ ، وكم ضيَّعوا من حقوقهم ما لا يُهمِلُه الله ولا يُضَيِّعُهُ » .

« أَحْيانا الله على حبّهم ، وأماتَنا عليه ، وَأَدْخَلنا في شفاعةِ من ينتمون في الشرف إليه صلى الله عليه (وآله) وسَلَّم »[٢١٧] .

ويُطْلعنا علي بن محمد بن أحمد نور الدين ابن الصَّباغ الفقيه المالكي المذهب المكي على مناقب الإمام العسكري فيصفه بأنّه إمام عصره بلا منازع ، ولا دافع . . .

وأنّ الحكمة تنسال عطراً من قلبه على لسانه . . .

وأنّه ينبوع العلم الذي لا ينضب . . .

وأنّه وحده الذي يستطيع أن يكشف الغطاء عن أنوار الحقائق الْعِلْمِيَّة . . .

تعالَ معي نَسْتَمِعْ إليه يقول : « مناقبُ سَيِّدنا أبي محمد الحسن العسكري دالَّةٌ على أنّه السَّريُّ ابْنُ السَّري ، فلا يَشُكُّ في إمامته أحد ولا يمتري ،

واعْلَمْ أنَّهُ إن بيعت مكْرُمَةٌ ، فسواهُ بائعُها وهو المشتري ، واحِدُ

---

(٢١٧) راجع : أ ـ عبد الله الشبراوي الشافعي : الإتحاف بحب الأشراف ـ صفحة ٦٨ .
ب ـ المؤرخ عبد الملك العصامي المكي : سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ـ ج ٤ ـ صفحة ١٣٧ .

زمانه من غير مُدافع ، ونسيجُ وَحْدَهُ من غير مُنازِع ، وَسَيِّدُ أهل عصره ، وإمامُ أهل دهره ، أقوالُه سَديدَةٌ ، وأفعالُه حميدةٌ ، وإذا كان أفاضل زمانه قصيدة فهو بيتُ القصيد ، وإن انتظموا عِقْداً كان مكانَ الواسطة الفريدة ، فارسُ العلوم الذي لا يُجارى ، ومُبَيِّنُ غوامضها فلا يُجادَلُ ولا يُمارى ، كاشِفُ الحقائق بنظره الصَّائب ، مُظْهِرُ الدقائق بفكره الثاقب ، المحدِّثُ في سِرِّه بالأمور الخفيّات ، الكريمُ الأَصْلِ ، والنَّفْسِ ، والذّات . . . ابن الأئمة . . أبو المنتظر . . الخ »(٢١٨) .

* * *

ثبت أنّ الرسول قال : « . . . وقرة عيني في الصلاة » .

وقد كان أولاده الأئمة يرون في الصلاة غناهم النَّفْسي وسموهم الروحي . . .

كانت الصلاة معراجَهم الأكرمَ إلى رحاب الملأ الأَعْلى . . .

كانت الصلاة الحِسَّ النقيَّ الذي يَصِلُهم بالرحمن الرحيم . . .

كانت الصلاة - بالنسبة إليهم - فناءً أمام الذات الأحديَّة . . .

ذلك أَمْرٌ انفردوا به ، وفاقوا البشر جميعاً بَعْدَ جَدِّهم نَبِيِّ الهُدى والرحمة . . .

وقد رأينا أعلام الفكر الإسلامي المتحرر من عبوديَّة الحكام . . والشهوات الظلمانية . . . يصفون الإمام أبا مُحَمَّد الحسن العسكري بأنّه :

---

(٢١٨) راجع : أ - ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة لمعرفة الأئمة - صفحة ٢٧٢ .
ب - سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص - صفحة ٢٠٣ .
ج - كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : مطالب السؤول - صفحة ٨٨ .
د - أحمد بن يوسف بن سنان القَرَماني - الدمشقي ، المؤرخ ، والمنشىء ، والذي كانَ يتولَّى النَّظَر في وقف الحرمين في دمشق : أخبار الدول وآثار الأول - صفحة ١١٧ .

« اسْتَغْرَقَ صفات الكمال فلا يُسْتَثْنى منه بغير ، ولا ، إلاَّ . . » .

وبأنّه « كان أَوْحَدَ زمانه في : الفضل ، والعفاف ، والزهد ، والعبادة . . . » (انظر : علي جلال الحسيني ـ الحسين ـ ج ٢ ـ ص ٢٠٧) .

وأنّه « كان على سُنَنِ سَلَفه الصالح : تُقىً . . . ونُسْكاً . . وعبادةً . . . » .

وأنّه « سَيِّدُ أهل عصره ، وإمام أهل دهره . . . الخ (راجع ما مرَّ بك) .

ومع هذه العَظَمة الروحيَّة . . والعلميَّة . . والأخلاقيَّة . . فقد كان ـ كآبائه الأئمّة ـ يُقْسَرُ على دخول ظلام السِّجْنِ بين الحين . . . والحين . . عملاً بوشاية مُتَزَلِّفٍ للسُّلْطَةِ . . . أو ناصبيٍّ يُبْغِضُ أهل البيت . . أو طامع في مركز سياسيٍّ . . . وكانت تلك الوشايات تجد هوىً في قلب أرباب السُّلْطَان ، فيأمرون بإلقاء الإمام في غَيابة السِّجْن ، لينعم الحكم المطلق بالطمأنينة على سلامة العرش . . . ويظل بمنجى من الرقيب . . . والحسيب . . والموجِّه إلى محكم الرشاد . . . .

وكان أقطابُ الأسْرَة العبَّاسيَّة يُحَرِّضُون المسؤولين في السُّلطة على إنزال الأذَى الصارم ، بالإمام من أهل البيت ، حتى وهو في غَيابة السِّجْن . . .

إليكم حادثةً من حوادث متعددة جرت للإمام أبي محمد نأخذها عن ابن أبي الفتح الإربلي ، قال : « دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حُبِسَ أبو محمد عليه السلام ، فقالوا له : « ضَيِّقْ عليه » .

فقال صالح (مدير السجن) : « ما أصنع به ، وقد وكَّلْتُ به رجلين شَرَّ مَنْ قَدِرْتُ عليه ، فقد صارا من : العبادة والصَّلاة ، والصِّيام إلى أمْرٍ عظيم .

ثم أمر بإحضار الموكَّلين ، فقال لهما : « وَيْحُكمـا ما شـأنكما في أمر هذا الرجل ؟؟

فقالا له : « ما تقول في رَجُلٍ يصوم النهار ، ويقوم الليل كُلَّه ، لا يتكلمُ ، ولا يتشـاغل بغيـر العبادة ، فـإذا نظر إلينـا أُرْعِـدَتْ فـرائصنـا ، وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا » .

فلما سمع العباسيّون ذلك انصرفوا خائبين » أهـ(٢١٩) .

هكذا يطلبون من الحاجب أن يوقع بالإمام الأذى . . .

ويبدو أنّ هذا لم يكن بحاجة إلى تحريض . . .

قال للعباسيين : لقد فَوَّضْتُ أمره إلى رجلين ،

هما من شرار خلق الله . . وأوصيتهما أن يَعْنُفا به . .

ولكنهما بعدما عرفاه . . . أصبحا مؤمنين صالحين . . .

ولكي يُثْبِتَ إخلاصه الحميم للعرش العباسي ، أحضر الرجلين ، وقال لهما :

لكمـا الويـلُ ، لماذا لم تمتثـلا أمـري ، وتُنـزلا المشقَّة بـالحسن العسكري ؟؟ .

فأجابا : كيف نفعل به ذلك ، وهو عَبْدٌ صالح ، هَمُّهُ منصرفٌ إلى عبادة الله ومناجاته . . . ؟؟ .

ثم قـالا : وإذا خـطر أن نبـدأه بـأذىً ، نـظر إلينـا ، فتضـطرب قلوبنا . . . ثم تلين له ، وقـد امتلأت إكبـاراً له واحتـراماً . . . ويتفـاعل كلامهما في نفوس القوم . . .

---

(٢١٩) راجـع : أـ المحقق أبـا الحسن علي بن عيسى ابن أبي الفتـح الأربلي : كشف الغمـة في معرفة الأئمة ـ الجزء الثـالث ـ صفحة ٢٠٤ ـ طبـع دار الكتاب الإسـلامي ـ لبنان ـ بيروت ـ سنة ١٤٠١ هـ =١٩٨١ م .

إنّها خصوصيّات أهْلِ البيت المحمدي . . .

فيصمت الحاجب . . . ويصمت العباسيون . . وينصرفون ناكسي الرؤوس . . . وينصرف الرجلان ظاهريْن . . .

* * *

والإســــلام في خَطَر . .

وحين يكون الإسلام في خطر . .

مَنْ يَدْفَعُ عنهُ الخطر . . ؟؟ .

مَنْ يَحْفَظُ له إشراقته الأصيلة ؟؟؟ .

مَنْ يُرسِّخُ عقائده ومناهجه ؟؟ .

من ؟؟

لا أحد ، إلَّا الأئمة من أهل بيت رسول الله . .

فعليٌّ حَفِظَ الإسلام في نبيه ، حين نـام في فراشـه ليلة الهجرة ، وحماه من سيوف الشرك الباغية . . وعليٌّ حفِظ الإسلام ، وأرسى قواعده الرحمانية في قلب الحياة الإنسانيَّة ، في مجالدة الوثنية الطاغية . . . في غزوات : بدر ، وأُحُد ، والخندق ، وخيبر ، وحُنين . . .

والحسن كـان له دوره الحميـد في صيانـة الإسلام لـو وفى معاويـة بالعهود . . .

والحسين حفظ بدمه الزكي الإسلام من الضياع . . .

وعليٌّ بن الحسين . . والبـاقـر . . والصـادق . . و . . . و . . كُـلٌّ منهم قام بدوره بالعمل البنَّـاء الذي يُعِـزُّ الإسلام ، ويُبْقي صَـرْحَهُ بـاذخاً يُطاولُ السَّماء كِبْراً . . وجلالاً . . . وخلوداً . . .

وأبـو محمد الحسن العسكـري أدّى دَوْرَهُ الفَعَّال في دَرْءِ المخـاطر عن الإسلام . . .

ولا أرى أَمْجَدَ من أن نُقَدِّم حادثة تاريخيَّة ، كادَتْ تُزَعْزِعُ مِصْداقيَّةَ الإسلام في نفوس القوم لولا أن تداركها الإمام الحسن العسكري . . .

من كتـاب : نور الأبصـار للشيـخ مؤمن الشَّبَلَنْجي الشَّـافعي أنقـل إليك الحادثة ، كما سَطَرَّتْها يراعَتُهُ . . .

قـال : « . . . قَحِطَ الناس (بسُـرِّ مَنْ رأى) قَحْطاً شَـديداً ، فـأمـر الخليفةُ : المعتمد على الله بن المتوكّل بخـروج الناس إلى الاسْتسقـاء ، فخرجوا ثلاثة أيام يَسْتَسْقون ، فلم يُسْقَوْا .

فخـرج الجـاثليقُ في اليـوم الـرابـع إلى الصَّحْـراء ، وخـــرج معـه النصارى والرهبان ، وكان فيهم راهبٌ ، كلّما مَدَّ يَدَهُ إلى السَّماء هَـطَلَتْ بالمطر ، ثم خرجوا في اليوم الثاني ، وفعلوا كفعلهم أول يـوم ، فهطلت السماء بالمطر ، فعجب الناسُ من ذلك ، وداخل بعضهم الشـكُّ ، وَصَبَاً بعضهم إلى دين النصــرانيَّـة ، فَشَقَّ ذلــك على الخليفـة ، فــأنفـذ إلى صالح بن يوسف : أن أَخْرِج أبا محمد الحسَن من السِّجْن ، وائِتني به .

فلمـا حضر أبـو محمد الحَسَن عنـد الخَليفة ، قـال له : أَدْرِكْ أُمَّـةَ محمد فيما لحقهم من هذه النازلةِ العظيمة .

فقال أبو محمد : دَعْهُمْ يخرجون غداً اليوم الثالث .

فقال له : قـد اسْتَغْنى الناسُ عن المـطر ، واسْتكفوا ، فمـا فائـدةُ خروجهم ؟؟ .

قال : لأُزيلَ الشَّكَّ عن الناس ، وما وقعوا فيه .

فأمر الخليفة الجاثليقَ والرهبان أن يخـرجوا أيضـاً في اليوم الثـالث على جـاري عادتهم ، وأن يَخْـرُجَ النـاسُ ، فَخَـرَجَ النصـارى ، وخـرج

معهم أبو محمد الحسن ، وَمَعَهُ خَلْقٌ من المسلمين ، فَوَقَفَ النصارى على جاري عادتهم يَسْتَسْقون وَخَرَجَ راهبٌ معهم ، وَمَدَّ يديه إلى السَّماء ، وَرَفَعَتِ النصارى والرهبانُ أيْدِيَهُمْ أيضاً كعادتهم ، فَغَيَّمَتِ السماء في الوقت وَنَزَل المطر .

فأمر أبو محمد الحسن بالقَبْضِ على يد الراهب وَأُخْذِ ما فيها ، فإذا بين أصابعه عَظْمُ آدَميٍّ ، فَأَخَذَهُ أبو محمد الحَسَن وَلَفَّهُ في خِرْقَةٍ ، وقال لهم : اسْتَسْقوا .

فانْقَشَعَ الغَيْمُ ، وَطَلَعَتِ الشمس ، فَتَعَجَّبَ الناس من ذلك ، وقال الخليفةُ : ما هذا يا أبا محمد ؟؟!!

فقال : هذا عَظم نبيٍّ من الأنبياء ، ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء ، وما كُشِفَ عن عظم نبيٍّ من الأنبياء تحت السماء إلاَّ هَطَلَتْ بالمطر .

فاستحسنوا ذلك ، وامتحنوه ، فوجدوه كما قال » أهـ .

وَيُعَلِّقُ شيخ الشافعية على ما أورده فيقول : « رواه غير واحد »(٢٢٠) .

ذلكم هو المعتمد حفيد المتوكل تضيق عليه الأرض بما رَحُبَتْ . .

إنّه يرى العرش العباسي يترجرج . . كأنّما هو شجرةٌ تَلُفُّها عاصفةٌ مجنونة . .

أمْرٌ عَجَبٌ . . .
راهبٌ يبسط كَفَّيْهِ إلى السماء داعياً . . .
فإذا هي تزدحِم بالغيوم السوداء . . .
ثم إذا هي تَصُبُّ الماءَ صَبّاً . . .

---

(٢٢٠) راجع : الشيخ مؤمن بن حسن الشَّبَلَنْجي الشافعي : نور الأبصار صفحة ١٨٤ ـ وبهامشه ، إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى للشيخ محمد علي الصبان الشافعي أيضاً .

والناس الذين رأوا . . والذين سمعوا . . .

كل هؤلاء أخذ الشَكُّ بنورانية الإسلام يلوك قلوبهم . . ويتغلغل في عقولهم . . .

وهو يقف أمام هذه الأحداث قطعةً من جليد . . .

وَيَتَبَصَّرُ الرجل . . .

هل ثَمَّةَ طاقةٌ تستطيع أن تعيد للناس ثقتهم بالإسلام دين الله . . .

وتعيد إليه روح الطمأنينة ببقاء عرشه بمنجى من عاديات السقوط ؟؟ .

وتلوحُ له في آفاق تأمُّلِهِ بارقَةُ رجاء يَرْتاحُ إليها . . وَيَهُشُّ لها . .

فيقول لنفسه القلقة ، ليوحيَ إليها بنعيم الهدوء : لقد وَجَدْتُ مفتاح الفرج . . .

لقد خَطَرَ في باله الإمام أبو محمد الحسن العسكري . .

وتطيبُ روحُه لهذه الخاطرة الكريمة . . . ثم يغوص في بحر الذكريات . . .

بالأمس حين استوى على سُدَّة الحكم ، مضى إليه بنفسه ، وَتَوَسَّلَ إليه أن يدعو له أن يبقى (خليفةً) عشرين عاماً ويجيبه إلى مطلبه ويدعو له . . .

ثم لا يلبث إلّا قليلاً حتى يَضَعَهُ في غيابة السجن . .

إنّ عمله ظلم لأبي محمد إمام : العلم . . والأخلاق . . والعبادة . . والكرم . .

ولكنه ظُلم توجبُهُ وقايةُ عرشه من التداعي . . .

فهو يخشى ، كما خشيَ من كان قبله من أرباب السلطان من اتّصال جماهير الشعب بالإمام . .

لأنّ ذلك الاتصال قد ينتج عنه حركـة شعبيَّة تنقـل السلطة من أبناء العباس . . إلى أبناء علي . . .

وهذا يرفضه رفضاً قاطعاً ولو ضَحَّى بالإمام نفسه . . .

إذن لا بدّ من عَزْله عن الشعب حتى لا يصل إليه أَحَدٌ . . .

وإن نفسه الخاطئة فرحَةٌ لهذا العمل الوقائي الظالم . . .

ولكن هي ذي عَقَبَةٌ صلعاء تَسُـدُّ عليه منـافذ تـطلّعاتـه السعيدة إلى المستقبل . . .

وما من أحد يستطيع تعبيد هذه العقبة إلّا الإمام العسكري . .

ويبعث إليه فيخرجه من السجن . . ويتحدث إليه عما جرى بلهجة يمتزج فيها الخوف بالألم . . .

ويكتشف الإمام بما عنده من علم حيلة الراهب . .

ويعود للخليفة صفاؤه . . .

وتعود للشعب ثقته بالإسلام . . .

ولقد كان شأن الحكام السابقين مع الأئمـة الذين عـاصروهم شـأنه هو مع أبي محمد عليه السلام . . .

كانوا إذا نَزَلَ بهم أمر مُعْضِلٌ فزعوا إلى الإمام يَسْأَلونه خاشعين . . فَيُجِيبُهُمْ . . ويكشفُ عنهم الكُرَبَ وَيُـذهبُهـا . . . ويُخـرجُـهُ من تقليب صفحـات الذكـريـات أصـواتُ الجمـاهيـر التي هَـزَّ مشـاعـرهـا نفحـات السرور . .

وينظر إلى الإمام بإكبار . . ويسمح له بالذهاب إلى مَسْكَنِهِ . . .

* * *

الإمـام المهـدي

عرفنا قلوبُ الأئمة مَعيناً تَتَـدَفَّقُ بالـرقِة والحنـان على المستضعفين في الأرض من : الفقراء والمساكين . . والإمام أبو محمد إنّما هو الغُصْنُ الحـادي عَشَـر من أغصـان شجـرة الأئمـة الـذين شَهِـدَ لَهُمُ القـرآن بـالطهـارة . . . وحسبنا أن نـذكر مـا أنفقه على المعـوزين يوم ولادة ابنـه محمد الحجّة المنتظر عليه السلام . . .

لقد أغنمته هذه المناسبة المباركة فرحتين :

الأولى : ولادة ولده محمد المهدي الإمام الثاني عشر .

الثانية : إنفـاقه على المحـرومين إنفاقـاً ينسجم مع جـلال الحدث التاريخي العظيم . .

يقول محمد الصدر : « . . . ويأمُـرُ الإمامُ العسكـري أبا عمـرو ، وعثمـان بن سعيد ، وهـو أَخَصُّ أصحابـه لديـه . . أن يَعُقَّ عن المـولـود الجديد عدداً من الشِّياه . . .

وأن يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز . . .

وعشرة آلاف رطل من اللحم . . .

ويوزعها (سرّاً) على الفقراء . . . الخ »[٢٢١] .

فأنت ترى أنّ ولادة المهدي الإمام الثاني عشر حقيقة ساطعة . . .

وأما غيابه ـ خوف الطغيان ـ فحقيقة واقعة . . .

وأمّا ظهوره حين يشاء الله فحقيقة ناصعة . . .

وأن يُصحح انحرافات المجتمع الإنساني . . .

---

(٢٢١) راجـع : محمـد الصـدر : تـاريـخ الغيبـة الصغـرى ـ صفحـة ٢٦٩ ـ طبعـة ثـالثـة سنة ١٤٠٦ هـ =١٩٨٦ م (دار التعارف) .

وأن يُطفيء نيران الظلم من المجتمع البشري . . .

وأن يُقَوِّضَ بنيان الشِّرك والوثنيَّة . . .

وأن يَعِيْشَ النـاسُ أيام حُكْمـه إخوانـاً في ظـلال عـدالـة الإسـلام الاجتماعيَّة . . والاقتصاديَّة . . والإنسـانيَّة . . فـذلك كُلُّهُ مـا شَهدَ لـه به جَدُّه نبيُّ الهدى والرحمة .

قال : « لو لم يَبْقَ من الـدنيا إلاّ يَـوْمٌ لَبَعَثَ الله فيه رَجُـلاً من أَهْلِ بَيْتي يَمْلأُها عَدْلاً كما مُلِئَتْ جُوراً » .

وحَسْبُ محمـد بن الحسن العسكـري فضـلاً وَعُلُوّاً هـذه الشهـادة المتّفق عليها من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

والأحاديث الواردةُ في المهدي كثيرة وَمُتَّفَقٌ عليها . . .

وقد أُلِّفَتْ في المهدي كتب كثيرة . . .

وفي عام ـ ١٩٧٦ ـ أصدرت إدارة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لـرابـطة العـالـم الإسـلامي في مكـة المكـرمـة فتـوى تُثْبِتُ : ولادة المهدي . . . وغيابه . . وظهوره حينما يأذن الله .

تقـولُ الفتوى بعـدِ تعريفـه . . وأنّه المهـديُّ المـوعـود المنتـظر : « موعد خروجه في آخر الزمان ، وهو من علامات السَّاعَةِ الكبرى » .

ولكن . . .

هل هنالك دلائلُ يُعْرَفُ بها ظهورُه ؟؟ .

وما هو العمل الذي يقومُ به ؟؟ .

تقول الفتوى : « ويظهر عند فَسَاد الزَّمانِ ، وانْتِشَـار الكُفْر ، وظُلْمِ الناس ، وَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً وَقِسْطاً ، كما مُلِئَتْ جُوراً وظلماً » أهـ .

ثُمَّ تزيدُنا معرفةً بالمهـديِّ فتقول : « وهـو آخر الخلفـاء الراشـدين

الاثني عشر الذين أخبر عنهم صلوات الله وسلامهُ عليه في الصحاح » أهـ .

ثمّ تُعَلِّمنَا أنّ الصحابة الذين ذكروا أحاديث الرسول في الإمام المهدي كثيرون ، وتُسَمِّي عشرين منهم ، وَتُعَقِّبُ على ذلك فتقول : « هؤلاء عشرون منهم » .

وتذكر بعد ذلك : السُّنَنَ ، والمعاجم ، والمسانيد التي خَرَّجَتْ أحاديث رسول الله في المهدي ، فإذا هي أربعة عشر سَمَّتْها ، وَسَمَّتْ مؤلفيها ، كما سَمَّتْ سِتَّةً من المحدِّثين الذين ألفوا كتباً خاصَّة بالمهدي عليه السلام ثم تقول : « وَقَدْ نَصَّ على أنَّ أَحاديثَ المهدي متواترة جَمْعٌ من الأعلام قديماً وحديثاً » أهـ .

ويجيءُ في ختام الفتوى : « وإنَّ الاعتقادَ بخروج المهدي واجِبٌ ، وإنّه من عقائد أهل السُّنَّةِ والجماعة ، ولا يُنكره إلاّ جاهلٌ في السُّنَّة ، وَمُبْتَدِعٌ في الْعَقيدةِ » انتهى(٢٢٢) .

* * *

شعراء الإسلام وأهل البيت

وكما كان الأئمة الاثنا عشر قبلة أرفع العلماء دَرَجَةً في : الحديث . . . والفقه . . والشعر . . فقد كانوا قبلةَ أَنْبَهِ شعراء العربية . . .

ولهؤلاء الشعراء تجاربُ مع أصحاب السلطان تكشفُ عن ولائهم الصادق لأهل البيت . . وتحملهم الأذى فيهم تقرّباً إلى الله ورسوله ،

---

(٢٢٢) راجع : مرتضى مطهري : نهضة المهدي من صفحة ١٠ ـ ١٤ ـ فقد أورد الفتوى بنصها الكامل ـ طبعة ثالثة ـ ١٤٠٧ هـ =١٩٨٧ م . طبع دار التعارف ـ لبنان ـ بيروت ـ وقد حَرَّرَ الفتوى : الشيخ محمد المنتصر الكتاني ، وأقرته اللجنة المؤلفة من : الشيخ صالح بن عُثَيْمين ، والشيخ أحمد محمد جمال ، والشيخ أحمد علي ، والشيخ عبد الله خياط .

كما تكشف عن موقف « ديكتاتورية » الحكم المطلق ، ورصده العقاب لمن يُعلن ولاءه لأهل البيت النبوي . .

وَيَنْفُسُ عندي أن أقدم ـ على سبيل المثال ـ بعضاً منهم .

* * *

نحن في مكة المكرمة . . وفي موسم الحج . . .

وهذا بيت الله الحرام . . .

وهذه جماهير المسلمين تطوف بالبيت العتيق . . ثم يتزاحمون على استلام الحجر الأسود . .

وهذا هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الخليفة ، وولي عهده يدخل البيت ومعه زُمرٌ من أبناء الشام يطوفون بالبيت . . .

وينتهي هشام من الطواف . . ويتجه إلى الحجر الأسود ليستلمه . . ولكنّه لم يستطع أن يخلص إليه . . فالناس كُثرٌ ، والإقبال على استلام الحجر الأسود شديد . . .

ولم يشفع له أنّه وليُّ العهد . . . وصاحب السلطان . . بل تجاهله الجميع ، حتى أنّه لم يُبالِ به أحد . . .

فيتراجـــع . . .

ويمضي الشآميون ، فيرفعون لـه منبراً إلى جانب زمزم في الحطيم ، فيجلس عليه منتظراً خِفَّة الزحام . . .

وَمُدَّ بصرك قليلاً . . وٱنْظُرْ . . فهذا شابٌ وسيم يدخل بيت الله ، ويطوف به ، وبعد الفراغ من الطواف يتوجّه إلى الحجر الأسود كي يستلمه . . .

كان الزحام على استلام الحجر الأسود ما برح شديد الحرارة . . .

ولكنَّ الناس حين رأوه أفسحوا له باحترام وإجلال حتى استلم الحجر . . .

ويرى الشّاميون ذلك فيدهشون . . .

« وليُّ العَهْـد » ـ صاحب السلطة العليـا في البلاد ، لم يفسـح لـه أحد . . ولـم يكترث به أحد . . .

وهـذا يفسـح لـه النـاس ، وينـظرون إليـه بعيـون تشع بـالإكبـار والإعجاب . . .

وراحـوا يتناجـون فيما بينهم : مَنْ هـذا الـذي هـابـه النـاس هـذه المهابة ، فَتَنَحّوا عنه يميناً وشمالاً ؟؟؟

وَيُقْبلُ أحدهم على هشام يسأله عن هذا الشاب . . .

كان الشاب الإمام زين العابدين « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) .

وكـان هشام يعـرفه ، ولكنـه خاف إذا ذكـر لهم اسمـه أن يـرغبـوا فيه ، . . . ويميلوا إليه . . ولـذلك قـال له بجَفـاء والقوم يَسْمعـون : مَنْ هذا . . ؟؟ لا أعرفه . . .

ويُلقي الصَّمْتُ سكـونَـهُ المخمليَّ على القــوم . . . فـلا حسَّ ولا حركة . . .

وبعـد ثوانٍ يعلو صـوتٌ حادٌّ يُمَـزِّقُ غـلائـل السُّكـون يقـول : أنـا أعرفُهُ . .

وينـظُر الجميعُ إلى مَصْـدَرِ انْبعاثِ الصَّـوْت . . فإذا رجُـلٌ ينتصبُ بقامته الفارعة ، شامخَ الجبين . . . براق العينين . .

أوه . . .

إنّه الفرزدقُ الشاعر العربيُّ المعروف .

فقيل له : من هو يا أبا فراس ؟؟!! .

فقال يُعَرِّفُهُ :

هـذا الـذي تـعْـرفُ الـبَـطْحَـاءُ وَطْـأَتَـهُ
وآلْـبَـيْـتُ يَـعْـرِفُـهُ ، والـحِـلُّ والـحَـرَمُ
هـذا ابـنُ خـيـر عـبـاد الله كـلهـم
هـذا الـتَّـقـيُّ الـنـقيُّ الـطَّاهـرُ الـعَـلَمُ
يُـنـمـى إلـى ذرْوَةِ الـعِـزِّ الـتـي قَـصَـرَتْ
عـن نَـيْـلهـا ، عَـرَبُ الإسْـلام والـعَـجَـمُ
هٰـذا ابْـنُ فـاطِـمَـةٍ إنْ كُـنـتَ جـاهِـلَهُ
بِـجَـدِّهِ أنـبـيـاءُ الله قـد خـتـمـوا
وَلَـيْسَ قَـوْلُـكَ : مَـنْ هٰـذا بَـضـائِـره
الـعُـرْبُ تَـعْـرِفُ مَـنْ أنْـكَـرْتَ والـعَـجَـمُ
إذا رأتْـهُ قُـرَيْشٌ ، قـال قـائـلُهـا
إلـى مـكـارم هـذا يـنـتـهـي الـكَـرْمُ
مُـشْـتَـقَّـةٌ مِـنْ رَسُـولِ الله نَـبْـعَـتُـهُ
طـابَـتْ عـنـاصِـرُهُ والـخـيـمُ والـشِّـيَـمُ
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ ، حُـبُّـهُـمْ دينٌ ، وَبُـغْـضُـهُـمُ
كُـفْـرٌ ، وقـربُـهُـمُ مَـنْـجى وَمُـعْـتَـصَـمُ
إنْ عُـدَّ أَهْـلُ الـتُّـقى ، كـانـوا أئـمـتـهـم
أو قيـل : مَنْ خَيْرُ أَهْـلِ الأرض؟؟ قيـل : هُمُ
لا يَـسْـتَـطيـعُ جـوادٌ بُـعْـدَ غـايـتـهـم
ولا يُـدانيـهـمُ قـومٌ، وإن كَـرُمـوا
مُـقَـدَّمٌ بـعـد ذِكْـرِ الله ذِكْـرُهُـمُ
فـي كُـلِّ بَـدْءٍ ، وَمَـخْـتـومٌ بـه الـكَـلِمُ
مَـنْ يَـعْـرِفِ الله يَـعْـرِفْ أَوَّلـيَّـةَ ذا
فـالـدِّينُ من بَيْـتِ هٰـذا ، نـالَـهُ الأُمَـمُ

كـان كُلُّ بيتٍ من أبيـاتِ القصيدة ينسكب في إحسـاس هشام مـا حارّاً يَحْرِقُ أعصابه . . .

ماذا يفعل ؟؟

كيف يتصرف ؟؟

حُجّاج بيت الله الحرام ازدروه ، ولم يُفْسحوا له ليَلْمَسَ الحجر الأسود . .

أمّا علي زين العابدين ، فقد أفسحوا له ، وابتهجوا به ، وكأنّما هو آيةٌ قرآنيَّة أنزلها عليهم العزيز الحميد . . . وهذا الشاعر يعرضُ الإمام زين العابدين نَجْماً وَضّاءً متوهِّجاً بأنوار الله . .

وهو لا يستطيع أن يُكَذِّبَهُ في شيءٍ ممّا يقوله . . .

ولو لم يكن هؤلاء « الأعيان » من دمشق حاضرين ، لرأى الأَمْرَ طبيعياً ، لا يُهيجُ غضباً . . ولا يُثير توجُّعاً . . .

كيفَ ينظرُ إليه أبناءُ الشام وهم عِدَّةُ دولته بعدما سمعوا ما سمعوا . . . ؟؟

زين العابدين ابنُ الرسول الأعظم محمد . . .

وَقُرَيْشٌ قبيلة الرسول . . والمسلمون جميعاً يرونه عملاق المكارم . . . والمحامد . . .

وَحُبَّ علي زين العابدين وأهل بيته إيمانٌ . . وَبُغْضُهُمْ كفرٌ . . .

والسابقون ، السابقون في حَلْبَة الأمجاد والمعالي مقصرون عن اللَّحاقِ بهم . . وإن طابَتْ أرومتُهم فأين أصبح بنو مروان ؟؟؟ .

لقد انْبَثّوا هَبَاءً . . .

ماذا يفعل بهذا التميمي الذي فَضَحَهُ . . وأبانَهُ للنَّاسِ سِلْعَةً بائرة . . . ؟؟ .

أيأمر بقتله ؟؟ .

ويتأمَّل في العواقب . . .

إذا قتله ، فقد تثور قبيلتُهُ غَضَباً لمقتله . . . وقد تجر قبيلته إلى الثورة قبائل أخرى . . .

وهؤلاء الحجاج الذين يملأون مكة . . والذين استهانوا به . . ربما امتدت أيديهم إليه بما يستأصله . . . وذلك كُلُّه أَوْ بَعْضُهُ شَرٌّ مستطير . . .

إذاً ، فَلْيَصْبِرْ . . . وَلْيَكْبِتْ عواطفَهُ المشتعلة . . . وَيُظْهِرْ اللامبالاة . . .

وينتهي الفرزدق من إلقاء قصيدته . . . وَيَهُمُّ أن يَجْلِسَ . . .

ولكنَّ هشاماً لم يَتْركه يجلس . .

كان لا بُدَّ أن يَفْعَلَ شيْئاً . . .

أَمَرَّتَيْنِ يُهانُ « صاحبُ الأَمْر » وَيَسْكُت . . ؟؟ .

وينظر إلى الفرزدق بعينين تكادان تبصقان الشرر . . .

ثم يلتفت إلى شرطته ويقول لهم بكبرياء السلطان ، وبلهجةٍ ظهر في نبراتها حُمْرَةُ الغضب : « خذوه . . فاسجنوه في « عُسْفان » . . . . [(٢٢٣)] .

وَيُعَلِّقُ كُلٌّ من : ابن حجر الهيثمي ، والشيخ مؤمن بن حَسَن الشَّبَلَنْجي ، وكلاهما شافعيُّ المذهب ، والشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب تعليقاً يكاد يكون واحداً على عمل هشام . . وَعمَّا تَوَلَّدَ عن عمله . . .

اخترنا منها تعليقَ القُندوزي الذي نقل بدوره ملاحظة شيخ الحرمين ، قال : « فلمَّا سمعها هشام ، وَحَبَسَ الفرزدق ، فأرسل إليه

---

(٢٢٣) عُسْفان قَرْيَةٌ جامعة بين مكة والمدينة . راجع ، ياقوت الحموي ـ معجم البلدان : المجلد الرابع ، طبع دار صادر ـ بيروت (١٩٧٩ م) .

الإمام زين العابدين اثنيْ عشر ألف درهم ، فَرَدَّها ، وقـال : « مَدَحْتُـهُ لله تعـالى لا للعطاء » فقـال : « إنَّا أهـل بَيْتٍ إذا وَهَبْنا شيئاً لا نستعيده » ، فقبلها الفرزدق .

ثم يورد القندوزي تعليق شيخ الحرمين على الحادثة فيقول : « قال الشيخ أبو عبـد الله القُرظي شيـخُ الحرمينِ الشـريفين : « لو لم يكنْ لأبي فراس عند الله عَزَّ وَجَلَّ إلاّ هذا دَخَل الجنَّة ، لأنّها كلمةُ حَقٍّ عند سلطان جائر » أهـ .

ثم يقـول القندوزي : وهجـا الفـرزدقُ هشـامـاً وهـو في الحبس ، فقال :

أَيَحْبِسُنـي بيـن المـديـنـة والتـي
إليهـا قلوبُ النـاس يهـوى مُنيبُهـا
يُـقَـلِّبُ رَأْسـاً لـم يَـكُـنْ رَأْسَ سَـيِّـدٍ
وَعَـيْنـاً لـه حَـوْلاء ، بـادٍ عـيـوبُهـا

فَـأَخْرَجَـهُ من السِّجْنِ ، وكان هشـامٌ أَحْوَل » انتهت كلمـات الشيخ القندوزي .[٢٢٤]

ولا يَسَعُني إلَّا أَنْ أَطْلُبَ إليك أن تنظُرَ في قـول شيـخ الحـرمين الشـريفين : « لو لم يكن للفـرزدق عَمَلٌ صـالح غيـر هذه القصيـدة دخل الجنة » .

وإذا سألته لماذا ؟؟؟ .

---

(٢٢٤) راجـع : أ ـ الصـواعق المحـرقـة (الفصـل الثـالث) تحت عنـوان : زين العابـدين ـ صفحة ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

ب ـ نـور الأبصـار ، تحت عنـوان (في منـاقب سَيِّـدنـا عَليٍّ بن الحُسَيْن ، زين العابدين) صفحة ١٥٥ و١٥٦ .

ج ـ ابن المغازلي : المناقب ـ صفحة ٣٩٣ ـ الحديث ٤٤٧ .

د ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ، الباب الثالث والستون من صفحة ٦ ـ ٨ .

قال لك : « لأنّها كلمةُ حَقٍّ عند سُلْطانٍ جائِر » .

فـأنت تُبْصِـرُ في هــذه الكلمـات المــدى البـاسِقَ لحُبِّ علمــاءِ المسلمين لأهل البيْت . . وتقديسهم لهم ، صلوات الله عليهم .

وَتُـدْرك أيضاً السُّخْطَ المـاردَ على السُّلْطةِ الحاكمـة الجـائـرة . . . والكراهيةَ العميقةَ لها .



الفصـــل العاشـــر

حُبُّ أهل البيت عقيدةٌ مضيئةٌ في قلوب علماء المسلمين . . وشعرائهم . .

وَرُوَيْداً . . لا تَبْرَحْ مكانك . . ابْقَ في بيت الله الحرام . . .

وَمُـدَّ عينيـك تَـرَ رَجُـلاً قصيـر القـامـة يقف غيـر بعيـد عن أستـار الكعبة . . وأمامه منبر منصوب . . . وهناك بضعة رجال يقابلونه ينتـظرون أن يسمعوا منه كلاماً بعد صعوده إلى المنبر . . .

ولأجل ذلك جلبوه . . .

وأنت إذا تأمَّلْتَ في عيني الرجل رَأَيْتَ فيهما نعمة الشعر . . .

وحقّاً هو شاعر . . ولقد قيل عنه : إنّه أَشْعَرُ الناس في إبَّانِ العصر الأموي . .

فهل عرفته ؟؟ .

إنّـه كثيِّر بن عبـد الرحمن المعـروف بكُثير عَـزَّة في تـاريـخ الأدب العربي . .

كان يبدو في وجه الشاعـر مرارةُ أَلَمٍ تجعله يتململ . . . ويحتقنُ وجهه حتى ليكاد أن يبكي . .

ما شأنـــه ؟؟ .

والي مكة المكرمة أتى به تنفيذاً لأمر السلطة الحاكمة في دمشق . . وَطَلَبَ منه أن يقول في عليٍّ قولاً « سَيِّئاً » وفي بيت الله الحرام . . .

ولكن ، كيف يقول في علي سوءاً ، وقد قال له رسول الله (ص) : « يا عليٌّ !! من سَبَّكَ فقد سَبَّني ، وَمَنْ سَبَّني فقد سَبَّ الله ، ومن سَبَّ الله كَبَّهُ على منخريه في النار »(225) .

وقال له : « أنت سَيِّدٌ في الدنيا سَيِّدٌ في الآخرة ، عَدُوُّكَ عدوي ، وعدوي عَدُوُّ الله ، وَمُبْغِضُكَ مُبغضي ، ومبغضي مُبغضُ الله ، وَيْلٌ لمن أبغَضَكَ من بعدي »(226) .

---

(225) راجع : أ ـ ابن المغازلي : المناقب ـ الحديث ٤٤٨ ـ صفحة ٣٩٤ .
ب ـ المسعودي : مروج الذهب : الجزء الثاني ـ ص ٤٢٣ ـ طبعة أولى ١٩٦٥ م . دار الأندلس .
ج ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٨٢ و٨٣ ـ تحت عنوان الفصل الرابع عشر .
د ـ الحافظ النسائي : الخصائص صفحة ١٦٩ ـ تحت عنوان : من سبَّ علياً فقد سبّني .
هـ ـ الصواعق المحرقة : صفحة ـ ١٧٤ تحت عنوان (المقصد الثالث . . في التّحذير من بُغْضهم) .
و ـ نور الأبصار ـ صفحة ١٢١ .

(226) راجع : أ ـ ابن المغازلي : المناقب ـ صفحة ٣٨٢ ـ الحديث ٤٣١ .
ب ـ الشيخ محمد الصبان : إسعاف الراغبين ـ ص ١٧٢ ـ بهامش نور الأبصار ـ طبع دار الفكر ، نَقْلاً عن : الطبراني ، وأحمد ، والحاكم ـ عن السيدة أم سلمة .
ج ـ نور الأبصار : صفحة ٨٩ ـ تحت عنوان (ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب) ، نقلاً عن : أبي يعلى والبزّار ـ عَنْ سَعْد بن أبي وقاص ، وعن الإمام أحمد والحاكم وَصَحَّحَهُ عن : أم سلمة .
د ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٣٠ ـ و٥٧ ـ وفيه عن الرسول : « مَنْ فارق علياً فارقني ، ومَنْ فارقني فارق الله » أهـ .
هـ ـ الصواعق المحرقة : صفحة ١٧٤ تحت عنوان(المقصد الثالث . . . في التحذير من بغضهم) .
=

إذن فكيف يـطلب منـه هؤلاء أن ينـال من عليٍّ ، وهـذا قَـوْلُ رسول الله فيه ، وهم بذلك عالمون . . . ؟؟ .

إنّهم يحملونه على مسَبَّة الله ورسوله حين يَسُبُّ عليّاً . . .

ماذا يفعل الرجل حتى يَتخَلَّص من أذاهم ؟؟؟ .

أتُراه يغلب عليه حُبُّ الـدنيا وملذاتهـا ، والخوف من بـطش أرباب السلطة ، أم حُبُّ علي وأهل بيت النبوة ؟؟ ويـرى زبانيـةُ السُّلطةِ الرجـل ساهم الوجه . . مُضْطرباً . . .

ويهمس كُلٌّ منهم في أذن صاحبه : ما باله ؟؟ لكـأنّه يُنـاجي نفسه بنفسه . .

ويطلبون منه أن يرتقيَ المنبر ويتكلّم . .

وتستبـد بهم الـدهشـة حين يـرونـه ينتفض ، ويـركض إلى أستـار الكعبة ، فيتعلق بها وينشد :

طِبْتَ بَيْتـاً ، وَطَـابَ أَهْلُكَ أَهْـلاً أَهْـلَ بَيْـت الـنـبـيِّ والإِسْـلام

هـو يُخاطبُ بَيْتَ الله ، ويصفـه بأنّـهُ مُـطَهَّـرٌ من الأدنـاس . . . ثم ينتقـل إلى أهل بيت النبي فيصفهم بـأنّهم مطهـرون مثل بيت الله . . إنّـه يَـذكِّرُ الحـاضرين بقَـوْلِ الله في أَهْلِ البَيْت : ﴿ **إنّمـا يُريـدُ الله ليذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ اهـ .

وَتَناجَوْا فيما بينهم ، ويله ، ماذا يُريدُ أن يقول . . ؟؟

وما أتموا كلماتهم حتى ارتفع صوته يقول :

يَـأْمَنُ الـطَّيْـرُ والحَمـامُ ولا يَـأْ مَنُ ، أَهْـلُ النَّبِيِّ عِـنْـد المقـام

= و ـ المحب الطبري : ذخائر العقبى ـ صفحة ٩٢ ـ تحت عنوان (ذكر لعنة الله والنبي على من أبغض عليّاً) .

ز ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ الباب الثامن والخمسون ـ صفحة ٩٧ .

يستغرب الشاعر، الطَّيْرُ آمِنٌ في بَيْتِ الله الحرام .. وَيُؤْمَرُ هُوَ أَنْ يَتَوجَّهَ بالقول (السَّيِّىء) إلى عليٍّ وأهل البيت داخل بَيْت الله الْعَتيق . . .

إنّه يُريد أن يُنَبِّهَهُمْ إلى أنّ ما يفعلونه ليس من خُلُقِ الإسلام . . . ولا من إنسانية الإنسان . . . ويأخذ نَفَساً طويلاً ليرى فِعْل كلماتِهِ في هؤلاء الذين يطلبون منه من الشَّرِّ ما يطلبون . .

وينظر في وجوههم ، فيراها عاريةً من وضاءة الرضى ، . . . فإذا هو ينفجر قائلاً :

لَعَنَ الله مَنْ يَسُبُّ عَلِيّاً ... وبنيه ، من سُوقَةٍ وإمامِ
أَيُسَبُّ المُطَهَّرون جُدوداً ... والكِرامُ الأخوالِ والأعمامِ
رَحْمَةُ الله والسَّلامُ عليهم ... كُلَّما قامَ قائمٌ بسَلامِ

وَيَنَقَّضُّ عليه الموكَّلونَ به يُحطِّمونَهُ لَكْماً بالأَيْدي ، وَرَفْساً بالأَرْجُلِ . . وَصَفْعاً بالنِّعالِ حتى تركوه ناراً خامدة . . .

وبعد أن يَنْقَطِعَ عَنْهُ حِسُّهُمْ ، يتحامل على نفسه ويجلس ، يَتَلَمَّسُ بأنامله مواضع الألم في جسده . . . ورأسه . . وإذا كان أعوان الوالي قد رَضّوا جِسْمَهُ طَمَعاً بدراهم السلطان ، . . . فإنّ روحه ظَلَّتْ مُحَلِّقَةً في أَوْجِ صَفائِها وَقُدْرَةِ طاقاتها . . .

وينظر حَوْلَهُ ، فيرى لفيفاً من الناس يَتَوجَّعون له . . . فقال :

إنَّ امْرَءاً كانَتْ مَساوِئُهُ ... حُبَّ النبيِّ ، لَغَيْرُ ذي عَتْبِ
وبني أبي حَسَنٍ ووالدهم ... مَنْ طابَ في الأرحامِ والصُّلْبِ
أَيَرَوْنَ ذَنْباً أن أُحِبَّهُمُ ؟؟ ... بَلْ حُبُّهُمْ كفَّارَةُ الذَّنْبِ
مَنْ كان ذا ذَنْبٍ فَلَسْتُ به ... في الحَبْلِ نيطَ بحبهم قَلْبي[227]

(٢٢٧) راجع : تفصيل الحادثة عند الفقيه ابن المغازلي الشافعي : المناقب ـ صفحة ٣٨٥ ـ و٣٨٦ ـ الحديث (٤٣٧) .

إنَّ ما لاقاه هذان الشاعران من أذىً في حُبِّ محمد وآل محمد ، يذكرنا بشاعرٍ آخر ، له مكانُ الصدارة في : الشعر . . . والفقه . . . والإمامة . . هو : محمد بن إدريس الشافعي صاحبُ المذهب المعروف في دُنيا الإسلام . . .

لقد انعقد في قلب هذا الإمام حُبُّ عليٍّ وأهل بيته ، فأصفاهم الود . . .

وَتَحَدَّى مُبْغضيهم . . فمدحهم . . وأبرز مناقبهم القرآنيَّة . . كما رأيتَ . . وكما سترى . . .

وقد تَغَذَّى الشافعي الفقيه الورع ، الواسع الاطلاع حبّ علي وأهل البيت من قول الله ورسوله فيهم . . .

ومن سيرة حياتهم المباركة . . الزكيَّة . . .

فوقف شعره الرفيع عليهم . . . ولا سيما عليّاً عليه السلام . . .

كان يَرى أناساً إذا ذكر عليٌّ والحسن والحسين والزهراء تَشْمَئِزُّ قلوبُهم . . وَتَتَجلَّى نارُ البغضاء في أقوالهم . . وحركاتهم . . فيعجب (رضه) من هؤلاء الذين يزعمون أنّهم مسلمون . . .

وكيف لا يَعْجَبُ منهم ، وهم قد علموا أنَّ رسول الله قال لعلي : يا عليٌّ . لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يُبغضك إلاّ منافق » فهم ببغضهم عليّاً اختاروا أن يُحْشروا مع زُمَرِ المنافقين ، والله يقول : ﴿ **إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ .

وعلموا أنّ رسول الله قال لعليٍّ في خيبر : « لأعطينَّ الراية غداً رجُلاً يُحبُّ الله ورسوله ، وَيُحبُّهُ الله ورسوله » فأعطاها عليّاً .

وهذا الحديث يُثْبِت أنّهم يُبْغضون رجُلاً يُحبُّه الله ورسولهُ ، وَيُحبُّ الله ورسولَه بشهادة رسول الله ؛ وعلموا أيضاً أنَّ رسول الله قال : « مَنْ

أَحَبَّ عليّاً قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه ، واستجابَ دعاءه . ألا ومن أحبَّ عليّاً أعطاه الله بكل عِرْقٍ في بدنه مدينةً في الجنّة .

ألا ، ومن أَحَبَّ آل محمد أَمِنَ : الحساب ، والميزان ، والصراط .

ألا ، وَمَنْ ماتَ على حُبِّ آل محمد ، فأنا كفيلُهُ بالجنَّةِ مع الأنبياء .

ألا ، ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه : آيسٌ من رحمة الله » أهـ[228] .

وعلموا . . . . وعلموا . . .

إذن ، فكيف يفعل أولئك ما يفعلون . . وَيَدَّعون أنّهم من المسلمين .

وتهيج به أشجانه لما يرى ويسمع ؛ . فإذا هو يقول :

إذا في مجلس ذكروا عليّاً وسبطيه ، وفاطمة الزكيَّه
يُقال : تجاوزوا يا قوم هذا فهذا ، من حديثِ الرافضيَّه

هكذا ، يرون ذكر أهل البيت : عليّاً وولديه والزهراء ، حديث جاهليَّة لا يجوز الخوضُ فيه . . .

---

(٢٢٨) راجع : أ ـ الحافظ أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي المعروف بـ (أخطب خوارزم) صفحة ٣٢ ـ (الفصل السادس ـ تحت عنوان ـ في مَحبَّة الرسول عليّاً . . .) .

ب ـ الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن الكبرى أحد الصحاح الستة : خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من صفحة (١٥٠ ـ ١٧٧) ـ من الحديث ٧٩ ـ ٩٦ ـ تحت عنوان : ذكر قول النبي : (من كنت وليّه فعليٌّ وليُّه) .

ولعلّك بشوقٍ لتعرف موقف الإمام الشافعي من هؤلاء ، إذاً ، فأصْغ إليه يقول :

بَــرِئْــتُ إلى الـمهيـمـنِ مـن أُنـاسٍ
يَــرَوْنَ الــرَّفْضَ حُــبَّ الـفــاطــمــيَّــه

إنّه يبرأ منهم براءةً قاطعَةً ويُشْهدُ الله على ذلك . . .

ثم ماذا ؟؟

ثم يثني على أهل البيت . . . ويذم مَنْ لا يواليهم فيقول :

علـى آل الــرســول صــلاةُ ربِّـي ولعنتــه لتـلك الجـاهـليَّــه(٢٢٩)

وأقوالُ الشَّافعي في أهل البيت جعلت أعداءهم يُغالون باتّهامه في الرفض . . .

أَتظُنُّه أَبِهَ بقولهم . . . ؟؟

كلا . بل هو يَتَحَدَّاهم ويقول مَزْهُوّاً مفتخراً :

إن كــان رَفْضــاً حُبُّ آل محمــدٍ فَلْيَشْهَدِ الثَّقلانِ : إنّي رافضي(٢٣٠)

---

(٢٢٩) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٠٠ ـ (الباب الثامن والخمسون) نقلاً عن « البيهقي » (أحمد بن الحسين أبو بكر) ـ الفقيه الشافعي صاحب السنن الكبرى أحد الصحاح الستة .
ب ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١ ـ (الباب الثاني والستون) ـ نقلاً عن جواهر العقدين للشريف السمهودي من كبار أئمة المذهب الشافعي ، وقد وصف بأنّه أعلم علماء مصر والحجاز (راجع منجد الأعلام) .
ج ـ نور الأبصار ، صفحة ١٢٧ ـ نقلاً عن كتاب مناقب الإمام الشافعي الذي صَنَّفَهُ أبو بكر البيهقي . والبيت الأخير غير موجود في نور الأبصار .

(٢٣٠) راجع : أ ـ المصدر السابق ـ صفحة ١٢٧ .
ب ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢ ـ نَقْلاً عن الإمام البيهقي . =

ونرى الإمام الشافعي يبكي الإمام الحسين (ع) . . .

وإنَّكَ لتحسُّ نَزْوَةَ الآلام تحتدم في نفسه حُـزْناً على مـا أصاب آل محمد في كربلاء . . .

ويؤكد لك أنّ الإمام الحسين كان على جادَّة الحق . . .

ويبدي عجباً وأَسَفـاً حين يقول : إنَّ الله لا يقبـل لنا صـلاة إلّا إذا صلينا على محمد وآل محمد . . .

فما بالنا نُصَلِّي عليه ونقتل أبناءه ظُلْماً وعُدْواناً . . . ؟؟ .

وإنّه ليظفر برضى الله ورسـوله حين يقـول : إذا كان بعضٍ النـاسِ يرى في حُبِّي آل محمد ذنباً . . فإنّني أَتَعَشَّقُ ذلك الذنب . . وأُصِرُّ على فعله . . .

ولا يتـركـك حتى يغبـطك بقـولـه : إنّني أرجـو شفـاعتهم يـوم الحساب . . .

أمّا بغضهم فإنّه يراهُ ذنوباً توردُ صاحبَها نارَ السَّعير . . .

ولا رَيْبَ أنّـه يُفرحـكَ أن تتذوَّقَ طَعْمَ كلمـاتـه المنبعثـة من صميم مشاعر أمينة . . صادقة . . . تعالَ نقرأ معاً بهدوءٍ كريم قوله :

وممـا نفى نَـومي وشَيَّبَ لـمتـي	تَصـاريفُ أيـامٍ ، لَهُنَّ خُـطوبُ
تَـأَوَّبَ هَـمِّـي ، والـفـؤادُ كئيـبُ	وَأَرَّقَ عَـيْني ، والـرقـادُ غـريبُ
تَـزَلْـزَلَتِ الـدنيـا لآلِ محـمـد	وكـادَتْ لهم صُمُّ الجبال تـذوبُ
فَمَنْ مُبْلغٌ عني الحسينَ رسـالـةً	وإن كـرهـتْـهـا أَنْـفُسٌ وقـلوبُ
قتيـلٌ بـلا جـرْمٍ ، كـأنَّ قميصَـهُ	صَبيغٌ بمـاء الأرجـوان خضيـبُ

= ج ـ الصواعق المحرقة ـ صفحة ١٣٣ ـ نقلاً عن البيهقي ، قال ابن حجر ، قال البيهقي : قال الشافعي ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حَسَداً وبغياً » أهـ .

نُصَلِّي على المختـار من آل هاشم ونـؤذي بنيـه ، إن ذاك عـجيـبُ
لئن كـان ذنبي حُبُّ آل مـحمـد فذلك ذنبٌ ، لَسْتُ عنْهُ أتوبُ(٢٣١)

وبعد أن يَجْهَرَ الإمامُ الشَّافعيُّ بِوَلائه لعَليٍّ وأهل بيته المـرة . . تلو المرَّة متحدياً فورة الطغيان . . تُثار عليه زَوْبَعَةُ اتهامٍ جَديدة . . .

قالوا : إنّه ناصبيٌّ . . .

ويتضور الرَّجُلُ ألماً . . وكأنّي به يُحَدِّث نَفْسَـه قائلاً : أجل ، أنا رافضيٌّ . . وأنـا ناصبيٌّ . . . وعلى ذلك أحْيا وعليـه أمـوت فَلْيَتَجـرَّعـوا الغَيْظَ أنفاساً . . . ولْتَمتلىءْ قلوبهم قيحاً . . .

إليك ما حَدَّثَ به نَفْسَهُ ينظمه شعراً حَلالاً . .

إذا نـحـن فَـضَـلنـا عـليّـاً فـإنّـنـا
روافضُ بـالـتـفـضـيـل عـنـد ذوي الـجـهـلِ
وفَـضْـلَ أبـي بـكـر إذا مـا ذكـرتُـهُ
رُمـيتُ بِـنَـصـبٍ عـنـد ذكْـري لِـلْفَـضْـلِ
فـلا زلـتُ ذا رَفْضٍ وَنَـصْـبٍ كـلـيـهـمـا
بـجـيِّـهْـمـا ، حـتـى أُوَسَّـدَ فـي الـرَّمْـلِ(٢٣٢)

(٢٣١) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢ ـ ، وقد مَهَّدَ الشيخ سليمـان القندوزي الحنفي المـذهب قبل إيـراد الأبيات بقـوله : « وقـال الحافظ جمـال الـدين الزرندي المدني في كتابه (معراج الوصول) في معرفة آل الرسول ؛ نقـل أبو القاسم الفضل بن محمد المستملي أنّ القاضي أبا بكـر سَهْل بن محمـد حَدَّثَهُ ، قال : قال أبو القاسم بن الطيب بلغني أنّ الشافعي رحمـه الله أنْشَدَ هذه الأبيات ، ثم أورد الأبيات المذكورة .

(٢٣٢) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ الباب الثاني والسِّتُّون ـ صفحة ٢ ـ نَقْلاً عن الإمام البيهقي ، عن المزني . . .

ب ـ الصـواعق المحرقـة (الفصـل الـرابـع ، في نبـذ من كـرامـات علي) صفحة ١٣٣ .

=

وَتُـوالي زُمْـرَةُ السُّفهـاء تجـريـح الشـافعي بـالقـول الآثم . . لا يتعبـون . . ولا يَملُّون . . . فيشيل بـرأسه كبـراً ، ويتصدّى لهم كعـادتـه طاقةً ماردةً يُمِدُّها الله ورسوله بالفكر المبصر . . .

قـالوا : مـا برح الشّـافعيُّ مُصِرّاً على الـرفض . . رغم المصاعب التي أصليناه نارها . . وقالوا . . . وقالوا . . . بَيْدَ أنّه يَرُدُّ هذا القول . . . ويُعْلِنُ أنَّ الرفْضَ ليس من شأنه ، ولا من مذهبه . . .

ولكنـه يُحبُّ عليّاً الـذي وصفه الـرسول لأنس بقـوله : إنّـه « أميـر المؤمنين ، وسَيِّـدُ المسلميـن ، وقـائـد الغُـرِّ الـمحـجليـن ، وخـاتم الوصيين . . الحديث »[٢٣٣] .

ويُحِبُّ عليّاً لقولـه (ص) لأُم سَلَمة : « عَليٌّ سَجيَّتُـهُ من سَجيِّتي ، وَلَحْمُهُ من لَحْمي ، وَدَمُهُ من دَمي ، وَهُوَ عَيْبَةُ علمي » .

« اسْمَعي واشْهدي . هو قاتل : الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين من بعدي » .

« اسْمَعي واشْهَدي : هُوَ والله مُحيي سُنتي » .

« اسْمَعي واشْهـدي . لو أنّ عَبْـداً عَبَدَ الله ألف عـام من بعد ألف

= ج ـ نور الأبصار (الباب الثاني في ذكر مناقب الحسن والحسين وباقي الأئمة الاثني عشر) صفحة ١٢٧ ـ نقلاً عن : الفصول المهمـة لعلي بن أحمد المـالكي المـذهب .

(٢٣٣) راجـع : أ ـ أخطب خـوارزم = الفقيـه الحنفي (الفصـل السـابـع) صفحـة ٤٢ ـ فقـد أورد الحديث بسنده عن القاسم بن جندب ، عن أنس ، عن رسول الله .

ب ـ ينابيع المودة ـ الجزء الأول (الباب الرابع والأربعون) صفحـة ١٢٩ و١٣٠ ـ نقلاً عن الموفق بن أحمد الخوارزمي ، عن : يحيى ومجاهد، وهما ، عن ابن عباس ، وفيه زيادة « وهذا بابي الذي أوتى منه ، وهذا أخي في الـدنيا والآخرة ، وهذا معي في السنام الأعلى » أهـ .

ج ـ ابـن الـمـغـازلـي ـ ص ٦٥ ـ الـحـديـث (٩٣) وصـفـحـة ١٠٤ ـ الحديث (١٤٦ و١٤٧) .

عـام بين الـركن والمقـام ، ثم لقيَ الله مُبْغضـاً لعلي (ع) لأكبَّـهُ الله يَـوْمَ القيامَةِ على منخريه في نار جهنّم » أهـ(٢٣٤) .

وتتـوارد على خاطـر الشافعي الإمـام الفقيـه كلمـاتُ الـرسـول في علي . . فيعجب من أولئك التائهين في أودية الضلال . . .

ثم يَخْلُصُ إلى نفسه بإباء المؤمن المسْتبصر في أمور دينه ليقول :

قـالـوا : تَـرَفَّضْتَ ، قُلْتُ : كـلا   مـا الـرَّفْضُ ديني ولا اعـتقـادي
لـكـن تَـوَلَّـيْـتُ غَـيـرَ شَـكٍّ   خَـيْـرَ إمـامٍ ، وَخَـيْـرَ هـادي
إن كـان حُـبُّ الـوصـيِّ رَفْـضـاً   فـإنّـني أرْفَـضُ الـعـبـاد(٢٣٥)

هو يُصفي الحبَّ علياً إمام الهدى . . وإذا كان حُبُّهُ رَفْضاً . . فإنّـه رافضيٌّ . . رافضي . . . رافـضي . . فـمن شـاء فَـلْيُؤْمِـنْ ، ومن شـاء فليكفر . . .

وفي خلوةٍ ينفـرد بهـا الشّـافعيُّ مـع نفسـه ، يَـدْرُسُ عَـلاقـاتِـهِ الدِّينيَّةَ . . . والاجتماعيَّة مـع أبناء زمـانه . . . يـرى نفسه في فقهـه . . .

---

(٢٣٤) راجع : أ ـ أخطب خـوارزم (الفصل السابع ـ في بيـان غـزارة علم علي) ـ صفحة ٤٣ ـ ٤٤ .
ب ـ ينابيع المودة ـ الجزء الأول (البـاب الرابـع والأربعون ـ في حـديث : لحمك لحمي ، ودمـك دمي) صفحـة ١٢٩ و١٣٠ ـ نقـلاً عن : الحمـويني ـ عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن ابن مسعـود ـ وفيه زيـادة : « واشهدي لـو أنّ شخصـاً عبـد الله ألف عـام ، وألف عـام ، وألف عـام بين الـركن والمقام ، ولقيَ الله مُبغضاً لعليٍّ وعترتي . . . الحديث .

(٢٣٥) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الثالث ـ البـاب الثاني والستـون ـ في إيراد مـدائح الإمـام الشافعي صفحة ١ .
ب ـ نور الأبصار ـ الباب الثاني صفحة ١٢٧ .
ج ـ الصواعق المحرقة (الفصل الرابع) صفحة ١٣٣ .
وفي الصواعق المحرقة ونور الأبصار (الولي) بدل (الوصي) .

وفي نهجه الأخلاقي .. والاجتماعي .. عَلَماً مُمَيَّزاً في مجتمعه ... ومع ذلك التقدير الذي ينعم به ، فإنّه يرى جماعَةً من النّاس تُشْهِرُ عَلَيْهِ حَرْباً باردة ... ولكن ، لماذا يفعلون ذلك ؟؟ .

وَيَهْمِسُ قَلْبُه إلى مَسَامِع نَفْسه : لأنك تُحبُّ عليَّ بن أبي طالب ....

ويقفُ عند هذا الجواب متأمِّلاً ...

يقف مع علي ....

وَمَوْقِفُهُ مَعَ عليٍّ يَجْذِبُهُ بأصابع سحْريَّة إلى رسول الله ...

ثم إلى الله رَبِّ العالمين ...

فالرسول يفرض في أقوالٍ كثيرة مَحَبَّةَ عليٍّ بن أبي طالب ...

وما كان الرسولُ ليفعلَ ذلك إلّا بأمر رَبِّه ...

ومن جديد تتواردُ على خاطره أحاديثُ رسول الله في علي - في القليل الذي ذكرناه ، وفي الكثير الذي لم نذكره - تتوارد شريطاً حَيَّ الصُّور ، زاهيَ الألْوان ، رائعَ المعاني ...

وَيَطيرُ به الخيالُ حتى ليحْسَب أنَّ الزَّمَنَ ينْقل إليه على مَوْجَةٍ خَاصَّةٍ صَوتَ الرسول يقول في علي : « حُبُّ عليٍّ إيمانٌ ، وبُغْضُهُ نِفاقٌ ؛ لا يُحبُّه إلّا مُؤمنٌ ؛ ولا يُبغضُهُ إلّا كافر »(٢٣٦) .

وقوله (ص) : « جَاءَني جبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ من عند الله عَزَّ وَجَلَّ بوَرَقَةِ آسٍ خَضْراءَ مَكْتوبٌ فيها ببياض : إنّي افترضْتُ مَحَبَّةَ عليٍّ بن أبي

---

(٢٣٦) راجع : أ - ابن المغازلي الفقيه الشافعي : المناقب - الحديث ١٨٨ - ص ١٥٥ - تحت عنوان « حديث الأعمش والمنصور » ، فقد أخرج الحديث بسنده عن المدائني .. وعن أبو معاوية - عن الأعمش - (اقرأ الحديث من صفحة ١٤٣ - ١٥٥) . =

طالب على خَلْقِي ، فَبَلِّغْهُمْ ذلِك »[237] .

وقـوله : « يـا عليٌّ . إنَّكَ قسيمُ الجنَّـةِ والنَّـار ، وإنّـك تَنْقُـرُ بـابَ الجنَّة ، وَتَدْخُلُها بلا حِسَاب » أهـ[238] .

= ب ـ المصـدر السابق ، الأحـاديث ـ ٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ـ والصفحة ٤٢٧ الحـديث الثالث من منـاقب علي ـ مسنـد ـ أبو الحسين الكـلابي ـ مسنـد دمشق .

ج ـ نور الأبصار ـ صفحـة ٩٠ ـ نقلاً عن كتـاب الآل لابن خالـويه بسنـده عن أبي سعيـد الخدري ـ قـال : قال رسـول الله لعلي : « حبّك إيمـان ، وبغضك نفـاق ، وأول من يـدخـل الجنـة محبّـك ، وأول من يـدخـل النـار مبغضك » أهـ ، والأحاديث في ذلك كثيرة ـ مستفيضة ـ ومتواترة .

(٢٣٧) راجـع : أ ـ أخـطب خـوارزم ـ البكـري المكي ـ الحنفي المـذهب ـ المنـاقب (الفصـل الخـامس) صفحة ٢٧ ـ فقـد أورد الحديث بسنـده عن جـابـر بن عبـد الله الأنصاري .

ب ـ المصدر السابق ـ ص ٢٨ ـ لتقـرأ قول الـرسول الـذي أخرجـه بسنده عن ابن عباس وهو : « لو اجتمع الناسُ على حُبِّ علي بن أبي طالب لما خلق الله النار » أهـ .

ج ـ المحب الطبري الشافعي المذهب : ذخـائر العُقبى ـ صفحـة ٩١-٩٢ ـ تحت عنـوان ـ (ذكـر الحث على محبـة علي والـزجـر عن بغضـه) فقـد أخـرج أحاديث كثيرة عن صحيح : مسلم ، ومناقب أحمد بن حنبل ، والترمذي ، والمـلاّ ، والحسن بن عرفـة العبدي ـ عن : علي وأم سلمـة ، وجـابـر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأنس ، والزهراء فاطمة ، فراجع .

(٢٣٨) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ الفصـل التاسـع عشر ـ صفحـة ٢٠٩ ـ تحت عنوان (في فضائل شَتّى لعلي) .

ب ـ ابن المغازلي : المناقب ـ الحديث (٩٧) ـ صفحة ٦٧ ـ وَيُعَلِّقُ مُحَقِّق كتـاب ـ المناقب ـ على الحديث بعد ذكر المحدثين الذين أخرجوه فيقول : « وأصل الحـديث متـواتـر قـطعي أخـرجـه الحُفَّـاظُ الأثبـات » ، وللتثبت من صحـة الحـديث يقول : راجـع ـ الحافظ ابن كثيـر الـدمشقي : البـدايـة والنهـايـة الجزء ـ ٧ ـ ص ٣٥٥ ـ ، ولسان الميزان ـ الجزء ٣ ـ ص ٢٤٧ ـ والجزء ٦ ـ ص ١١٣ ـ وميـزان الاعتـدال ـ الجـزء الـرابـع ـ ص ٢٠٨ ـ والجـزء ٢ ـ ص ٣٧٧ ـ الخ . . فراجع .

ج ـ ينـابيع المـودة ـ الجزء الأول من صفحـة ٨١ ـ ٨٤ (البـاب السـادس عشر ـ في بيـان كـون عليٍّ قسيم الجنـة والنـار) ، فقـد أخـرج الحـديث عن أخـطب =

وقوله لسلمان حين سأله : من وَصيُّك يا رسول الله ؟؟ .

فقال له : يا سلمان . مَنْ وَصيُّ موسى ؟؟ .

فقال : يوشعُ بن نون .

قـال صلى الله عليـه وآلـه : « وَصيِّي ، ووارثي ، يَقْضي دَيْني ، وَيُنجزُ مَوْعدي ، عليُّ بن أبي طالب » أهـ(٢٣٩)

هذه الأحاديث التي أوحى الله بها لرسوله في علي ، كانت تجعل

= خوارزم بسنده عن : ابن عمر . وعن ابن المغازلي بسنده عن ابن مسعود . ثم قال : « وفي جواهر العقدين ، أخرجه الدارقطني عن أبي الطفيل عامر بن واثلة . . وأخرجه ابن حنبل في المناقب عن ابن واثلة ، وأخرجه الحمويني في كتابه - فرائد السمطين - عن أبي سعيد الخدري . . . الخ . . . فراجع .

(٢٣٩) راجع : أ - ينابيع المودة - الجزء الأول - صفحة ٧٧ - نَقْلاً عن مسند الإمام أحمد بن حنبل ، عن أَنَس بن مالك ، ولفظه ، قال : قلنا لسلمان : سَلِ النبيَّ عن وَصيِّه . فقال سلمان : يا رسول الله . مَنْ وَصيُّكَ ، فقال : يا سلمان . . . الحديث . . وقد خَصَّصَ صاحبُ الينابيع لأحاديث الوصيَّة (الباب الخامس عشر) ، وعنوانه : عَهْدُ النَّبيِّ (ص) لعلي (ع) وَجَعْلِهِ وَصيّاً - انظر - الجزء الأول المذكور ، من ص ٧٦ - ٨١ .

ب - الثعلبي (أبو اسحق أحمد بن محمد) فقد أخرج حديث الوصية لعلي عن البراء بن عازب في تفسيره « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » وقد وُصِف الثعلبي بأنّه واحد زمانه في علم التفسير .

ج - المحب الطبري : ذخائر العقبى - صفحة ٧١ - تحت عنوان (ذكر اختصاصه بالوصاية والإرث) .

د - الفقيه ابن المغازلي : المناقب - صفحة ٢٠١ - الحديث (٣٨) تحت عنوان (لكل نبيٍّ وصيٌّ ووارث) .

هـ - الحافظ الذهبي : ميزان الاعتدال - الجزء الثالث - صفحة ٥٤٩ - الحديث ٧٥٣٣ .

و - ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان - الجزء الخامس - صفحة ١٦٧ .

ز - الحافظ السيوطي : ذيل اللآليء - صفحة ٦٣ .

ح - ابن المغازلي : هامش المناقب - صفحة ٢٠١ و٢٠٢ - فقد أورد محقق الكتاب الأستاذ البهبودي أحاديث أخرى بأسانيدها مضافاً إلى ما تَقَدَّمَ . . .

الإمـام الشـافعيَّ يَتَـأَوَّهُ حَسْـرَةً على مَنْ ينـاصب عليّـاً وأهـل البيت العداوة . . .

إنّه يُحبُّ الخير للناس أجمعين . . .

ومن مبدإ ذلك الحب ، كان يَعْمِدُ إلى تضمين شعره بَعْضَ ما قـاله المصطفى في علي . . لأنّ الشِّعر أَفْعَلُ في القلب ؛ وأعلقُ بالنفس . . .

وغايتُه أن يَصْدَعَ بجمال الحق . . .

وأن يبعث في الناس حِسَّ اليَقَظَة . . .

وَيُرْشِدَهُمْ إلى ولاية عليٍّ بن أبي طالب . . .

لكي يَسْعدوا بِحبِّه . . .

لأنّ حُبَّهُ حُبُّ لله ورسوله . . .

وليجنّبوا أنفُسَهُمْ خِزْيَ الهلاك ببغضه . . .

وبذلك يقتل جراثيم الفساد في قلب الاستكبار الجاهلي .

هذه اثنتا عشرة كلمة تجري في عروقها دماء الوحي . . .

إنّ فيهـا . . وفي كل مـا قالـه هذا الإمـام في عليٍّ وأهـل البيت ، آياتٍ يُعطرها التوجيهُ الحَقُّ ، والإرشادُ المتألِّق بالصفاء . . .

فاقرأهـــا . . .
إقرأهـا متمهلاً . . .
وَرَدِّدْها على نفسك كلمة . . . كلمة . . .
وانظر في أبعادها الروحية . . .

عَـلِيٌّ حُـبُّـهُ جُـنَّـهْ قَـسِيـمُ النَّـارِ ، والـجنَّـهْ
وَصـيُّ الـمـصْـطَفَى حَـقّـاً إمـامُ الإِنْسِ وَالـجِـنَّـهْ(٢٤٠)

---

(٢٤٠) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الأول (الباب السادس عشر في بيان كون علي عليه السلام =

وهــذا الإمـامُ اللغــويُّ أبـو عبــد الله محمــد بن علي بن يــوسف الأنصاري يكشف الستار عن حُبِّـه الذي يضيء رحـاب نفسه لعلي وأهـل بيتـه ، ولا يعبـأ بـالجـراح التي تنـالـه من ألسنـة الـلائمين . . لأنّهم عن الصراط ناكبون . . وهو يَعْجَبُ كيف تَعْمَى بَصَائرُ لائميـه عن مناقب عليٍّ وَرَهْطِهِ التي جَعَلَتِ النصارى يُصْفونهم أزكى الحب وأكرمه . . .

لا يُحبهم النصـارى فقط ، بل إنّ كـل ذي روح في هـذه البسيـطة آدميـاً كـان أو غيـر آدمي يَتَغَنَّى بحبّهم . . . لـطهـارة قلوبهم . . وَنَبـالَـةِ نفوسهم . . وقداسَة سيرتهم . .

أمّا الصَّحابيَّـان الكبيران : أبـو بكر وعمـر (رضه) وقومُهمـا فإنّـه لا يذكرهم إلّا بخير . . .

هَيَّا نَقْرَأْ معاً قوله :

عَـدِيٌّ وَتَـيْـمٌ لا أحـاول ذكـرهـم
بـسـوءٍ . . ولكـنـي مُـحِـبٌّ لـهـاشِـمِ
ومـا يَـعـتـريـنـي فـي عَـلـيٍّ وَرَهْـطِهِ
إذا ذكـروا ، فـي الله ، لَـوْمَـةُ لائـمِ
يـقـولـونَ : مـا بـالُ النصـارى تُـحِـبُّـهُـمْ
وَأَهْـلُ الـنُّـهـى مِـنْ أَعْـرُبٍ وَأعـاجـم
فَـقُـلْتُ لـهـم : إنّـي لأَحْـسَـبُ حُـبَّـهُـمْ
سَـرَى في قلوبِ الخَلْقِ . . حتّى البهـائِمِ (٢٤١)

* * *

= قسيم الجنة والنار) .

ب ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٩٠ ـ (الفصل الرابع عشر) .

(٢٤١) راجع : العلامة الشيخ محمد الصبان الشافعي : إسعاف الراغبين بهامش « نور الأبصار » صفحة ١٢٧ .

وينقل إليك الشَّبَلَنْجي الشَّافعي في كتابه ـ نور الأبصار أبياتاً لشاعرٍ لم يـذكـر اسْمَـهُ ، ولكنـه قـال : « وقـال آخـر : (أي في أهـل البيت عليهم السلام)

وأراني مُحِقّاً إذا قلت : إنّه يَنْضُرُ عندك أن تسمع ما قـالـه هـذا الشاعر الذي انعقد الإيمان في قلبه ، إنّ الإخـلاص لهم ، وفي حبهم ، أمانٌ من الفزع يوم الحساب . . .

وإنّهم جوهر الخير . . .

وأقطابُ العلم . . .

والعُروة الوثقى . . .

وإنّ أقوالهم وأفعالهم يجبُ أن تُتَّخَـذَ سُنَّةً ، يـرويها الـلاحقون عن السابقين ، . . .

عَصْراً بعد عَصْر . . .

لأنّها من حروف الإسلام . . .

وَيُنيرُ حياة ذلك الشاعر ثقَةٌ مُطْلَقَةٌ أن ولايَةَ أَهْلِ البَيْتِ :

عِطْرَ الهدى . .

ولباسُ التقوى . . .

وجنة المأوى . . .

ويُوحي إليَّ خاطري أن إحسَاسَـكَ أَصْبَحَ مُتَعَـطِّشاً لسَمـاع ما قـاله ذلك الشَّاعر بَيْتاً ، بَيْتاً . .

إذاً ، فَجَـوِّدِ الإصْغاء إليـه وهـو ينشـد بلهجـةٍ يَتَضَـوَّعُ منهـا فَـوْحُ السعادة :

هُمُ ٱلْقَـوْمُ ، مَنْ أَصْفـاهُمُ الـوُدَّ مُخلصـاً
تَـمَسَّـكَ فـي أُخْـراهُ بـالسَّبَب الأَقْـوى

هُمُ القَـوْمُ ، فـاقـوا العـالمينَ منـاقبـاً
محـاسنُـهـم تُـجْـلى ، وآثـارُهُـمْ تُـرْوى

مُـوالاتُـهُـمْ فَـرْضٌ ، وَحُـبُّـهُـمُ هُـدىً
وَطَـاعَـتُـهُـمْ وُدٌّ ، وَوُدُّهُـمُ تَـقْـوَى

وَيُعلِّقُ الشَّيْخُ مُحمد الصَّبّان على هـذه الأبيـات التي أوردهـا في كتابه « إسعاف الراغبين » فيقول لك :

بقلبٍ مُشْفقٍ . . .
ولِسَانٍ صادق . . .
وعَقْلٍ رزين . . .

« فـالزم يـا أخي مَحَبْتهم وَمَودَّتَهُمْ ، وآحْـذَرْ عَـداوَتَهُمْ ، وَأن تَقَـعَ فيهم بشَيءٍ ، مخـافَةَ أن تَقَـعَ فيمـا تَقَـدَّمَ من الوعـيد؛ واعْلَمْ أَنَّ المحبَّـةَ المُعْتَبَرَة هيَ ما كانت مع اتّباع سُنة المحبوب ، إذ مجرّد محبتهم من غيـر اتّباع لسُنتهم . . لا تُفيدُ مُدّعيها شيئاً » . . الخ[٢٤٢] .

* * *

وكـان بعض العلماء الشعـراء لا يكتفون بتـأليف الكتب في منـاقب الأئمـة الاثني عشـر من أهـل البيت ، بـل ينـظمـون أسمـاءهم لؤلؤاً في أسلاكٍ من الشعر المجدول من روحانيَّة الصِّدْقِ في ولايتهم .

فمن هؤلاء العلمـاء الشعراء ـ على سبيـل المثـال ـ مؤرخ دمشق : شمس الدين محمد بن طولون الحنفي المذهب الذي أَلَّفَ كتاباً اسمـه : الأئمة الاثنا عشر تَحَدَّثَ فيـه عن مناقبهم الـزكيَّة ، واحـداً . . واحداً . . ثم ختم كتابه بستة أبياتٍ من الشعر أبان مُعْتَقَـدَهُ فيهم بأنّهم خيـر البَشَرَ ،

(٢٤٢) راجع : أ ـ المصدر السابق صفحة ١٢٨ .
ب ـ نور الأبصار ـ صفحة ١٢٨ .

وأَسْبَغَ عليهم من حُلَلِ التَّمجيد ما هم أهله . . . بل هم فوق قوله . .

قـــال :

عَـلَيْـكَ بـالأَئـمَّـةِ الإثـنـي عـشَـرْ
من آل بَيْت المُصْـطَفَى ، خَيْـرِ آلْبَشَـرْ
أبـو تُـراب . . حَسَنٌ . . حُسَيْـنُ .
وَبُـغْضُ زيـن الـعـابـديـنَ شَـيْـنُ
مُـحَـمَّـدُ الـبَـاقِـرُ كَـمْ عِـلْمٍ دَرَى
والـصَّـادِقُ ادْعُ جَعْـفـراً بَيْـنَ الْـوَرَى
مُـوسَـى هُـوَ الكَـاظِمُ ، وابْنُـهُ عَـلِيْ
لَـقِّـبْـهُ بـالـرِّضـا ، وَقَـدْرُهُ عَـلِيْ
مُـحَـمَّـدُ الـتَّـقِـيُّ قَلْبُـهُ مَـعْـمُـورُ
عـلي الـتُّـقَـى ، وَدُرُّهُ مـنـشـورُ
والـعـسـكـريُّ الـحَـسَـنُ الـمُـطَهَّـرُ
مُحَمَّـدُ الْمَهْـدِيُّ ، سَـوْفَ يَـظْهَـرُ(٢٤٣)

وهـذا شاعـر عبقري ، قضى مُعـظم حياتـه مجاهـداً في سبيل الله والوطن . . .

لقد أُسِرَ . . وَسُجِنَ . . مراراً . . في سبيل إعلاء كلمة التـوحيد : لا إله إلّا الله . . .

فما زاده ذلك إلّا صلابة في عشق الجهاد . . .

إنّه أبو فراس الحمداني . . .

---

(٢٤٣) راجـع : شمس الدين محمـد بن طولـون : الأئمـة الاثنـا عشـر ، صفحـة ١١٨ ـ طبـع دار صادر+دار بيروت ، تحقيق الدكتور : صلاح الدين المنجد ، طبع سنة ١٩٥٨ ـ ، وقد تقـدم ذكره .

ذلك الشاعر الفارس يتوسّل إلى الله بأهل البيت . . .

وَلِمَ لا يتوسَّلُ بهم ، وهو يرى الإمام الشافعي يقول :

آل النبيِّ ذريعتي وهم إليه وسيلتي

وأبو فراس من اليقين على مثل ضوء الشمس أنّ موالاتهم سَتفتح له الجنّات . . وتذيقه عَسَلَ دار الخلود يوم القيامة . . .

اقْرَأْ ألفاظه الشعريَّة . . .

واطْعَمْ حلاوة الإيمان العميق تدب في شرايينها . . .

والإخلاص الأعمق يُرَوِّي منابتها . . .

اسْمَعْهُ يهتف مستبشراً :

لَسْتُ أَرْجو النجاة من كل ما أَـ
خشاه ، إلّا بأحمدٍ ، وعَليٍّ
وببنت الرسول فاطمة الطُّـ
ـهْرِ ، وَسِبْطَيْه ، والإمام عَليٍّ (زين العابدين)
والتقيِّ النقيِّ باقرِ عِلْمِ الـ
ـلّه ، فينا ، محمد بن عليٍّ
وابنه جعفر ، ومُوسَى ، وَمَوْ
لانا عليٍّ ، أَكْرِمْ بِه من عَليٍّ
وابنه العسكري ، والقائمِ المظْـ
ـهرِ الحق ، مُحَمَّدِ بْنِ عَليٍّ
فيهمُ أرتجي بلوغَ الأماني
يَوْمَ عَرْضي عَلَى الإله العَليِّ(٢٤٤)

---

(٢٤٤) راجع : ديوان أبي فراس الحمداني ـ صفحة ٣١٩ ـ طبع سنة ١٤٠٨ هـ=١٩٨٧ ، تحقيق الدكتور : محمد التونجي الأستاذ بجامعة حلب .

ومَا أَكْرَمَ ما يُبْهِجُنا به الأُستاذ عبد الحليم الجندي المستشار في المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة في جمهورية مصر العربية .

إنّه يتوجه بالخطاب إلى الإمام علي بن أبي طالب رأس أهل البيت بعد رسول الله ، فيقول له : « أفدِيك بأبي وأمي يا أمير المؤمنين » .

ولماذا يُقَدِّمُ أباه وأُمَّهُ فداءً له وهو قرير العين ؟؟ .

لقد بعث الله الأنبياء والمرسلين لإنصاف المستضعفين في الأرض من طبقية الاستكبار الظالم . . . وجعل العدالة بكل معانيها وأبعادها نوراً يتلألأ في كل بيت . . وَيَتَوهَّجُ به كل قلب . . والله يُحب جماهير الشعب ، ولا سيما الفقراء منهم ، لأنّهم جنده المخلصون له بالطاعة . . .

وعليٌّ أمير المؤمنين يوليهم أَصْفى الحب . . .

ويرى أنّ صلاح الأمّة بصلاحهم . . .

وَحُبُّ علي لهم نابعٌ من جنات الشريعة المحمدية . . .

من أجل تكريم علي وحبه لجماهير الشعب . . .

من أجل حَدْبه على الفقراء منهم خاصَّة . . .

من أجل أنّه يريد أن يُفيض نعيم الإسلام . . وحبه . . وحنانه . . جداول . . جداول . . في الأرض . . يُفَدّيه الأستاذ الجندي بأبيه وأمّه . . .

ألا فَلْنُدِرْ إليه عقولنا وهو يقول : « بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . إنّ رسول الله يقول « اطَّلَعْتُ في الجنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وأنت في طليعة أهل الجنة ، تُحِبُّ أكثر أهلها عدداً في الحياة الدنيا ، ومن أجل ذلك تُكَرِّمُ العَامَّةَ ، وهم كثرة الأمة ، وتؤثر الفقراء .

ولقد كنت دائماً قدوةً ، وأردْتَ الخاصَّةَ على أن تكون قدوة ،

وَحَذَّرْتَها من مطامعها ومزالقها ، ولـو حَذِرَتْ للزِمَتِ الجـادة ، وصلح أمر هذه الأمّة » .

ثم يتحـدث عن (العهد) الـذي كتبه لأحـد قادتـه الأشتـر النخعي حين وَلَّاه مصـر ، فيـصف ذلك العهـد بأنّـه دستـور صـالـح لكـل زمـان ومكان . . .

وأنّـه خليقٌ أن يجعل النـاس يعيشون حيـاة تُخصبها الفضـائـل . . ويُنعِشُهـا الـرفـاه . . . ويُسعـدهـا الإخـاء . . . والتقـدمُ الحضـاريُّ الفاضل . . .

وأنَّ على عباقرة الحقوقيين الذين يودون أن يضعوا دساتير عادلة في هذا العصر أن يجعلوا من « عهدك » إماماً لهم يهتدون بضيائه الخالد .

تَـأَمَّلْ في كلمـاته : « إنَّ من يضـع دستوراً في العصـر الحـديث ، خليقٌ أن يَـرْتـويَ من عهـدك ، ويـروي الأمـة من ينـابيعـك في تـطبيق الشريعة ، وسيادة القانـون ، واستقلال القضـاء ، وأمانـة الوُلاة ، ونـزاهة الإمـارة ، واحتـرام العـامَّـة ، وإلـزام الخـاصَّـة أن تكـونَ قُـدْوةً في الأمّة » أهـ[٢٤٥] .

* * *

أَمَّـا الدكتـور عبد الحليم محمـود شيخ الجـامع الأزهـر فإنَّ لـه من الإمام علي موقفاً أغناه بالدرس والتحليـل . . . فهو ينـظر في حياتـه نظرةً نافذة من المهد إلى اللحد . . .

ويقف طويلاً عند أصحاب الجمل . . وصفين . . والنهروان . . .

ويبالغ في التدقيق . . والتمحيص . . .

---

(٢٤٥) راجـع : عبـد الحليم الجنـدي : الإمـام جعفـر الصـادق ـ صفحـة ٣٢١ ـ طبـع القـاهـرة سنة ١٣٩٧ هـ .

وبعد الفراغ من تحقيقاته الشرعية . . ومحاكماته التاريخية والعقلية ، يقول :

« عليٌّ مع الحق ، والحقّ معه » .

وبعد أن يرتاح إلى عدالة هذا الحكم ، يوحي إليه عقله الباطني أنّه قد يكون قرأ هذا القول يوماً . . . فيعمد إلى سفر ذاكرته يُقَلِّبُهُ صفحةً . . . صفحة . . ويتأمّل كل صفحةٍ سطراً . . سطراً . .

وفجأة تدبّ بين جوانحه نفحاتُ السرور . . .

ثم تُطِلُّ من عينيه ، وتسطع في وجهه . .

نعم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « الحقُّ مع علي ، وعليٌّ مع الحق يدور الحَقُّ مع عليٍّ كيفما دار »(٢٤٦) .

وَيَقَرُّ بذلك عيناً . . .

---

(٢٤٦) راجع : أ ـ أخطب خوارزم الحنفي : المناقب ـ صفحة ٢٢٣ ـ (الفصل التاسع عشر في فضائل لعلي شَتّى) .

ب ـ الفقيه الشافعي ابن المغازلي ـ صفحة ١١٧ ـ الحديث (١٥٥) طبع سنة ـ١٤٠٣ هـ .

ج ـ صحيح الترمذي ـ ج ٢ ـ ص ٢٩٨ ـ ، وفيه ، عن رسول الله « رحم الله عليّاً ، اللهم أدرِ الحق معه حيث دار » .

د ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ـ الجزء ١٤ ـ ص ٣٢١ ـ ، روى بأسانيده عن السيدة أم سلمة أنّها قالت : « سمعت رسول الله يقول : « عليٌّ مع الحق ، والحقُّ مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة » أهـ .

هـ ـ الفيروز آبادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ (باب) ـ إنّ علياً مع الحق ، والحق مع علي ـ طبعة رابعة ـ سنة ١٤٠٢ هـ =١٩٨٢م ـ فقد أورد بضعة أحاديث بأسانيدها عن الحاكم في مستدرك الصحيحين ـ الجزء الثالث ـ ص ١١٩و١٢٤ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد الجزء السابع ـ ص ٢٣٥و٢٤٣ ؛ والجزء التاسع ص ١٣٤ ـ ؛ وكنز العمال الجزء ٦ صفحة ١٥٧ ، وغيرها ، فراجع .

لقد كان في غفلة عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله . .

وجاء حكمه بعد التنقيب والاستقراء موافقاً لما أنزل الله على رسوله من وحي . .

وعسانا نشاركه غبطته حين نقرأ على الناس ما تضوَّعَتْ به يراعته .

قال : « الخلاف العاشر : في زمان « أمير المؤمنين علي » رضي الله عنه ، بعد الاتّفاق عليه ، وعَقْدِ البيعة له :

فأوَّلُه خروجُ « طلحة والزبير » إلى مكَّة ، ثم حمل « عائشة » إلى البصرة ، ثم نصب القتال معه ، ويعرف ذلك بحرب الجمل ؛ والحق أنّهما رجعا وتابا ، إِذْ ذَكَّرَهُما أَمْراً فتذكراه . .

فأمّا الزبير فقتله ابن جرموز ـ بقوس ـ وَقْتَ الانصراف ، وهو في النار ، لقول النبي (ص) « بَشِّرْ قاتلَ ابن صَفيَّة بالنار » .

وأمّا طلحة فرماه « مروان بن الحكم » بِسَهْم وَقْتَ الإعراض فَخَرَّ ميتاً .

وأمّا عائشة رضي الله عنها ، فكانت محمولةً على ما فعلتْ ، ثمَّ تابَتْ بعد ذلك وَرَجَعَتْ .

والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ، ومخالفة الخوارج ، وحمله على التحكيم ، ومغادرة « غدر » عمرو بن العاص ، أبا موسى الأشعري ، وبقاء الخلاف إلى وَقْت وفاته مشهور .

وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان ، عقداً وقولاً ، ونصب القتال فعلاً ظاهراً ـ معروف وبالجملة : كان عليٌّ رضي الله عنه مع الحق ، والحق معه » أهـ[٢٤٧] .

---

(٢٤٧) د. عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ـ الجزء الأول ـ ص ١٦١ و١٦٢ ـ طبعة ثالثة ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م . وفي هذا الكتاب ذَرْوٌ من القول في التجني على الشيعة . . فلعلّه يُعيد النظر في هذا التجنّي في طبعة قادمة .

وهذا أحمد شوقي أمير الشعراء يقرأ تاريخ الإسلام ، ويتوسَّعُ في قراءته ، فيراه يشهد لعليٍّ بن أبي طالب أنّه فارس الإسلام العَلَمُ الفَرْدُ . . .

ويرى سيفه مُؤسِّسَ بنيان صرح الإسلام ، ورافع شُرفاته . . .

فهو الفدائيُّ الأول الذي وقى الرسول بنفسه ، ونام في فراشه ليلة أجمع المشركون على قتله ، فحَمى بذلك رسالة السماء من الأفول . . .

وهو في غزوة بدر البطل الفذ الذي نَكَسَ رايةَ الشِّرك والطَّبَقيَّة ، وأَحْرَزَ للإسلام نصراً مبيناً . . . وهو في غزوة أُحُد الشجاع الرائع الذي صرع قادة ألوية الطاغوت . . وَمَزَّق وَحْدَةَ الشرك المجتمع على الفتك بنبي الهدى والرحمة عندما انهزم عنه الناس ، . . . وقد سما في شجاعته وإقدامه في ذلك اليوم إلى أُفقٍ عجيب جعل الملاك جبريل يهتف :

لا سيف إلّا ذو الفقا ر ، ولا فتى إلّا علي

وفي غزوة الخندق كاد المسلمون يفتضحون لولا علي وبسالته . . .

لقد تحداهم عمرو بن عبد ودّ تحدِّياً مُهيناً . . .

وقبلوا التحدّي المهين ، ولم يرفع إليه أحد رأساً ، إلّا علي بن أبي طالب ، فإنّه وثب قائماً ، وقال : أنا له يا رسول الله !! .

ويُنازل عليٌّ عمراً . . وفي ضَرْبَةٍ واحِدةٍ من ذي الفقار جَعَلَ فارسَ الأحزاب المعدودَ بألفِ فارسٍ هَباءً مُنْبَثاً . . .

وتنزل على رسول الله سورة الأحزاب ، تصف الخوف الذي هَيْمَنَ على قلوب المسلمين . . وَجَعَلهم يُسيئون الظنَّ بوعد الله ورسوله لهم بالنصر . . تقول الآية العاشرة من السورة : ﴿ . . . **وإذْ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ .

ولكن عليّاً يُعيدُ إليهم هناءهم الروحي والجسدي ، حين يقتل عمراً ، وكان ابن مسعود يقرأ في مصحفه : « **وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله قويّاً عزيزاً** » (**الأحزاب : ٢٥**)(٢٤٨) .

ويتحدث الرسول عن مبارزة علي لعمرو فيقول : « لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة » أهـ(٢٤٩) .

---

(٢٤٨) راجع : أ ـ ينابيع المودة ـ الجزء الأول (الباب ٢٣) من صفحة ٩٢ ـ ٩٤ ـ تحت عنوان (وكفى الله المؤمنين القتال) . قال القندوزي صاحبُ الينابيع : قال الحافظ السيوطي : « في مصحف ابن مسعود ، كفى الله المؤمنين القتال بعلي . . » راجع ما نقله صاحب الينابيع عن أمهات كتب الحَديث . . .
ب ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٥٨ ـ (أول الفصل التاسع) ، وراجع الفصل ـ ١٤ ـ ص ٨٧ . وص ١٠٤ ـ (الفصل السادس عشر) .
ج ـ السيوطي : الدر المنثور في آخر تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَرَدَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ (الأحزاب : ٢٥) .
قال السيوطيُّ : « وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه كان يقرأ هذا الحرف « وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب » أهـ .
د ـ الذهبي (محمد بن أحمد شمس الدين) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٧ ـ أوْرد حديثاً عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ : وكفى الله المؤمنين القتال بعلي » أهـ .
هـ ـ الأمير أحمد حسين بهادرخان الهندي ـ حنفي المذهب : تاريخ الأحمدي ـ طبعة أولى سنة ١٤٠٨ هـ=١٩٨٨م ـ تحقيق الطريحي من صفحة ٦٨ ـ ٧٠ ـ ، فقد نقل أحاديث كثيرة بأسانيدها عن غزوة الخندق .
و ـ كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلاميَّة ـ صفحة ٥٣ ـ تحت عنوان « حصار المدينة » ـ طبعة رابعة سنة ١٩٦٥ م ترجمة : فارس وبعلبكي ، قال بروكلمان المستشرق الألماني : « . . . والواقع أن وقعة الخندق قد حَقّقتْ للنبي غايته كاملة غير منقوصة » أهـ .
ز ـ محمد رسول الله : محمد رضا المصري ، صفحة ٣١٢ و٣١٣ ـ طبعة ثانية ، سنة ١٣٥٨ هـ=١٩٣٩ م .
ح ـ رسائل الجاحظ صفحة ٦٠ .

(٢٤٩) راجع : أ ـ الينابيع ـ الجزء الأول ـ صفحة ٩٣ ـ (الباب الثالث والعشرون) . قال : « وفي =

وفي غـزوة خيبـر ، جعـل من مـرحب بـطل اليهـود اثنين بضـربـةٍ فاصلة . . واقتلع باب الحصن ، واتّخذ منه تـرساً ، وفي ذلـك يقول ابن أبي الحديد المعتزلي :

يـا قـالـعَ الـبـاب الـذي عَـن هَـزِّهِ
عَـجَـزَتْ أكُـفٌّ أربـعـونَ وأرْبَـعُ[250]

وفي غزوة « حنين » كان درْعَ الـرسول الـواقية من بـأس المشركين

المناقب عن حذيفة رضي الله عنه ، قـال : قال رسـول الله : « ضربـة علي في يوم الخندق . . . الحـديث ، وفي الصفحة ٩٢ ـ قـال : « وفي المناقب عن ابن مسعـود رضي الله عنه ، قـال : « لما بـرز عليٌّ إلى عمـرو بن عبـد ود ، قـال النبي (ص) « برز الإيمـان كلّه إلى الشرك كله » فلمـا قتله قال : « أبشر يا عليُّ فلو وُزِنَ عملك اليوم بعمل أمتي لـرجح عملك بعملهم » أهـ (راجع الباب كله) .

(٢٥٠) راجـع : أ ـ الروضـة المختارة : ابن أبي الحـديد المعتـزلي ـ صفحـة ١٤٠ ـ طبعـة أولى : ١٣٩١ هـ =١٩٧٢ م (والباب) يريد به باب حصن اليهود في خيبر .
ب ـ أخـطب خـوارزم : المنـاقب ـ صفحـة ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ و ١٠٦ (الفصـل الرابع عشر) .
ج : ابن حجـر العسقلاني : الإصـابـة ـ المجلد الثـاني ، صفحـة ٥٠٨ و ٥٠٩ ، ترجمة علي بن أبي طالب رقم ـ ٥٦٨٨ ـ حرف العين ـ القسم الأول .
ج ـ النسـائي : الخصائص من صفحة ٥٣ إلى ٦٨ (من الحديث ـ ١٣ إلى ٢٢) .
د ـ ابن المغـازلي : المنـاقب من صفحـة ١٧٦ ـ ١٨٩ ـ (من الحـديث ـ ٢١٣ ـ ٢٢٤) .
هـ ـ أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٣ ـ ٤٤ ـ طبع سنة ١٣٧٥ هـ =١٩٥٦ م .
و ـ محمد رضا المصري : محمد رسول الله من صفحة ٣٨٠ ـ ٣٨٣ ـ تحت عنوان (غـزوة خيبر) ، يقـول الأستاذ محمـد رضـا : « . . . ثم إنّ علياً ضـرب مرحَبَاً فَتَتَرَّس ، فوقـع السيفُ على الترس ، فَقَـدَّهُ ، وشَقَّ المغفر والحجـر الـذي تـحتـه والـعمـامتيـن ، وفَلَقَ هـامتـه ، حتـى أخـذ السيـفُ بالأضراس » أهـ .
ز ـ علي بن أبي طالب : عبد الكريم الخطيب ص ١٤٥ .

حتى ولـوا الدُّبـر . . . هذه الغـزوات هي التي أَعَزَّتِ الإسـلام ، وجعلته يُشـرق على العالمِ نهـاراً بهيجاً سـاطعاً كـان بَطَلُهـا المغوارُ عليّ بن أبي طالب ، لذلك فإنّ شوقي يراه باني الإسلام . . .

وقبل شوقي قال الفاروق عمر (رضه) : « والله لولا سَيْفُ عليٍّ لمـا قام عمود الإسلام » . . . (٢٥١) .

وقراءة شوقي لتاريخ الإسلام زَيَّنَتْ له أن يقرأ ما تصل إليه يَـدُهُ من كتب الحـديث النبوي . . . فـإذا هو يـرى الرسـول يقـول : « عليٌّ أميـر البررة ، وقاتل الفَجَرَة ، منصورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَـهُ ، ألا وإنَّ الحقَّ مَعَهُ وَيَتْبَعُهُ ؛ ألا فميلوا معه »أهـ(٢٥٢) .

ورآه يقول : « عَليٌّ مني وأنا منه » أهـ(٢٥٣) .

---

(٢٥١) راجـع : ابن أبي الحديـد المعتزلي المـذهب : شرح نهـج البلاغـة ـ الجزء الثـاني عشر ، صفحة ٨٢ طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ م تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المصري .

(٢٥٢) راجع : أ ـ الفقيه الشافعي ابن المغازلي : مناقب الإمام علي ـ صفحـة ٦٥ ـ الحديث (٩٣) وصفحة ٨٠ ـ الحديث (١٢٠) وصفحة ٨٤ ـ الحديث ١٢٥ .

ب ـ أخطب خوارزم الحنفي المـذهب : المناقب ص ١١١ ـ (الفصـل الثاني ـ في بيان قتال أهل الجمل . . .) .

ج ـ الشبلنجي الشافعي : نور الأبصـار ، قال : وأخـرج الحاكم عن جـابر أنّ النبي قال : « علي إمام البررة . . . . » الحديث .

د ـ الشيـخ الصبـان الشـافعي : إسعـاف الـراغبيـن في سيـرة المـصـطفى ـ ص ١٧٤ و١٧٥ ـ بهامش نور الأبصار .

(٢٥٣) راجـع : أ ـ النسـائي : الخصـائص صفحـة ١٣٧ ـ الحـديـث ٦٩ ـ وصفـحـة ١٤٣ ـ الحديث ٧٤ ـ وصفحة ١٤٤ ـ الحديث ٧٥ .

ب ـ السيـوطي الشـافعي : تـاريخ الخلفـاء ، صفحـة ١٦٩ ـ طبعـة رابعـة سنة ١٩٦٩م .

ج ـ ابن حجـر العسقلاني : الإصـابة ـ المجلد الثـاني ـ صفحة ٥٠٩ ـ (تـرجمـة علي ، رقم ٥٦٨٨) .

د ـ ابن المغـازلي : المنـاقب ، صفحـة ٢٢١ ـ الحـديث ٢٦٧ ـ وصفحـة ٢٢٢ ـ الحـديث ٢٦٨ ـ وصفحـة ٢٢٤ ـ الحـديث ٢٦٩ و٢٧٠ ـ وصفحـة ٢٢٥ ـ الحديث ٢٧١ .

=

ورآه يقول : « أقضاكم علي » أهـ[٢٥٤] .

ورأى الفاروق عمر يقول : « أقضانا علي » أهـ[٢٥٥] .

ورأى الرسول يقول : « عليٌّ وليُّ كل مؤمنٍ ومؤمنة بعدي » أهـ[٢٥٦]

ورآه يقول : « الحسن والحسين سَيِّدا شبابُ أَهْل الجنَّةِ ، وأبوهما خير منهما » أهـ[٢٥٧] .

ورأى الصحابيين الكبيرين : أبا بكر وعمر (العمران) (رضه) يلجآن إليه كلما نزلت بهما مُعْضِلَةٌ شرعيَّة . . أَوْ عَويصَةٌ علميَّة . .

= هـ ـ أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٧٩ ـ (الفصل الرابع عشر) ، وصفحة ٩٢ ـ وصفحة ٩٦ .

(٢٥٤) راجع : أخطب خوارزم : المناقب ـ صفحة ٣٩ ـ أول الفصل السابع .

(٢٥٥) راجع : أ ـ السيوطي الشافعي : تاريخ الخلفاء ـ صفحة ١٧٠ ـ طبعة رابعة ـ ١٩٦٩ م .
ب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ المالكي : الاستيعاب ـ المجلد الثالث ـ ص ٣٩ ـ باب (ترجمة علي بن أبي طالب) حرف العين ـ القسم الأول ، بهامش الإصابة في التمييز بين الصحابة لابن حجر العسقلاني .
ج ـ أخطب خوارزم ـ الحنفي : المناقب ـ صفحة ٤٧ ـ (الفصل السابع) ، روى عن ابن عباس ، قال : خطبنا عمر فقال : « عليٌّ أقضانا » أهـ .

(٢٥٦) راجع : أ ـ المصدر السابق ـ صفحة ٧٤ ـ آخر الفصل الثاني عشر .
ب ـ ابن حجر العسقلاني الشافعي : الإصابة ـ المجلد الثاني ، صفحة ٥٠٩ ـ ترجمة علي ـ رقم ٥٦٨٨ .
ج ـ أبو عمر ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، بهامش الإصابة ـ المجلد الثالث . ترجمة علي بن أبي طالب صفحة ٢٨ ـ حرف العين ـ القسم الأول .
د ـ النسائي صاحب السنن : الخصائص ـ صفحة ١٦٥ ـ الحديث رقم ٨٩ ـ وغيرهم .

(٢٥٧) راجع : أ ـ أخطب خوارزم : المناقب (الفصل التاسع عشر) صفحة ٢٠٩ .
ب ـ ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة الحديث ١١ ـ صفحة ١٩١ ـ (الفصل الثالث) ـ نقلاً عن ابن عساكر وابن عمر ، وابن ماجة ، والحاكم ، والطبراني ، ومالك .

فيأخذان عنه . . ويعملان بما يحكم به . . . »[٢٥٨] .

تلك الأقوال تستقر في عقله الباطني قبساً من ضياء . . .

وحين يجلس على أريكة الشعر ينظم منها وساماً . . .

ويُقدمه هديَّةً كريمة للأجيال الصَّاعدة واللاحقة . . .

قــــــــال :

أمّـا الإمـامُ ، فـالأغـرُّ الهـادي ... حـامي عـرين الحقِّ والجهـادِ

الـعُـمـرانِ يـأخُـذانِ عَـنْـهُ ... والحسنـان ، نُسْخَتـانِ مِنْـهُ

أَصْـلُ النَّبيِّ المصطفى وَفَـرْعُـهُ ... وديـنـهُ مـن بـعـده وَشَـرْعُـهُ

وصـفحتـاه ، مُقْبـلاً ومُـدْبـراً ... وفي الـوغى ، وحين يرقى المنبرا

والـحَـجَـرُ الأوَّلُ فـي البـنـاء ... وَأَقْـرَبُ الصَّحْـبِ بـلا آسْتِثْنـاءِ

وَجَـامِـعُ الآيـاتِ ، وهـي شَتَّـى ... وشـدة القضاء ، بـاب الإفتـا » أهـ

* * *

وهكـذا نـرى أعمـدة الفكـر العلمي . . والأدبي . . في العـالم الإسلامي يمحضون أهل بيت نبيهم حُباً صافياً . . . وإجـلالاً صادقـاً ، ينبعان من إيمانهم الباسق بالله ورسوله ، ولم يصرفهم عن حبّهم المبارك سلطان السياسة ولا أهواؤُها العاصفة . . .

---

(٢٥٨) راجع : الفيروزآبادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ الجزء الثاني ـ من صفحة ٣٠٦ إلى ٣٤٤ ـ طبعة رابعة ـ سنة ١٩٨٢ م ـ فقد أورد أحاديث كثيرة عن رجوع : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وعائشة إليه ، نقلها بأسانيدها عن : موطأ الإمام مالك (كتاب الأشربة) صفحة ١٨٦ والرياض النضرة ج ٢ ـ ص ٢٤٤ ، وكنز العمال ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٠١ . ومسند الإمام أحمد بن حنبل ـ الجزء الأول صفحة ١٤٠ و١٥٤ ـ وسُنن البيهقي ـ ج ٧ ـ ص ٤١٩ ـ وابن حجر في الإصابة ـ ج ٨ ـ القسم ١ ص ٢٠٤ ـ ، وصحيح مسلم (كتاب الطهارة) . . الخ ورجوع الصحابة لعليٍّ أمر لا خلاف عليه .

حتى أئمة المذاهب عاشوا ، وتركوا هذا العالم على أتقى حُبٍّ لهم ، وأزكى تقدير لخصوصياتهم .

هذا الأستاذ عبد الحليم الجندي المستشار في المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة في مصر العربية يؤكّد هذه الحقيقة فيقول : « لكنَّ الأُمَّةَ بقيَتْ على حُبِّ عليٍّ وأبنائه ، وكثرتها ككثرة الصحابة في إجلاله فالشافعيُّ ـ أبر عَقْلٍ علمي ـ يضع حُبَّ أهل البيت بين فرائض الدين ، ويذكر المسلمين بأنَّ الصلاة على أهل البيت جُزْءٌ من الصلاة لله .

يقـــــول :

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمُ فَرْضٌ من الله ، في القرآن أَنْزَلَهُ
كفاكم من عظيم القدر أنّكم مَنْ لم يُصَلِّ عليكم ، لا صلاة له

والإمام أحمد يقول : « ما جاء لأحَدٍ من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي » .

وَتَشَيُّعُ أبي حنيفة مَحَلُّ إقرارٍ أو إنكار ، وهو القائل : « لولا السنتان لهلك النعمان » قاصِداً مدة دراسته ؛ ومالك بن أنس من أنْبَهِ تلاميذ الإمام جعفر ذِكْراً ، والأربعة ، أئمَّةُ أهل السنّة »أهـ[٢٥٩] .

* * *

وإنّه لَيَجْمُلُ في عين الإنصاف أن نذكر خبراً تاريخياً طريفاً . . .

هذا الخبر يطلع علينا به أبو حنيفة نفسُه . . .

وهو ينطوي على مكيدة بطلُها ، وباعث دم الحياة في عروقها أبو جعفر المنصور ـ الخليفة العباسي ـ . . .

ثم لجأ إلى أبي حنيفة يستعين به على تنفيذها . . .

---

(٢٥٩) راجع : عبد الحليم الجندي : الإمام الصادق ، صفحة ٢٥٢ ـ طبع القاهرة سنة ١٩٧٧ .

كانت مكيدة المنصور ترمي إلى إسقاط مكانة الإمام جعفر بن محمد الصادق في المجتمع الإسلامي . . .

بَيْدَ أَنَّ علم الصادق بدقائق الفقه الإسلامي صَرَعَ المكيدة ، وأطفأ فيها شعلة الحياة . . .

وَجَعَلَ أبا حنيفة يشهد أمام المنصور أنّ جعفر الصادق أعلم الناس . .

ولعلّك تسأل : ما الذي جعل الخليفة العباسي يكيد للإمام الصادق ؟؟ .

والجواب : إنّ أبا جعفر المنصور كان يحسد الصادق على مكانته العلميَّة . . والاجتماعية . . . فجعفر الصادق من أبناء رسول الله (ص) .

وهو مرجع : العلماء . . والفقهاء . . والزهاد . . والعُبّاد . . .

وَخُلُقُهُ سَكْبُ رحمانيٌّ من خُلُقِ جده الرسول الأعظم . . .

وهو للفقراء والمساكين والمحرومين أَبٌ رحيم . . .

يُغذِّي أرواحهم وأحاسيسهم بحنانه الملائكي . . .

وَيُقَدِّمُ لهم من غذاء الجسد ما يجعل قلوبهم تنعم بطمأنينة الرضى . . .

من أجل ذلك يحبّه الناس ويجلونه . . .

ومن أجل ذلك يحسده الخليفة ويكرهه . . .

وإنّه ليخشى منه على سلطانه الجديد المارد . .

إذاً فلا بُدَّ من كيدٍ يُبَيِّتُهُ له ليشوهه . .

ولكن : كيف ؟؟ . .

وبأيّة وسيلة ؟؟ .

ألا فَلْيَأْتِهِ مِنَ الناحِيَة الفقْهيَّة التي يراه الجميع فيها سَمَاءً لا تطاولها سماء . . .

وينطلق ذهنُ الخليفة العباسي . . يُخَطِّطُ . . ويُخطط . . .

ثم هوذا تتفتح في وجهه ابتسامة فرحٍ ورديٍّ . . .

لقد وجدها . . . وبقيَ عليه أن يُنفِّذ . . .

فيرسل إلى أبي حنيفة فيحضره . . . ويخلو به . . .

ترى ، ماذا قال له ؟؟ .

لِنَتْرُكْ الإمام أبا حنيفة يقصّ علينا ما جرى ، فسماعها طَرِيَّةً من فمه ، أَلْطَفُ ، وأشهى .

قال : « قال لي أبو جعفر المنصور : يا أبا حنيفة . إنّ الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد ، فهيّىء له من المسائل الشِّداد . .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ أحد علماء الأزهر الشريف في كتابه ـ الإمام الصادق ـ ، فَهَيَّأَ له أربعين مسألةً ،ثم يتابع فيقول : والتقى الإمامان بالحيرة في حضرة المنصور ، ويقول أبو حنيفة في اللقاء :

« أَتَيْتُهُ ، فَدَخَلْتُ عليه ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد جالسٌ عن يمينه ، فَلمَّا بَصُرْتُ به ، دخلَتْني من الهَيْبَةِ لجعفر الصادق ابن محمد ، ما لم يَدْخُلْني لأبي جعفر ، فَسَلَّمْتُ عليه ، وأومأ فَجَلَسْتُ » .

« ثم التفتَ إليه ، وقال : هذا أبو حنيفة .

فقال : نعـــم .

ثم التفتَ إليَّ وقال : يا أبا حنيفة !! أَلْقِ على أبي عبد الله من مَسَائلك » .

فَجَعَلْتُ أُلْقِي عليه فَيُجِيبُني ، فيقول : أنتم تقولون كذا ، وَأَهْلُ

المدينة يقولون : كذا ، ونحن نقول : كذا ، فربما تابَعَنا ، وَرُبَّما تابَعَهُمْ ، وربما خالفنا جميعاً ، حتى أتيتُ على الأربعين مسألةً » .

وينظر أبو حنيفة إلى الصادق نظرة إكبار وإعجاب ، ويقول :

« إنَّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس » أهـ[٢٦٠] .

* * *

وَيَتَحَدَّثُ إلينا الأستاذ عبد الحليم الجندي عن شمولية التعاليم التي كانت تصدر عن الإمام الصادق . . فيوضح أنّها تجاوَزَتْ حدود القواعد الفقهيَّة ، إلى الأصول العِلْميَّة الأخرى . . إلى : الاجتماع . . والاقتصاد . . والسياسة . . . أمّا أئمة أهل السُّنَّة ، فإنّهم كانوا يقفونَ عند منابت الفقه . . .

ولأنَّ الصادق كان يُحَلِّق في سماء الفقه . . وشَتَّى العلوم عُقاباً ماردَ الجناحين . .

كان أئمة السُّنة يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ طُلَّابَ علم في حضرته . . .

وإن كانوا هم أئمة بالنسبة للآخرين . . .

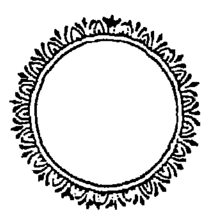
إليك كلمات الجندي بعين ألفاظها . . .

قال : « فالتعاليمُ الصَّادرة عن الإمام الصَّادق ، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ أُصولٍ فقْهيَّةٍ ، أو فروع علميَّة ، كما هو دَأْبُ الأئمة من أهل السنَّة ، بل هي تَتَعَدَّى ذلك المجالَ إلى كُلِ مَجَالٍ للنَّاس فيه نشاطٌ : سياسيٌّ . . . أو اجتماعيٌّ ، أو اقتصادي . . .

ومن أَجْل ذلك العُموم في رسالةِ الإمام كان شعور أبي حنيفة ، ومالك ، وسفيان الثوري ، وعمرو بن عبيد ، ونظرائهم ، أنّهم في

(٢٦٠) راجع : محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ـ صفحة ٢٨ ـ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي .

مجلسه تلامذةً ، واعْتبار الأمة أنّهم هنالك كذلك ، وإن كانوا أئمةً » أهـ[٢٦١] .



(٢٦١) راجع : عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق - صفحة ٣٢٦ - طبع مصر سنة ١٩٧٧ م .

الفصـل الحادي عشر

صفوة القول في الأئمة الإثني عشر . .

وَمُجْمَـلُ الْقَـوْلِ : إنّ الحـديثَ عن الأئمـة الاثني عَشَـر من أَهْـلِ الْبَيْتِ المحمدي يبدأُ ولا يكادُ ينتهي . . . ولا رَيْبَ أنَّ الْوَحْيَ الذي أَنْزَلَهُ الله على رسوله فيهم . . .

وَمعْطارَ الثناء الذي أفاضه عليهم جَدُّهم رسول الله بإذن ربّه . . .

وَنَهْجَهُم السَّبُّوحيَّ في تَطْبيق فَلْسَفة الإسلام ومفاهيمه . . .

وسيرة حياتهم المُشِعَّة بالمناقب العلية الخضراء . . .

وما آتاهم الله من علوم . . .

وفهم لشريعة الإسلام . . .

ومعاني الإسلام . . .

وأســـرار القرآن . . . .

أقولُ : لا رَيْبَ أنّها سَتَبْقى مَصْدَرَ إلهامٍ لقرائح أرباب الفكر الحُـرِّ المبدع حتى يرث الله الأرض وَمَنْ عليها . . .(٢٦٢) .

---

(٢٦٢) رأينا فيما سبق أكثر حُكّام المسلمين منـذ غياب رسـول الله ، وحتى الأمس القريب يـزاولون كـل أسـاليب الكيـد لإنـزال الأذى بـالأئمـة الاثني عشـر من أهـل البيت حفـاظـاً على تـاج =

وكيف لا يكونون كذلك ، وقد دمجهم الرسول في آخر نُطْقٍ له في وَحْدَةٍ اتِّحاديَّة مع القرآن الكريم ؟؟؟

قال صلى الله عليه وآله : « إنّي أُوشكُ أن أُدْعى فأجيب ، وإنّي تاركٌ فيكم الثَّقَلَيْن : كتابُ الله ، وعترتي ، وإنَّ اللطيفَ الخبير خَبَّرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تُخَلِّفوني فيهما »أهـ(٢٦٣) .

= الملك ، . . . أو انتصاراً لعصبيَّة قَبَليَّة . . وقد نقلنا ألواناً من ذلك الكيد من التاريخ الإسلامي . . .

ولم يكن الأئمة وحدهم يُصلون نار ذلك الكيد . . بل كان الحقد المحطِّم ينصبُّ على من يُواليهم . . أو يتحدث عن مناقبهم ، وبالرغم من ذلك ، فقد ألف جهابذة علماء المسلمين . . وأحرار مفكريهم كتباً كثيرة في فضائلهم ونظموا الشعر في مدحهم ، حتى بلغ عدد تلك الكتب (٧٥) كتاباً ، وقد ذكر أسماء الكتب والمؤلفين السيد محمد رضا الخرسان في مقدمة كتاب « المناقب » لأخطب خوارزم الحنفي . . .

وفي هذا العصر الذي رُفِعَتْ فيه عصا البطش عن الذين يُوالون الأئمة الاثني عشر من آل محمد ، قلّ أن نرى كاتباً يحمل قلماً حُرّاً في العالم العربي ـ ولا سيما مصر العربية ـ إلاّ كتب عن إمام من أئمة أهل البَيْت إمّا كتاباً مستقلاً . . أو مقالاً منفرداً . . .

وإنّه لَحَقٌّ لأعلام الفكر المتحرر من أغلال التقليد . . . والمؤمنين بالإسلام إيماناً قلبيّاً أن يكتبوا عن أهل البيت الذين هم المثل الأعلى للتأسّي والاقتداء . . .

إنّهم حين يدرسون حياتهم . . . وأقوالهم . . وَيُنَقبون في مناهجهم الإنسانيّة . . . والاجتماعية . . . و . . . . و . . . . يُمِدُّون الجيلَ الصّاعدَ بالغذاء الرُّوحي ـ الماديّ الذي يُؤَهِّلُهُمْ لقيادة البشريّة إلى التّكامل الإنساني . . ويفتحون له أبواب الدخول إلى جنّات الإسلام . . . حيث يتذوقون طعم حياة : الإخاء . . . والحرية . . والمساواة . . .

(٢٦٣) راجع : أ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي المذهب : إحياء الميت بفضائل أهل البيت ص ١٦ ـ الحديث الثامن .

ب ـ المحب الطبري : ذخائر العُقبى ـ ص ١٦ ـ (باب في فضل أهل البيت) ، وفيه بعد لفظ الجلالة : « حَبْلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض » .

ج ـ الفقيه ابن المغازلي : المناقب ـ صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٦ من الحديث ـ ٢٨١ ـ ٢٨٤ .

د ـ وراجع من كتاب « إحياء الميت . . . » المذكور ، صفحة ١٤ و ١٥ ـ الحديث : السادس والسابع ، وصفحة ٢٤ ـ الحديث ٢٢ و٢٣ ـ وصفحة ٤١ ـ الحديث ٥٥ و٥٦ ـ (نشر توحيد ، تحقيق جمال فخري) وقد =

ألا ما أكرمَهُ دَرْساً يُلقيه علينا رسول الله عن الحضرة الإلهيَّة . . .

هو يُوشكُ أن يَتْرُكَ هذا العالم وَيَنْتَقِلَ إلى الرفيق الأعْلى . . .

ولكنه يمضي فَرِحَ القلب . . . راضيَ النفس . . .

لماذا ؟؟؟

لأنّه ترك للمسلمين ، بل للعالم جميعاً نورين هاديين يقومان مقامه ببذل :

النصح . . .

والتوجيه . . .

والإرشـــاد . . .

والهُدى . . .

والسَّيْـرِ في طريق التقـدم الحضـاريِّ بشـطريه : المـاديِّ . . والـروحيِّ . . لبنـاء المـدينـة الفـاضلة التي تنشـدهـا عـدالـة الإسـلام الاجتماعية . . والاقتصـادية . . والسيـاسية . . هـذان النوران الـوضّاءان هما :

= أخرج السيوطي (حديث الثقلين) بأسانيده عن : زيد بن أرقم ، وزيد بن ثـابت ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هـريـرة ، وعلي ، وعبد الله بن حنطب . . عن رسول الله (ص) .

أمّا محقق كتاب « إحياء الميت . . » فقد أورد في الهامش أسماء الأئمة والمحدثين الذين رووا الحديث في كتبهم ، وَعَدَّ منهم : الإمام أحمد في مسنده ـ ج ٣ ـ ص ١٧ ـ وأبو يَعْلى الموصلي في مُسْنده ـ ج ٢ ـ ص ٢٩٧ و٣٠٣ و ٣٧٦ ؛ وابن سعد في الطبقات الكبرى ـ المجلد الثاني ـ صفحة ١٩٤ ـ والطبراني في المعجم الصغير ـ ج ١ ـ ص ١٣١ . والخوارزمي في مقتل الحسين ـ ج ١ ـ ص ١٠٤ ـ والحمويني في فرائد السمطين ـ ج ٢ ـ ص ١٤٤ ـ . والهيثمي في مجمع الزوائد ـ ج ٩ ـ ص ١٣٦ ـ . والقندوزي في ينابيع المودة صفحة ٣٢ ـ عن تفسير الثعلبي .

وقال : « وفي جميع المصادر بعد « كتاب الله : عبارة حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي . . . » أهـ .

١ ـ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . .

٢ ـ أهل بيته الأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجسَ وطهَّرهُم تطهيرا . . .

ثُمَّ يُعَلِّمُنا الرسول الكريم : أَنَّ الله أَنْبَأَهُ ، وهو بدورهِ يُبَلِّغُ العالم ذلك النبأ العظيم أنّهما ـ القرآن والأئمة من أهل بيته ـ يؤلفان وَحْدَة ذات لحمة لا تنفصم عُراها حتى تشرق الأرضُ بنور ربّها : « وإنّ اللطيف الخبير خَبَّرني أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » .

وَمَعْنى ذلك : أنَّ تلك الوَحْدَةَ المُقَدَّسَةَ تَجْعَلُ للأئمة الاثني عَشَرَ من أهل البيت كُلَّ ما للقرآن الحكيم من :

طهارة . . .

وطاعة . . .

وعصمة . . .

وجلال . . .

إنَّها خصوصيَّةٌ مَيَّزَهُمْ الله بها عن الناس قاطبةً ، ولذلك قال (ص) : « نحن أهل البيت لا يُقاسُ بنا أحد » .

ولذلك قال الإمام عليُّ بن أبي طالب (ع) : « لا يُقاس بآل محمد من هذه الأُمَّة أَحَدٌ ، ولا يُسَوَّى بهم مَنْ جَرَتْ نعمتُهم عليه أبداً » هم :

أساسُ الدين . . .

وعمادُ اليقين . . .

ولهم خصائصُ حَقِّ الولاية . . .

وفيهم الوصيَّةُ والوراثة » أهـ(٢٦٤) .

ويشيرُ الإمام إلى مراتبهم العليا فيقول :

---

(٢٦٤) راجع : الإمام علي بن أبي طالب : نهج البلاغة ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٠ ـ خ ٢ ـ طبع كرم ـ دمشق .

فيهم كرائمُ القرآن . . .
وهم كنوزُ الرحمن . . (أي خَزَنَةُ علمه) .
إن نطقوا صَمَتوا . . .
وإن صَمَتوا لم يُسْبقوا . . . » أهـ(٢٦٥) .

وكأني به عليه السلام ، قد سُئِلَ عن المكانة الروحيَّة للأئمة من أهل البيت ، فقال : « وإنّما الأئمَّةُ قُوَّامُ الله على خلقه . . .
وعرفاؤهُ على عباده . . .(*) .
لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلاّ مَنْ عَرَفَهُمْ وعرفوه . . .(**) .
ولا يَدْخُلُ النار إلاّ مَنْ أنكرهم . . وأنكروه » أهـ(٢٦٦) .

ويكشفُ عن طاقاتهم العلميّة . . وتكامُل أخلاقهم المحمديَّة الإنسانيَّة . . وقيمهم الحسنى فيقول :

« هم عَيْشُ العلم . . (حياته) .
وَمَوْتُ الجهل . . .
يُخبركُمْ حِلْمُهُمْ عن علمهم . . .
وَصَمْتُهُمْ عن حُكْم منطقهم . . .
لا يُخالفونَ الحَقَّ ولا يختلفونَ فيه . . .

---

(٢٦٥) راجع : المصدر السابق ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٤٤ ـ خ ١٥٢ .

(*) العريف : العارف العالم بالشيء ، والعريف : القَيِّمُ بأمر القوم وسيدهم ؛ جمع عرفاء ، والأئمة صلوات الله عليهم أهل ذلك ، فهم رَحْمَةٌ مهداةٌ من الله لعباده . . يقول سبحانه في الآية ٧٣ من سورة الأنبياء : ﴿ وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ .

(**) عرفهم . . وأطاعهم . . يقول تعالى في الآية ٧١ من سورة الإسراء : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ وعرفوه : اهتدى بهديهم ، وشهدوا له بالإسلام والإيمان والاستقامة على نهج الإسلام الحق ـ أما معاديهم وجاحد ولايتهم فهم له مُنكرون . . .

(٢٦٦) المصدر السابق ـ الجزء الثاني ، صفحة ٤٠ ـ خ ١٥٠ .

هُمْ دَعائمُ الإسلام . . .
وَوَلائجُ الاعتصام . . .(٢٦٧) .
بهِمْ عادَ الحَقُّ في نِصابه . . .
وانزاحَ الباطلُ عن مُقامه . .
وانْقَطَعَ لِسَانُه عن مَنْبتِهِ . . .
عَقَلوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعاية . . .
لا عَقْلَ سَماعٍ ورِواية . . .
فإنَّ رُواةَ الْعِلْمِ كَثيرٌ . .
وَرُعاتُهُ قليلٌ » أهـ(٢٦٨) .

ويذكر الإمام مكانةَ أئمَّةِ أَهْلِ البيت من رسول الله فإذا هُمْ :
أَوْعيَةُ عِلْمِه . .
وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ القرآنِ والسُّنَّةِ . . ,
وبهم يَقْوَى الإسْلامُ . . وَيَتَرَسَّخُ . . وَيَسْتَقيم . . .
وَحُكْمُ الرَّسُولَ وَشَرْعُهُ يَرْجعُ إليهم . . .

وهم حُفَّاظُ كُتُبه يَحْوونها كما تَحْوي الكَهوفُ ما يكونُ فيها .

وهم قُـوَّةُ الرسـول ، وبهم آمَنَهُ الله من الخـوف الذي تَـرْتَعِـدُ منـه الفرائص ، وسيرتهم صراطُ الله المستقيم »(***) .

ألا ، لا يَفُتْكَ التَّأَمُّلُ الواعي في كلمات الإمام الآتية عن الأئمة من أهل البيت ، قال عليه السلام :

---

(٢٦٧) الوليجة : مَنْ تتخذه معتمداً من غير أهلك ، واعتصم به : امتنع ولجأ ـ أي إنّهم هم الـذين يُعْتَمَدُ عليهم في معرفـة أصول وفـروع الإسلام . . لأنّ معـارفهم لا يرقى إليهـا الخطأ . . . لأنّهم مع القرآن ، والقرآن معهم . . .

(٢٦٨) الإمام علي بن أبي طالب : نهج البلاغة ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٣٢ ـ خ ٢٣٧ .

(***) الكلمـات التي بين القوسين ، من (وحِكَمُ . . إلى المستقيم) للشيـخ محمـد عبـده مفتي الديار المصرية (راجع نهج البـلاغة ـ الجـزء الأول ـ صفحة ٣٠ ـ الهـامش ـ أواخر الخـطبة الثانية .

(هم) « مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ ، وَكُهوفُ كُتُبِهِ(*) ، وجبـال دينه ، بهم أَقَـامَ انْحِنَاءَ ظَهْـرِهِ ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ »أهـ[٢٦٩] .

أَجَلْ إِنَّها مَنْـزِلَةٌ شـاهِقَةٌ خَصَّ الله بهـا الأئمة الاثني عشـر من أهل بيت نبيِّه الكريم (ص) .

﴿ قُـلْ إنّ الفضل بيـد الله يؤتيه مَنْ يَشـاء والله واسـعٌ عليم يختص برحمته مَنْ يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ أهـ[٢٧٠] .

(*) اللَّجَأُ محركة : الملاذ ، وما تلتجيء إليه وتعتصم به . والعيبة: الـوعاء . ومـوئل حكمـه : قال ابن أبي الحـديـد (في شـرحـه ـ الجـزء الأول ـ ص ١٣٨ ـ تحقيق : محمـد أبـو الفضـل إبراهيم ـ طبعة ثانية سنـة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م) قال : وحُكْمـه ـ أي شرعـه ـ يرجـع ويؤول إليهم ، وعلمـه مُودَعٌ عنـدهم ، وكتُبه يعني : القـرآن والسُّنَّة عنـدهم ؛ فهم كـالكهـوف لـه لاحتوائهم عليه ، وهم جبالُ دينه لا يتحلحلون عن الـدين ، أو أنَّ الدين ثـابتٌ بوجـودهم ، كما أنّ الأرضَ ثابتَةٌ بالجبال ، ولولا الجبالُ لمادَتْ بأهلها » أهـ .

والفرائص : جمع فريصة : اللحمة بين الجنب والكتف .

ويقول الشيخ محمد عبده في شرحه : « والكتب : القرآن ، وَجَمَعَهُ لأنّه فيما حـواه كجملة ما تقدمه من الكتب ، ويزيد عليها ما خَصَّ الله به هذه الأمة » أهـ .

ويقول الشيخ محمـد جواد مغنيـة في آخر شـرحه لهـذه الفقرة « هم مـوضع سـره . . : « إنّ الأوصافَ التي ذكرها الإمام لأهل البيت تشهد بها :

١ ـ آية المباهلة ـ (سورة آل عمران : ٦١) .

٢ ـ آية التطهير (سورة الأحزاب : ٣٣) .

٣ ـ حديث الثقلين الذي ساوى النبيُّ فيه بين القرآن وأهل بيته . . .

ثم يقـول : إنّ الشيخ قـوام الدين الـوشنوي القمي جمـع أسانيـد حديث الثقلين المتـواتر من طريق أهل السنة في رسالة خاصَّـة أسماهـا « حديث الثقلين » ، ونشـرتها دارُ التقـريب بين المذاهب الإسلامية . . . » .

راجع : محمد جواد مغنية : في ظلال نهج البلاغة ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٩ ـ ٨٠ ـ طبعـة ثانية ـ حزيران ـ ١٩٧٨ م . طبع دار العلم للملايين ـ بيروت .

(٢٦٩) المصدر السابق ـ الجزء الأول ـ ص ٢٩ و٣٠ ـ الخطبة ٢ .

(٢٧٠) سورة آل عمران : ٧٣ ـ ٧٤ .

مصادر الكتاب

اسم المؤلف	اسم الكتاب
١ ـ	القرآن الكريم ـ سور متعددة
٢ ـ الإمام علي بن أبي طالب	نهج البلاغة ـ الجزء الأول والثاني
٣ ـ محمد بن الحسن بن فروخ	بصائر الدرجات الكبرى ـ الجزء الثاني
٤ الشيخ الحر العاملي	وسائل الشيعة ـ الجزء الأول
٥ ـ الإمام مسلم بن الحجاج	صحيح مسلم ـ الجزء الأول ، والخامس ، والسابع
٦ ـ شيخ الشافعية محب الدين الطبري	ذخائر العقبى
٧ ـ د . مصطفى الرافعي	إسلامنا
٨ ـ الحاكم الحسكاني ـ الحنفي	شواهد التنزيل ـ الجزء الثاني
٩ ـ الشيخ سليمان القندوزي ـ الحنفي	ينابيع المودة ـ الجزء الأول ، والثاني ، والثالث
١٠ ـ الحافظ النسائي ـ الشافعي	خصائص الإمام علي أمير المؤمنين

١١ ـ الفقيه الشافعي ابن المغازلي	المناقب
١٢ ـ ابن حجر الهيثمي الشافعي	الصواعق المحرقة
١٣ ـ الإمام البخاري	صحيح البخاري ـ الجزء الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والثامن
١٤ ـ الإمام مالك	الموطّأ
١٥ ـ الشيخ محمد الصبان الشافعي	إسعاف الراغبين
١٦ ـ عبد الحليم الجندي ـ الشافعي	جعفر الصادق
١٧ ـ ابن طولون ـ الحنفي	الأئمة الإثنا عشر
١٨ ـ ابن الأثير الجزري ـ الشافعي	أسد الغابة ـ الجزء الأول ، والثالث ، والسادس
١٩ ـ جلال الدين السيوطي ـ الشافعي	تفسيره ، الدر المنثور
٢٠ ـ ابن حجر العسقلاني ـ الشافعي	الإصابة في التمييز بين الصحابة ـ الجزء الثاني
٢١ ـ الشيخ مؤمن الشبلنجي ـ الشافعي	نور الأبصار
٢٢ ـ جلال الدين السيوطي	تاريخ الخلفاء
٢٣ ـ المحدث الهيثمي (علي بن أبي بكر) الشافعي	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الجزء التاسع ، والثامن
٢٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل	المسند ـ الجزء الأول والثالث
٢٥ ـ الإمام الترمذي « محمد بن عيسى » الشافعي	صحيح الترمذي ـ الجزء الثاني والخامس

٢٦ ـ القاضي عياض المالكي المذهب	الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ الجزء الثاني
٢٧ ـ الحاكم النيسابوري ـ الشافعي	المستدرك ـ الجزء الثالث
٢٨ ـ الخطيب البغدادي الشافعي	تاريخ بغداد ، الجزء الأول ، والثامن ، والثالث عشر ، والرابع عشر
٢٩ ـ عباس محمود العقاد	عبقرية الإمام علي
٣٠ ـ المحب الطبري	الرياض النضرة ـ الجزء الثاني
٣١ ـ أخطب خوارزم ـ الحنفي	المناقب
٣٢ ـ د . طه حسين	الفتنة الكبرى ـ علي وبنوه
٣٣ ـ المتقي الهندي ـ الحنفي	كنز العمال ، الجزء السادس ، والسابع
٣٤ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي	شرح نهج البلاغة ـ الجزء الأول ، والثاني ، والثامن ، والتاسع ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر
٣٥ ـ ابن سعد	الطبقات الكبرى ، المجلد الثاني
٣٦ ـ ابن عبد البر القرطبي المالكي المذهب	الاستيعاب ـ الجزء الثالث ، في هامش الإصابة
٣٧ ـ عبد الرحمن الشرقاوي	علي إمام المتقين ـ الجزء الأول
٣٨ ـ عبد الفتاح عبد المقصود	الإمام علي ـ الجزء الأول والرابع
٣٩ ـ أبو داؤود السجستاني صاحب السُّنن	الصحيح ـ الجزء ٢٨
٤٠ ـ الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد)	أسباب النزول

٤١ ـ محمد بن جرير الطبري	تاريخ الأمم والملوك ـ القسم الأول ـ ٢ ـ
٤٢ ـ أبو الفداء	المختصر في تاريخ البشر ـ الجزء الثاني
٤٣ ـ الإمام الذهبي (محمد بن أحمد)	ميزان الاعتدال ـ الجزء الأول ، والثاني . والثالث .
٤٤ ـ ابن الجوزي ـ الحنبلي	مولد العروس
٤٥ ـ المحدث النووي (يحي بن شرف)	رياض الصالحين
٤٦ ـ ابراهيم بن محمد الحمويني	فرائد السمطين ـ الجزء الأول
٤٧ ـ ابن كثير	البداية والنهاية ـ الجزء ٨ و١١
٤٨ ـ المسعودي	مروج الذهب ـ الجزء الثاني والثالث
٤٩ ـ الشيخ محمد أبو زهرة	الإمام جعفر الصادق
٥٠ ـ عبد الكريم الخطيب	الإمام علي بن أبي طالب
٥١ ـ ابن قُتيبة	تاريخ الخلفاء ـ الجزء الأول
٥٢ ـ ابن عبد ربه المالكي	العقد الفريد ـ المجلد الثاني والثالث
٥٣ ـ تقي الدين المقريزي	الخطط المقريزية ـ المجلد الثاني
٥٤ ـ عبد الوهاب الكلابي	مسند دمشق
٥٥ ـ المقريزي	فضل آل البيت
٥٦ ـ دار المشرق	منجد الأعلام
٥٧ ـ محمد بن طلحة الشافعي	مطالب السؤول
٥٨ ـ اليعقوبي	تاريخ اليعقوبي ـ الجزء الثالث
٥٩ ـ عبد العزيز سيد الأهل	الإمام زين العابدين
٦٠ ـ أحمد فهمي محمد المصري	الإمام زين العابدين

٦١ ـ أبو نعيم الأصبهاني	حلية الأولياء ـ الجزء الثالث
٦٢ ـ المجلسي	بحار الأنوار الجزء : ١٢ـ١٧
٦٣ ـ ابن الصبّاغ المالكي	الفصول المهمّة
٦٤ ـ الشيخ المفيد	الإرشاد
٦٥ ـ عثمان لاوند	الإمام الصادق علم وعقيدة
٦٦ ـ عبد الرحمن الكيالي	الإمام الصادق
٦٧ ـ خير الدين الزركلي	الأعلام ـ المجلد : ٢ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦
٦٨ ـ الألوسي	التحفة الإثني عشرية
٦٩ ـ عبد الرحمن الحنفي البسطامي	مناهج التوسّل
٧٠ ـ محمد بن حمزة بن زهرة	غاية الاختصار
٧١ ـ أبو زكريا الحافظ النووي	تهذيب الأسماء واللغات
٧٢ ـ محمد علي إسبر	سطور مُضيئة عن الإمام الصادق
٧٣ ـ د . زكي نجيب محمود	جابر بن حيّان
٧٤ ـ محمد يحيى الهاشمي	الإمام جعفر الصادق ملهم الكيمياء
٧٥ ـ بطرس البستاني	دائرة المعارف ـ الجزء السادس
٧٦ ـ ابن خلكان	وفيات الأعيان ـ الجزء الأول والثاني
٧٧ ـ فئة من المستشرقين	دائرة المعارف الإسلامية ـ الجزء السادس
٧٨ ـ مُرتضى المطهري	قصص الأبرار
٧٩ ـ محسن الأمين	أعيان الشيعة ـ المجلد الأول والثاني
٨٠ ـ محمد الحسين المظفري	الإمام الصادق ـ الجزء الأول
٨١ ـ الفيض الكاشاني	تفسير الصافي

المؤلف	الكتاب
٨٢ ـ محمد باقر الصدر	إقتصادنا
٨٣ ـ محمد علي إسبر	هل قرأت أبا ذر ؟
٨٤ ـ أحمد بن يوسف القرماني	أخبار الدول وآثار الأول
٨٥ ـ سبط ابن الجوزي	تذكرة الخواص
٨٦ ـ عبد الوهاب الشعراني	طبقات الشعراني الكبرى « طبقات الأخبار »
٨٧ ـ محمد أمين السويدي	سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب
٨٨ ـ د . زكي مبارك	شرح زهر الآداب ـ الجزء الأول
٨٩ ـ د . محمد يوسف ـ المصري	الفقه الإسلامي ـ مدخل لدراسة المعاملات
٩٠ ـ محمد بن وهيب القراغوني	جوهرة الكلام
٩١ ـ عبد الله أسعد اليافعي	مرآة الجنان ـ الجزء الأول
٩٢ ـ عبد الجبار الجومرد	هرون الرشيد ـ الجزء الأول
٩٣ ـ علي محمد علي دخيّل	أئمتنا ـ الجزء الثاني
٩٤ ـ يوسف النبهاني	جامع كرامات الأولياء ـ المجلد الثاني
٩٥ ـ عبد الله الشبراوي الشافعي	الإتحاف بحب الأشراف
٩٦ ـ علي جلال الحسيني	الحسين ـ الجزء الثاني
٩٧ ـ عبد الله عفيفي	المرأة العربيّة ـ الجزء الثالث
٩٨ ـ عبد القادر أحمد اليوسف	الإمام علي الرضا
٩٩ ـ عبد اللطيف المشتهري	سيّد الشباب الإمام الشهيد الحسين
١٠٠ ـ مرتضى المطهري	نهضة المهدي
١٠١ ـ محمد الصدر	تاريخ الغيبة الصغرى

١٠٢ ـ الإربلي	كشف الغُمّة ـ الجزء الثالث
١٠٣ ـ عبد الملك العصام المكي	سمط النجوم العوالي
١٠٤ ـ أبو عبد الله الجنيدي	مآثر الكبراء ـ الجزء الثالث
١٠٥ ـ العماد الحنبلي	شذرات الذهب ـ الجزء الثاني
١٠٦ ـ الثّعلبي (أبو إسحق أحمد بن محمد)	الكشف والبيان عن تفسير القرآن
١٠٧ ـ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي)	لسان الميزان ـ الجزء الخامس
١٠٨ ـ أبو فراس الحمداني	ديوان أبي فراس
١٠٩ ـ الفيروز آبادي	فضائل الخمسة من الصحاح السّتّة ـ الجزء الثاني
١١٠ ـ عبد الحليم محمود	التفكير الفلسفي في الإسلام ـ الجزء الأول
١١١ ـ الأمير حسن بها درخان	تاريخ الأحمدي
١١٢ ـ المستشرق كارل بروكلمان	تاريخ الشعوب الإسلامية
١١٣ ـ محمد رسول الله ـ ص ـ	محمد رضا المصري
١١٤ ـ إبن أبي الحديد المعتزلي	الروضة المختارة
١١٥ ـ جلال الدين السيوطي	إحياء الميت بفضائل أهل البيت

المحتويـات

الفصل الثالث

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر



صف حروف وتركيب وإخراج فني

في الدار الإسلامية

تلفون : ٨١٦٦٢٧ ـ الحسن ستتر

